

الجزء الاول

من الخطة التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة
ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة

تأليف

الجناب الامجد والملاذ الاسعد

سعادة علي باشا مبارك

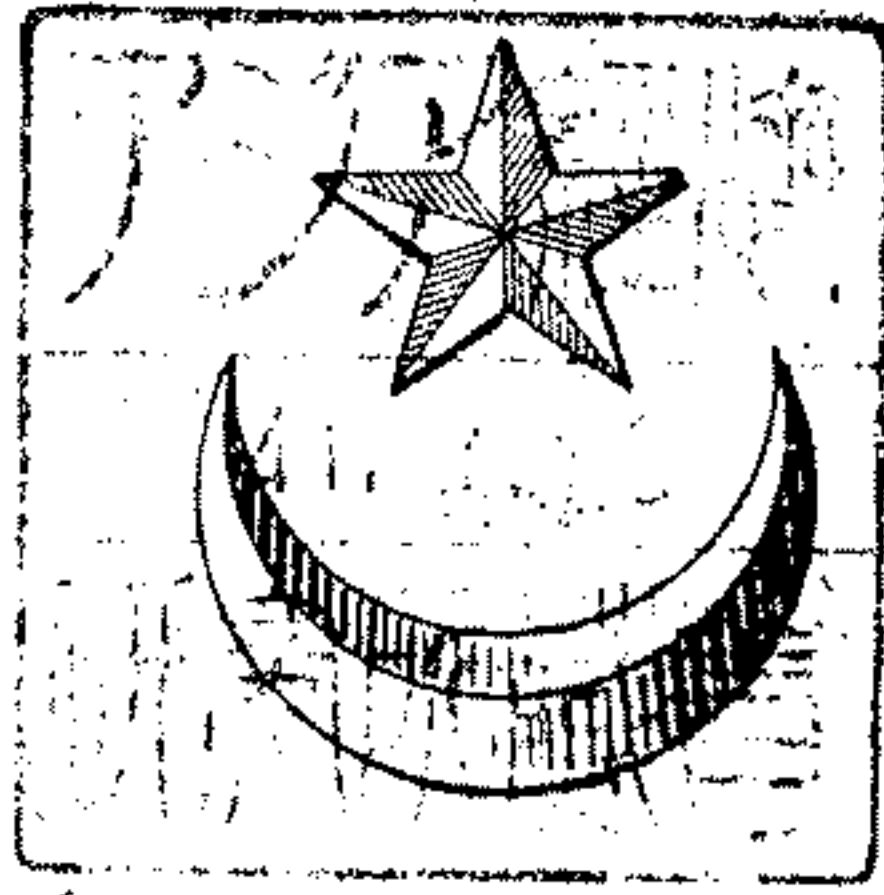
حفظه الله

(الطبعة الاولى)

بالطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٠٦

هجريه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (أما بعد) فلما كانت مدينة القاهرة المعزية التي هي دار الحكومة الخديوية قد كثرت كرها في كتب الخطط والتواريخ والسير ووصف ما كان بها من المباني والبساتين وهي الآن غيرها في تلك الأزمان لتغيرها عما كانت عليه زمن الفاطميين الذين اختطوها بتغير الدول وتقلب الأزمنة وكانت تارة يورث فيها الزيادة وتارة النقصان فترى أحيانا زاهرة زاهية وطورا واهنة واهية ولم نرمنا معشر أبناءنا من يهديننا إلى تلك التقلبات ويفقهنا أسبابها تلك الانتقالات ويدلنا على ما فيها من الآثار فنجوس خلالها ولا نعرف أحوالها ونجوب أقطاعها ولا ندري من وضعها وقد خطها العلامة المقريري لوقته وأطال القول فيما فيها من المباني والمزارع وتكلم على الحوادث والرجال ولكن بعده كم من أمور مرت فدمرت وغيرت فغيرت حتى ذهب أكثر ما أسهب في شرحه كليا وزال حتى صار نسيانها وكما من آثار خربة صار نفعها مندثر أمهجورا ومصانع ومصانع قد دثرت كأن لم تكن شيئا مذكورا وكما من تلال كانت غمارات شاهقة ووها كانت بساتين مهيبة فائقة وقبور مزينة في جوانب الحارات ومشاهد متباعدة في الفلوات أطلق عليها العامة أسماء كاذبة كقولهم هذا ضريح الأربعين مثلا وكما من مساجد نسبوها لغير من بناها ومعابد أسندوها لمن لم يكن رآها والحقيقة أنها قبور ملوك عظام أو معابد سادات كرام أو مساجد أمراء نخام مع أن معرفة ذلك حق علينا إذ لا يليق بنا جهل بلادنا والتهاون بمعرفة آثار أسلافنا التي هي عبرة للمعتبر وذكري للها قد كرههم وان مضوا السبيلهم قدر كوالنا ما يحسن على اقتفاء آثارهم وأن نصنع لوقتنا ما صنعوه لوقتهم وأن نجد في طرق الافادة كما جدوا دعيتي نفسي لتأليف كتاب واف بمصر من قديم وحديث متضمن لذكر مبانيها الدائرة والموجودة وما يتبع ذلك من أخبار أربابها وذكر نيلها ومنافعها وكيفية تصرفاته ومواضعه لكنني رأيت هذا المشروع صعب المسالك لما يحتاج إليه من مراجعة كتب كثيرة في هذا الشأن ومناظرة رسوم القديم والجديد من تلك الأزمان وربما تعسر الوجود أو تعذر المقصود كما أنه محتاج للجلوبال وصلاح زمان وأني لي بذلك مع كثرة أشغالي وتحملني أعباء الوظائف المهمة في أزمان الحوادث التي أخلت بالراحة العمومية والخصوصية مما يكدر الفكر ويحير العقل فأخذت أجل جهابذة العلوم ومن لهم القدرة على ذلك وأحثهم على وضع كتاب يفتك لنا عقد تلك الصعوبات وينفض ختام ما أودع في كتب الخطط من أخبار المتقدمين وآثار القرون السالفة وأهل العصر الذي نحن فيه وأبين ما لهذا المشروع الجليل من الفائدة في الدنيا والثواب في العقبى حتى كل فؤادى وكأن لأحياء لمن أنادى فلما لم يلبثت لهذا الأمر انسان بل رجعا عنه بعض الجهلة ضربا من الهذيان فت مشمرا عن ساعد الجد والاجتهاد معتمدا على من بيده الهداية إلى سبيل الرشاد منتهزا لكل فرصة سنحت مداوما على استنباط الغرائب وترتيب المقاصد جامعاً من كتب العجم والعرب ما يفضي بمثلها إلى العجب مراجعاً كتب العرب والأفريق الذين ساءوا تلك الديار ورسومهم التي ينو فيها حدود هذه الاقطار وكذا حجج الأوقاف والاملاك وما وجد مسطوراً على الاحجار والحدردان لمخصام ذلك ما يحتاج إليه ولا يحسن جهله بحسب الامكان اذمالا يدرك كله لا يترك كله ولم أزل على ذلك مدة من الزمن حارماً للعين في كثير من الاوقات لئلا يذو السن حتى جاء بحمد الله

مجموعايسر الناظر ويشرح الخاطر وهو وان كان بالنسبة لما قصدت ليس على ما أردت لكن اخترت أن يكون ذلك مقدمة لمن يوافيه فينتفع بما فيه ورأيت ان العلامة المقرري لم يقتصر في خطه على مدينة القاهرة المعزية بل تكلم على كثير من بلدان الديار المصرية بعضها اندثر ولم يبق له أثر وبعضها صار الى حالة فائقة لاسماسبة بينها وبين الحالة السابقة ونص على أسماء رجال لم يترجها وبلدان وقرى لم يذكر موضعها وذلك مما ينبغي بيانه خصوصا ان أكثر الآثار القديمة كالأهرام والبراني وغيرها مما بقي من أعمال الامم الماضية والقرون الخالية لم يكن الغرض من ذكرها الا كونها من عجائب الدنيا ومعلوم أن الكتابة الطبرية المعروفة بالهيروجليفيه لم تنكشف حقيقةها الا في هذا القرن فقد وقف الافرنج على حقائقها من الكتابات الباقية على جدران الآثار المصرية والمباني الفرعونية وأخذوا مجددين اليوم في توسيع دائرة علمها فالتزمت أن أطلع ما كتب بخصوص تلك الآثار وألخص ما فيه الفائدة من غير اطالة ولا كثار ووضعت في كل بلدة من البلدان المذكورة في هذا الكتاب تراجم من أحاط به الاطلاع ممن نشأ منها أو استوطنها أو أقام بها أو دفن فيها وله مناسبة بها من أعلام العلماء والامراء ومشاهير الرجال مع بيان مالهم من الآثار والاعمال والمصنفات والروايات بحسب الاستطاعة وأتيت على ذكر ما عثرت عليه أو نقل الى علمه مما اختص بالبلدة أو برعت فيه أو عرفت به من صناعة أو غيرها مضافا الى ما به من الآثار العتيقة والمباني الشهيرة وابتدأت الكتاب بهذا المجلد فجعلته مقدمة له لخصت فيه الكلام على محل القاهرة قبل قدوم جوهر القائد وعلى ما حصل لها من الاحوال والتغيرات بتقلب الازمان وتداول الدول من عهد الدولة الفاطمية وعلى بقية ملوك القاهرة الى الآن على الاجال وجعلت للبلدان والقرى مجلدات مخصوصة على ترتيب حروف المعجم تسهلا على الطالب ثم شرحت بقياس النيل السعيد في مجلد واحد وبسطت الكلام عليه وأضفت المتجددات اليه وأتيت فيه بالحوادث والكتابات من أول الزمان متتابعة تبليغ بعضها بعضا الى وقتنا هذا وقصدت أتم الروايات فنقلتها عن يعلم صدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه وانه بذلك الجدير كيف لا وهو الاشارة الناطقة والدلالة الواضحة على غور الزراعة في كل سنة وبحيث على درجات ارتفاعه وانخفاضه من الكتب العربية والافرنجية ووضعت لذلك جداول لطيفة شاملا لارتفاعه وحوادثه وما صار بسببه الى بلادنا وطبعته مع كتاب الوقوف أهل ديارنا على حقيقة تيلهم الذي هو منبع سعادتهم ان اعتمدوه ومورد شقاوتهم ان أهملوه وأفردت الترع والخجان بمجلد يثبت فيه أحوالها وما كانت عليه قبل الآن أو هي عليه الآن وجعلت أيضا مدينة الاسكندرية جزا مشقة لاجل وجهه وجيز على بعض حوادثها وما كانت عليه في الازمان المتقدمة ولم أتكلم على الفسطاط لاندثارها وخرابها ومن أراد الوقوف على ما كان بها فليراجع خطط المقرري فقد أتى فيها بما يشفي ويكفي ولما كانت مدينة القاهرة هي الغرض الاصل المقصود بالذات من هذا الموضوع لانها أم البلاد المصرية ونخت الحكومة الخديوية ومنبع العلم والصناعة والتجارة جعلت مبانيها الشهيرة كالساجد والمدارس ونحوها مرتبة على ترتيب حروف الهجاء في مجلدات على حديثها حتى ان من أراد الاطلاع على مسجد أو مدرسة مثلا يسهل له الوقوف على ما أراد بعد معرفة اسمه ولم أقتصر في ذلك على شرح الحالة الراهنة بل أخذت ما وجدته في الخطط وغيرها من صفة الحال السالفة رغبة في جمع ما نشئت من أحوال الوقوف الطالب على جميع صفاتها قديما وحديثا ووضعت أيضا لشوارعها مجلدين على ترتيب الحروف وتكلمت على ملحقات كل شارع من دروب وحات وعطف وآزقة مع ما فيها من المساجد والمدارس والاضرحة والاسبله والحمامات والوكائل ونحو ذلك سابقا ولاحقا حتى صار هذان المجلدان عبارة عن خطط القاهرة في زماننا هذا فجاء ما فيها كافيا وافيا في الدلالة على هذه المدينة وشتملاتها ولتتميم الفائدة من هذا الكتاب أفردت مجلدا قررت فيه القول على أصناف النقدية التي كان تجاريا بها التعامل في مصرنا بكل عصر من الازمان الخالية وشرحت تاريخها وأصل وضعها وأسباب حدوثها ومن أحدثها وقومها حتى صار في امكان الطالب أن يقارن بين أسعار الاشياء في الاوقات المتفاوتة فانه متى قيل كان صنف كذا يباع بكذا من الدنانير مثلا وحصلت مقارنة بين هذه القيمة لهذا الصنف في سنة كذا وبين قيمته الآن بعام لتساعلم أن هذا الصنف كان أعلى قيمة مما هو عليه الآن أو أقل في كل زمن وقع فيه الاعتبار فكمل كتابنا هذا بحمد الله في عشرين مجلدا لطيفا على أسلوب رقيق ووضع أنيق يسر سامعه ويروق مطالعه والله الكريم أسأل من فضله وكرمه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به كل طالب بقلب سليم وأن يوفق من اطلع عليه الى اصلاح ما عسى أن يكون

فيه من الخطا والنسيان ويزيد عليه ما عجزت عن الاتيان به وأن يكافئنا واياها بما كافأه عباده الصالحين الذين قصروا أعمالهم مدة حياتهم على طلب مرضاته انه جواد كريم رؤوف رحيم

(بيان محل القاهرة قبل قدوم بجوهر القائد)

لما قدم القائد جوهر بعساكر الفاطميين الى ساحل القسطاط وقت الزوال من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر شعبان سنة سبع وخسين وثلثمائة نزل بحرى القسطاط في الارض التي فيها اليوم الجامع الازهر وبيت القاضى وخان الخليلي وبين القصيرين وما جاورهما من الاماكن التي بين الجبل والخليج وكانت هذه البقعة رمالا فيما بين مصر القسطاط وعين شمس التي تسمى الآن بالمطرية يمر بها الناس عند مسيرهم من القسطاط الى عين شمس فيما بين الخليج المعروف في أول الاسلام بخليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والخليج المعروف بالبحاميم لم يره بجانبها اذا البحاميم اسم للجبل الاحمر الكائن بشرق العباسية وكان ذلك الخليج يمر بقربها وقد زال من مدة ولم يبق له أثر وعند نزول جوهر بهذه الرملة لم يكن بها ابناءان غير البساتين وأما كن قليلة منها بستان الاخشيدي بمحمد بن طفج المعروف بالكافورى وكان هذا البستان في شرق الخليج محله اليوم فيما بين جامع الشعراى والسكة الجديدة قريبا من قنطرة الموسيقى ممتدا في الجهة الشرقية الى النحاسين وكانت مساحتها تبلغ ستة وثلاثين فدانا بمقياسنا اليوم وبجانبه من الجهة القبليّة ميدان الاخشيدي ومحملة الآن من برا الخليج الشرقي الى شارع السكرية والغورية وكان في محل الجامع الاقردير للنصارى يعرف بدير العظام تزعم النصارى ان فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام وبئر هذا الجامع هي بئر ذلك الدير وتعرف ببئر العظام وتسمى العامة ببئر العظيمة وكان بهذه الرملة أيضا موضع آخر يعرف بقصر الشوك (بصيغة التصغير) فنزله بنوع عذرة في الجاهلية وصار عند بناء القاهرة خطا يعرف بقصر الشوك وفي تلك الحقبة كان الخليج المصرى ينتهى الى قنطرة بناها عبد العزيز بن مروان سنة تسع وستين موضعها الآن منتهى حارة السيدة زينب رضى الله عنها وكانت الحارة طريقا لا بناء فيه تمر الناس من فوق تلك القنطرة الى بره الغربى وإلى ساحل النيل وكان في غربى الخليج تجاه معسكر جوهر قرية تعرف بأمدنين ثم عرفت بعد بالمقس وهي الآن خط من أخطاط القاهرة واقع عن يسرة من سلك من شارع كلوت يسلك الى سكة الحديد ممتدا الى الشارع الواقع عليه جامع أولاد عنان وكان الخليج فاصلا بينهما وبين الرملة المذكورة وكان فيما بين قرية أمدنين والشاطئ الغربى فضاء لا بناء فيه ثم صار بعد بناء القاهرة ميدانا توضع فيه الغلال وسماه المقريرى ميدان القمح وهو الآن من جملة خط باب الشعريّة وكان الواقف بهذا الفضاء يرى النيل عن يمينه من بعد اذا استقبل المغرب وعن يساره بستان المقس محل بركة الازبكية وما يجذأ من الجهة القبليّة وبعده تلك البساتين الى القسطاط وكان يرى برا الحيزة والقرى الواقعة عليه أمامه وكان من يسافر من القسطاط الى الشام من العسكر والتجار وغيرهم ينزل بطرف هذه الرملة في الموضع الذى كان يعرف اذذاك بمنية الاصبع ثم عرف زمن الفاطميين بالحنديق والآن يعرف بقرية الدمر داش وية وممن منية الاصبع الى سلمت وبلبيس وبينها وبين القسطاط أربعة وعشرون ميلا ومن بلبيس الى العلاقة ثم الى الفرما ولم يكن هذا الدرب يعرف قديما وانما عرف بعد دخراب تنيس والفرما وكان من يسافر من القسطاط الى الحجاز برا ينزل بجب عميرة المسمى أولا ببركة الحب والآن ببركة الحاج وكانت حافة الخليج الشرقية هي الطريق العام وكان القادم من القسطاط الى القاهرة يجب ان يعبر عن يمينه منازل العسكر في محل التلال التي نشأ بها الآن قريبا من باب الستة ثم يجد عدة ديوروكائس موضع خط السيدة زينب رضى الله عنها ثم بركة البغالة وبركة القيل الى سور القاهرة وكانت العامة تجلس في هذا الطريق أمام سور القنطرة على الخليج وما وراءه من البساتين والبرك وأما برا الخليج الغربى فكان بأوله بحرى قنطرة عبد العزيز بن مروان البستان الزهرى ممتدا الى باب اللوق الى جامع الطباخ ويتصل به عدة بساتين الى المقس جميعها مطل على النيل ولم يكن لبرا الخليج الغربى كبير عرض وانما يمر النيل في غربى البساتين على الموضع الذى يعرف اليوم باللوق وأوله عند جامع الطباخ ويمتد جهة الغرب الى ساحل النيل

(حال القاهرة في مدة الخلفاء الفاطميين) هذه المدينة الفخيمة وضعتها الفاطميون سنة ثمان وخسين وثلثمائة من الهجرة وذلك انه لما تولى الغلاوة تابعت الشدائد وحصل الادبار وعجز رجال الدولة عن ادارة الامور واختل حال

الاقاليم المصرية قام المعز لدين الله أبو تميم معتمد وأغار على مصر في أيام الاخشيديين وقام اليها تابعه جوهر قائد
 عساكره فانتزعها من أيديهم ودخل القسطنطينية بالقسطنطينية في السنة المذكورة وكانت القسطنطينية مدينة كبيرة
 وكانت محل الامراء ومستقر ما حكمهم واليه اتجى ثمرات الاقاليم وكان لها من وفور العمارة وكثرة السكان وسعة الارزاق
 ما تفخر به على مدن المعمورة وكان حدها الشرقي من باب القرافة تحت قلعة الجبل ممتدا الى كوم الجارح الى بركة
 الحبش وهي أرض البساتين والحد الغربي قنطرة السباع الى دير الطين ممتدا على ساحل النيل والحد القبلي من
 شاطئ النيل عند دير الطين الى نهاية الحد الشرقي حيث البساتين والحد البحري من قنطرة السباع الى قاعدة الجبل
 وما بين تلك الحدود كان مشحونا بالعمارة من الدور الفاخرة والاسواق والمباني وكان منها العسكر والقطاييع وكل ذلك
 تخرب واندرست معالمه ولم يبق منه الا القليل جدا كخط السيدة زينب رضى الله عنها وخط الكيش والجامع الطولوني
 والسيدة نفيسة رضى الله عنها الى آخره من الخليفة وما حول الرملة وقراميدان فاذا خرج الانسان من بوابة السيدة
 نفيسة الى العيون وقلب طرفه في تلك الصحراء الواسعة يرى أثر العمارات طلالا ولا تلالا مرتفعة في بحري العيون وقبلها
 وخلف العامر من مصر العتيقة وجهة الامام الشافعي وأبي السعود الجارح رضى الله عنهما والدير الكبير المعروف
 قد يما بقصر الشمع وجهة الرصد وهو الجبل المرتفع على أرض البساتين من بحريه او غير ذلك ومع ما كانت عليه هذه
 المدينة من العز والثروة عابها ابن رضوان وشنع على موقعا وترتيبها فقال ان بعد هذا عن خط الاستواء ثلاثون درجة
 والجبل المقطم في شريقها وبينها وبينه المقابر وقد قال الاطباء ان أردأ المواضع ما كان الجبل في شريقه يعوق ريح
 الصبا عنه قال وأعظم أجزء القسطنطينية في غورها فانه يعملوه من الشرق المقطم وكذا من الجنوب الشرقي ومن
 الشمال المكان المعروف بالموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومضى نظرت الى القسطنطينية من الشرق أو من مكان آخر
 عال رأيت وضعها في غور وقد بين بقراط أن المواضع المتسوية أفضل من المواضع المرتفعة وأردأها ولا حنقان
 البخار فيها لان ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة القسطنطينية وشوارعها ضيقة وأبنيتها عالية
 وقد قال روفس اذا دخلت مدينة فقرأتها ضيقة الأزقة مرتفعة البناء فاهرب منها لانها أوبئة اذرداءة البخار لا تحمل منها
 كما ينبغي لضيق الأزقة وارتفاع البناء ومن شأن أهل القسطنطينية أن يرموا مامات في دورهم من السنانير والكلاب
 ونحوها من الحيوانات التي تخالط الناس في شوارعهم وأزقتهم فتتعضن ويخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم أيضا
 أن يرموا في النيل الذي يشربون منه فضول الحيوانات وجيفها وتصب فيه خرات كنقهم وربما تقطع جري الماء
 فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء وفي خلال القسطنطينية مستودعات عظيمة يصعد منها في الهواء دخان مفرط
 وهي أيضا كثيرة البخار لسخونة أرضها حتى انك تجد بها الهواء في أيام الصيف كدرا ويتسخ منه الثوب النظيف
 في اليوم الواحد اذا مر به الانسان في حاجة لم يرجع الا وقد اجتمع في وجهه رطوبة غبار كثير ويعلموا في العشيات
 خاصة في أيام الصيف بخار كدرا سودا سيما عند سكون الرياح الى آخر ما قال من كلام طوبى له ولما دخلت عساكر
 المعز الديار المصرية سار جوهر الى القسطنطينية ودخلها يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان من السنة المذكورة فاختار أن
 يبني في بحريه ببعيد اعظم ما فاختط للعسكر في الرملة التي كانت تجاه قرية أم دنين وكانت في ملك الخلفاء العباسيين ثم بنى
 ابن طولون فاستقر جوهر هناك واختط القصر فلما أصبح المصريون ذهبوا اليه للتمنيته فوجدوه قد حفر أساس القصر
 ليلا وكانت فيه ازورارات فلما رأها لم تعجبه ثم أغضى عنها وقال انه قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله
 وأدخل فيه دير العظام الذي في محله جامع الأقمر واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها وأدار السور الذي جعله من اللبن
 على مناخه الذي نزل فيه بعساكره وسماها المنصورية ولما اكملت في ثلاث سنين وباع المعز ما كان من مدينته
 المنصورية تحت ملكه بالمغرب يريد أرض مصر فركب البحر في أسطول واجتاز على جزيرة ساردينيا ثم جزيرة صقلية
 انتابعتين للملك وأقام بهما عدة شهر حتى رتب أموره ما ثم اجتاز على طرابلس الغرب فأقام به يسيرا وقام منها
 فدخل الاسكندرية في شعبان من السنة المذكورة وأقام به مديدة ثم سار الى القسطنطينية بعساكره واجتاز النيل على
 جسر عمله جوهر عند البستان المسمى بالختار وكان في الطرف البحري من جزيرة المقياس فلم يدخل القسطنطينية
 أنهم اتزنت له واستعد أهلها للاقائه بل سار الى أن دخل القاهرة وكان معه أولاده واخوته وسائر أولاده عبيدا لله

المهدي أول ملوك الدولة الفاطمية بالمغرب ونوايت آياته وفي الخطط ان القاهرة في أول الامر كانت تسمى بالقلعة والطاية والمعقل والحصن وقصد القائد باخطاطها في هذا الموضع أن تكون حصنا للفسطاط ممن يقصد هدمها من جهة البحرية خصوصا القرامطة الذين كانت بأيديهم البلاد الشامية القاصية وبلاد ارمستان فانه لما بلغهم استيلاء جوهر على مصر وأخذ دمشق جيشوا وجيوشا جارة وساروا القتاله في سنة ستين وثلثمائة فلما وصلوا دمشق أخذوها وقتلوا جعفر بن فلاح حاكمها من طرف الفاطميين ثم أخذوا الرملة ثم وصلوا القلزم فاحترس جوهر واستعد لقتالهم وحفر الخنادق وبنى الابواب المنبعة وركب عليها نوابات البستان الكافوري وكانت من حديد وبنى القنطرة عند شارع باب الشعرية وهي باقية الى زمانها هذا سنة ثلثمائة وألف ثم حصل بينه وبينهم عدة وقعت قتل فيها كثير منهم وانهم زموا شرهزيمة واستولى جوهر على سواد أميرهم الأعصم وكتبه وصناديقه وكانت القاهرة اذ ذاك بين ثلاثة خنادق خندق من قبلها وهو الذي حفره عمرو بن العاص رضي الله عنه وكان شرقي قبر الامام الشافعي رضي الله عنه وخندق الحماميم أوله الجبل الاحمر المسمى بالحماميم وخندق من غربها وهو الخليج الموجود في هذا القرن الثالث عشر ولما أدار سورها حفر لها الخندق الرابع من بحريها فصارت بين أربعة خنادق وأدخل في السور بستان الاخشيدي وميدانه وجعل دير العظام وقصر الشوك من ضمن القصر الكبير فكان البستان بين القصر والخليج وصار الخليج خارجا وكان البستان كبيرا جدا وفي محله الآن حارات اليهود وخط الخرنفش ويمتد الى شارع النحاسين والذي أنشأه هذا البستان الامير أبو بكر بن محمد بن طنج بن الاخشيدي أمير مصر وكان مطلا على الخليج واعتنى به وجعل له أبوابا من حديد وكان يتردد اليه ويقوم به الايام واهتم به بعده أبنائه الامير أبو القاسم أو نوحوب والامير أبو الحسن على أيام أمارتهم ابعدا بهم ما ولما استقل بعدهما بامارة مصر الاسدي اذ أبو المسك كافور الاخشيدي كان كثيرا ما يتنزه به ويواصل الركوب الى الميدان الذي به وكانت خيوله به هذا الميدان ثم لما آلت مصر للفاطميين صار هذا الميدان منتزها لهم وكانوا يتوصلون اليه من سرايب مبنية تحت الارض ينزلون اليها من القصر الكبير ويسبرون فيها بالدواب الى البستان ومناظر اللؤلؤة بحيث لا تراهم الا عين فلما زالت الدولة الفاطمية حكر وتجددت فيه الابنية سنة احدى وخمسين وستمائة وكان في السور الذي بناه جوهر عدة أبواب ففي الجهة البحرية باب النصر القديم كان بجوار زاوية القاصد وباب الفتوح القديم وكان بجوار حارة بين السيارج التي في خارجه وكان محل الجامع الحاكمي خارج السور وبالجهة القبليّة بابان متلاصقان يسميان بابي زويلة أحدهما بجوار زاوية سام بن نوح المجاورة لسبيل العقادين والآخر بجواره وكان أحدهما وهو المجاور للزاوية المذكورة يسمى باب القوس دخل منه المعز القاهرة عند قدومه فتيامن الناس به واستعملوه وهجروا الباب الآخر زاعمين أن من مر منه لا تقضى له حاجة وقد زال بالكلية ولم يبق له أثر وفي الجهة الشرقية الباب المحروق القديم وكان دون موضعه الآن وباب البرقية وكان خارج حارة البرقية التي اختطها جماعة من أهل برقة وهي التي تعرف اليوم بالدراسة وبقرب موضعه اليوم الباب المعروف بباب الغريب وكان لها هناك باب ثالث يغلب على الظن انه كان بين هذين البابين وفي الجهة الغربية باب سعادة ومحملة بجوار الحد القبلي لسراي الامير منصور باشا بقرب جامع اسكندر الذي هدم وصار محله الميدان الكائن أمام منزل الباشا المذكور وكان هذا الباب على رأس زقاق هدم في ضمن ما هدم من الابنية في انشاء الميدان المذكور وكان هذا الزقاق من درب سعادة وباب آخر يسمى باب القنطرة لكونه مبنيا فوق القنطرة التي بناها جوهر القائد على الخليج يمر منه السالك من باب مرجوش الى باب الشعرية ثم هدم بعد سنة سبعين ومائتين وألف لخلل قام به وكان باب ثالث يعرف بباب الفرج قد زال وكان بعد حمام المؤيد بجواره وباب رابع يعرف بباب الخوخة كان بشارع قبو الزينية ومحملة تجاه جامع الشيخ فرج وما بين هذه الحدود كان ثلثمائة وأربعين فدانا والقصر الكبير الشرقي يشغل من الارض خمس ذلك وكان شكل القاهرة اذ ذاك مربعا تقريبا فكان طواها على الخليج ألف متر ومائتي متر وعرضها ألف متر ومائة متر وطول وجهه القصر الغربية ثلثمائة وخمسة وأربعون مترا اعتبارا الفدان أربعة آلاف متر ومائتان من الامتار المربعة وكان الذهاب من الفسطاط الى عين شمس أي المطرية يسير على ساحل النيل القديم ثم يسير بحافة الخليج الشرقية فتكون عن يمينه بركة القيل الصغيرة وهي بركة البغالة وكان حواها ديور وكائنات وبساتين تحيط بها المباني المعروفة

بالسكر التي هي الآن تلال مرتفعة قبلي بركة البغالة و بجوارها مباني جبل يشكرو جبل الكباش ثم يلي هذه البركة
 بركة الفيل الكبيرة الباقي بعضهما الى الآن وكانت متصل بركة الفيل الصغيرة وتمتد بركة الفيل الكبيرة قرب باب
 زويلة ويحدها من جهة الشرق شارع السروجية وكان بساحلها الشرقي بساكنين تمتد الى الرملة الى السيدة
 نفيسة رضي الله عنهم واتصل بها بساكنين اخرى عند القطائع والفسطاط الى النيل ومن جهة الغرب الطريق
 المار بشرقي الخليج وهو الطريق المعروف الآن بشارع درزب الجاميزو على حافة هذه البركة من هذه الجهة بني فيما
 بعد جامع بشتال وغيره من المباني وغيرها ومن الجهة القبليية الجسر الاعظم وهو الطريق المار تحت قلعة الكباش
 الموصل من الصليبية الى خط السيدة زينب رضي الله عنهم ويحدها من الجهة البحرية الشارع المعروف بشارع
 تحت الربع وكان السالك على حافة هذه البركة من الجهة الغربية في طول الخليج يشاهد في غربي الخليج المذكور
 بحر النيل وبينه وبين الخليج بساكنين الزهري على ضفته الغربية تمتد الى قنطرة باب الخرق فاذا حاذى السالك
 القاهرة كانت عن يمينه ووجهه بساكنين عن يساره تمتد الى النيل وثم الى قنطرة البكرية الموجودة الآن بشارع
 العباسية قرب جامع الظاهر وكان في شمال القاهرة مزارع وبساكنين تمتد الى المطرية ولم يكن في الجهة الشرقية
 الا جبل الجيوشي فكان موقع القاهرة في تلك الازمان من أجل المواقع وأجلها ولما استقر ملك الفاطميين
 أخذوا في ضواحيها الاربع من المباني الفاخرة والمناظر البهجة والبساكنين النضرة ما زاد في جمعتها وورونقها وبقيت
 كذلك الى أن انقرضت دولتهم فتغيرت أحوالها وصارت الى ما سبتلى عليك في مواضعه من هذا الكتاب ان شاء
 الله تعالى ويفهم من كلام المقرري ان قصبة القاهرة كانت في منتصف المسافة بين السورين الشرقي والغربي
 وتربين باب الفتوح وباب زويلة وقصر الخلفاء كان في وسط القصبة وينظر منه الى بستان الاخشيديان قبائل
 العرب التي حضرت مع جوهر اختطت أغلب خططها في جميع جهاتها ما عدا الجهة التي تقابل الخليج والى اليوم
 يطلق على بعض حارات القاهرة اسماء من اختطها فخارة زويلة لم تزل معروفة بهذا الاسم الذي أخذته من قبيلة
 زويلة من بلاد القيروان وحارة البرقية من قبيلة البرقية وللروم الذين هم جموع من نصارى الاروام حارتان احدهما
 داخل البلد بحري قصر الخليفة بقرب السور والاخرى خارج البلد من قبلها بقرب باب زويلة وكذا العطوفية
 وحارة الباطنية حيث السور الشرقي والجودرية حيث السور القبلي وجعل لطائفتين من العساكر وهما
 الريحانية والوزيرية حارتان يفصل بينهما شارع في الجهة البحرية خارج القاهرة من جهة باب الفتوح وقد صارتا
 فيما بعد الدولة الفاطمية حارة واحدة سميت بحارة بني الدين في زمن الدولة الايوبية وتعرف الآن بحارة بين السيارج
 وجعل لطائفتي المراتحية والفرحية حارة من داخل باب القنطرة حيث السور البحري وهي الآن الشارع المشهور
 بخط مرجوش الذي يسلك منه الى باب القنطرة ثم ان جوهر ابني الجامع الازهر قبلي القصر الكبير الشرقي وجعل
 بين الجامع والقصر اصطبل القصر المسمى باصطبل الطارمة وكان به الخيل الخاصة للخليفة في جهته القبليية وكان
 مفصولا عن الجامع برحبة واليوم محل هذا الاصطبل شارع الشنواني وما عليه من المباني والازقة وجعل امام
 الجامع من الجهة الغربية رحبة متسعة وكان يشرف على الاصطبل أحد القصور المسمى بقصر الشول وجعل من
 جلة القصر الكبير التربة المعزية وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين أحضر معهم أجسادهم في توأيت من بلاد المغرب
 كما تقدم وهم عبيد الله المهدي وابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد وابنه المنصور بنصر الله أبو الظاهر اسمعيل
 واستقرت مدفن الخلفاء وأولادهم ونسائهم وكانت تعرف بتربة الزعفران وهي مكان كبير من جملتها الخط الذي كان
 يعرف قديما بخط الزرا كشة العتيق ويعرف اليوم بخان الخليلي وكانت هذه التربة تمتد الى المدرسة البديرية خلف
 المدارس الصالحية النجمية وبها الى اليوم بقايا من قبورهم وكان لهذه التربة عوائد ورسوم منها ان الخليفة كلما
 ركب عظلة وعاد الى القصر لابد أنه يدخل الى زيارة آباءه بهذه التربة وكذلك لابد أن يدخل في يوم الجمعة دائما
 وفي عيد الفطر والاضحى مع صدقات ورسوم ذكرها المقرري وبقيت هذه التربة محترمة مقامه الشعائر
 الازمان الطويلة أيام دولة الفاطميين وارتفاع شأنها الى أن اضمت أحوالهم وضعف أمرهم فاضمت
 باضمحلهم ولما كانت الشدة العظمى في زمن الخليفة المستنصر وطلب عساكر الأتراك منه النفقة فاطلهم هجوموا

على هذه التربة وانتبهوها في زمن ما انتبهوه على ما بينه المقريرى في خطه فاخذوا ما فيه من قناديل الذهب وكانت قيمتها مع ما جمع اليها من الآلات الموجودة هناك مثل المداخن والمجاهر وحلى المحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار ثم لما زال ملكهم وانقرضوا وتداوات الايام والدول وأنشأ الامير جها ركس الخليلي في خط الزرا كشة المقدم ذكره أيام الناصر بن قلاوون خانة المعروف بجنان الخليلي نسبة اليه أخرج من هذه التربة ماشاء الله من عظامهم فالقيت في المزابل على كيمان البرقية وبني جوهر أيضا على العيد خارج باب النصر وكان الفراغ من بنائه في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ثم جده العزيز بالله وكان للفاطمييين رسوم وعادات في صلاة العيد في المصلى المذكور تكلم عليها المقريرى واطنب وبعض المصلى باق الى الآن وبمحراب قديم وأكثره صار مقابر ومن زمن مديد يطلق على مصلى العيد المذكور اسم مصلى الاموات وكثيرا ما نجد هذا الاسم في المكتب وقد استوفينا بيان ذلك في محله ثم ان مدة استيلاء الفاطمييين على أرض مصر كانت مائتي سنة وتسع سنين وذلك من مدة دخول جوهر وتأسيسه مدينة القاهرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة الى انقراض دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم سنة سبع وستين وخمسمائة وتولى الخلافة منهم في تلك المدة أحد عشر خليفة مام من خليفة منهم الاجدد عمارات بالقاهرة ومصر وضواحيها حتى اتسع نطاق العمارة وليكون القاهرة كانت مقر الخليفة ورجاله وعساكره كانت على جانب عظيم من الاحترام وأما الفسطاط فلما كونه هي العاصمة واليه اترد البضائع وتصدر عنها فكانت مقر الاعيان وأرباب الثروة ورجال العلوم والصنائع والحرف وكانت انثروا اذ ذلك كبرة والتجارة واسعة الارجاع بسبب اتساع ملك الفاطمييين فانه كان ممتدا الى أقصى بلاد الشام والمغرب فكانت تأتيا البضائع مما دخل تحت ملكهم ومن غيره وقد ساح في بلاد مصر بعد بناء القاهرة بخمسين عاما عالم من الفرس يعرف بالناصرى خسر ووصف القاهرة والفسطاط فقال في رحلته المعروفة بسفرنامه ان الفسطاط تظهر من بعد كالجبل وفيها منازل من سبع طبقات فاكثر وسبعة جوامع كبار قال ولو وصفت ما فيها من آثار السعادة والثروة لكذبني الفرس وفي موضع آخر قال ان مدينة القاهرة قل أن يوجد لها شبيه في الدنيا وقد حسبت فيها عشرين ألفا كان جميعها ملك السلطان وأغلبها مؤجر بعشرة ذنانير والجمامات والوكائل وغيرها من المباني لا يحصى عددا والكل ملك السلطان لانه كان ممنوعا في القاهرة الثلاث غيره قال وأخبرت ان في القاهرة كما في مصر عشرين ألفا نزل ملك السلطان أيضا وجميعها مؤجرة والجرة تقبض شهريا والتأجير والاخلاء من غير جبر ولا كراهة وسراى السلطان في وسط القاهرة وحولها فضاء لا يحوم حوله بناء قط ومتى نظرت الى السراى المذكورة من بعد تراها كأنها جبل لكثرة المباني وعلوها وأما من دخل البلد فلا يمكنه نظرها بسبب علو الاسوار ومدينة القاهرة لها خمسة أبواب باب النصر وباب الفتوح وباب القنطرة وباب زويلة وباب الخليج وليست محاطة بسور حصين ولكن السراى والمنازل شاهقة وكل منها أشبه بقلعة وأغلب البيوت من خمس أو ست طبقات ومن حسن صنعتهما واتقانها يتوهم الناظر اليها انها مبنية من أحجار غنية وليست من حص ودبش وجميع البيوت منقصة له عن بعضها بحيث ان سوراً حدها لا يمس سور الآخر المجاور له وكل مالك يمكنه أن يبني ويهدم من غير عناية من الجار وأقول من تولى الخلافة منهم بديار مصر المعزدين الله أبو تميم معد وكان عالما فاضلا جوادا حسن السيرة منصف للارعية مغرما بالنجوم أقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق ولما قدم مصر ساس الامور ودبر الاحوال ولم يأل جهدا في اصلاح حال مصر عما كانت عليه ولما استقر بالقصر أمر بالزيادة فيه وكان جوهر قد رتب به الدواوين ومواضع السكنى اللاتقة بالخلافة وادار عليه سور في سنة ستين وثلاثمائة وكان للقصر تسعة أبواب ثلاثة في الغرب باب الزهومة وباب الذهب وباب البحر وفي بحريه باب واحد كان يعرف بباب الزيج وفي جهته الشرقية ثلاثة أبواب الزمرد وباب قصر الشول وباب العيد واثنتان في جهة القبلة باب الديلم وباب تربة الزعفران وكان القصر الكبير يشغل محل خان سرور والمدارس الصالحية والمدرسة الظاهرية وأرض الدكاكين والمنازل الكائنة في صفها الى رحبة العيد وأرض الحمارات والازقة والاماكن الموجودة خلف جميع ذلك الى حارة البرقية وقد بينا جميع ذلك في محله وله عدة خزائن لحفظ ما تستدعيه رسوم الملك وأبهة الخلافة ولوازم القصر وملحقاته من الحلوى وأنواع الزينة والامتنعة والفرش والسياب والذخائر وما تحتاج اليه العساكر البرية والبحرية كالسلاح والخيام

والبنود وما يتجمل به الخليفة وخواصه وسائر رجاله واتباعه وما ينعم به في أيام الأعياد والمواسم الى غير ذلك وكانت عذبة الخزان كثيرة العدد لكل منها نوع من الأنواع قد أعدت له وكانت مشتهرة على نفائس جليله ومهمات عظيمة بالغة في العظم والكثرة حدا لا تكاد تباعه العبارة حتى انه كان للكتب خاصة من ضمن هذه الخزائن أربعون خزانة تشتمل فيما حكاه بعضهم على ألف ألف وستة مائة ألف كتاب وفي ضمن ما كان في خزانة القروش والامتعة مقطوع من الحرير الأزرق التستري القرقوبي غريب المنفعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله أمر بعمله في سنة ثلاث وخسين وثلثمائة فيه صورة اقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومساكنها شبه جغرافيا وفيه صورة مكة والمدينة مبنية للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير وكان في خزائن الخليم عدة عظيمة من أعدل الخليم والمضارب والقازات والمسطحات والبحر كاوات وغيرها ومنها فسطاط يسمى المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا بالكبير ودائره خمسة مائة ذراع وكانت تحمل خرقة وحباله وعدته على مائة جبل وفي صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطر مصرية قد صور في رفرقه صورة كل حيوان في الارض وكل شكل ظريف عمل في أيام الوزير البازوري كان يعمل فيه مائة وخمسون صانعا مدة تسع سنين وبلغت النفقة عليه ثلاثين ألف دينار وكان عمله على مثال القناطول الذي كان العزيز بالله أمر بعمله أيام خلافة -هـ- وكان أعظم من هذا الى غير ذلك مما يطول شرحه وعامة ما في هذه الخزائن قد استلب وانتب في الشدة العظمى أيام المستنصر وبيع ما بيع منه بأجنس الثمن فبقيت ما كان في تلك الخزائن من بدائع النفائس وجلال الذخائر وأصبحت خالية خاوية ولم تزل بها قلوب الياقوتات وتصرفات الاحوال حتى تحربت بالكلفة واندرست معالمها وانطمست آثارها حتى جهلت مواضعها وقد أطل المقرري رحمه الله تعالى القول في هذه الخزائن وذكر مشتملاتها وياقي في الكلام على شارع النحاسين بيان مواضعها والاماع بما كان فيها وكان القصر الكبير منه زلا عن مساكن العسكر يحيط به الرحاب الواسعة فكان في غربيه بين القصرين فضاء عظيم يقف فيه من العساكر نحو عشرة آلاف ورحبة باب العيد كذلك كان أولها من جامع الجمالي الى دار الامير أحمد باشا رشيد كانت تقف بها العساكر فارسها وراجلها في أيام مواكب الأعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب العيد ولم يبتدأ بالبناء فيها الا بعد سنة ست مائة من الهجرة وكان بجذاء هذه الرحبة دار الضيافة المعروفة بدار سعيد السعداء ويقابلها دار الوزارة الكبرى التي محملها اليوم المكتب الاهلي بالجمالية وما في صفه الى باب الجوانية وخلفها بجذاء السور المناخ السعيد ويجاوره حارة العطوفية وكان في الجهة القبليية من القصر رحبة تعرف برحبة قصر الشوك كبيرة المقدار أولها من الباب الاخضر الحسيني الى باب حارة القزازين من شارع قصر الشوك وكان حائلا بينهما وبين رحبة باب العيد خزانة البنود والسقيفة ورحبة اصطبل الطارمة وكان في مقابلة قصر الشوك وكانت هذه الرحبة فضاء واسعة عظيمة ثم ان المعز لدين الله أنشأ أيضا سبع حجرات لتعليم الغلمان الخجيرية الذين يخدمون منصب الخلافة بالقصر وكانت هذه الحجرات بعد دار الوزارة المتقدم ذكرها فيما بين باب النصر القديم الى باب الجوانية وأنشأ لهم تجاه هذه الحجرات اصطبل بجوار باب الفتوح بينه وبين رأس مرجوش وكان ما بين الاصطبل والحجر فضاء متسع عامن باب النصر الى الدرب الاصفر ومجمله الآن الوكايل والحارات التي بين الشارعين وهؤلاء الخجيرية شبان مختارون من بني وجهاء الناس من كل ماهر منهم معتدل القامة حسن الخلقة وكانوا يربونهم في هذا الحجر ويسمون بصبيان الخجرو يكونون في جهات متعددة وكان عددهم نحو من خمسة آلاف نسمة وكان لكل حجرة اسم تعرف به وعندهم سلاحهم وما يحتاجون اليه ومتى عرف الواحد منهم بالفضل والشجاعة خرج الى الامرة والتقدم وما زالت هذه الحجرات باقية الى ما بعد السبعة مائة فهدمت وابتنى الناس محلها الدور وغيرها واخطت المعز أيضا حارة كامة للامراء الكماميين فيما بين حارة الباطلية وحارة البرقية وتعرف اليوم بحارة الدويداري وقيل لكامة هي رجال الدولة الفاطمية التي قامت بنصرة المهدي عبيد الله حتى استقر على دست خلافة المغرب وبقيت كذلك مدة خلافة ابنه أبي القاسم القائم بأمر الله وخلافة المنصور بنصر الله اسمعيل بن أبي القاسم وخلافة معد المعز لدين الله بن المنصور وبهم أخذ ديار مصر لما سيرهم اليها مع القائد جوهر في سنة ثمان وخسين وثلثمائة وهم أيضا كانوا أكبر من قدم معهم من الغرب في سنة اثنتين وستين وثلثمائة ولم تخط درجتهم الى زمن العزيز بالله نزار فلما اصطنع الديلم

والأثر الذي قدمهم وجعلهم خاصته صار بينهم وبين كلمة تحاسد وثنافس إلى أن مات العزيز بالله وقام من بعده أبو علي المنصور المتقب بالحاكم بأمر الله فرجع لكامة الأمر بعض رجوع لما ولي ابن عمار الكفاي الوساطة التي هي في معنى الوزارة ولم يكت ذلك معهم إلا قليلا وتغيرت أحوال كامة بعد قتل ابن عمار وتولية بر جوان الوزارة وكان صقلبيا لحظ عليهم وأغرى الحاكم بهم فقتل منهم الكثير والمخطط قدرهم إلى زمن الظاهر لا عزازدين الله ولا نكبابه على اللهو وميله إلى الأثر والمشاركة تلاثي أمر كامة بالكلية وصاروا من جملة الرعية بعدما كانوا أوجوه الدولة وأكابر أهلها وكانت الديلم في زمن العزيز بالله تزار كثيرة المباني بالقاهرة فاختلطت حارة بجوار باب زويلة القديمة وتعرف به - هذا الاسم في حجج الأملاك إلى الآن وتارة تسمى بحارة الأمراء وبحارة خوش قدم وكان من جملتها حارة درب الأثر لهفتكين التركي أحد أمراء العزيز ثم انفصلت عنها كلها اليوم واختلط نادر الصقابي سيف الدولة غلام العزيز بالله دربا كان يعرف قديما بدرب نادر وبدر سيف الدولة والآن يعرف بحارة الفراخنة من خط قصر الشوك وأنشأ العزيز بالله تزار بن المعز قصر أصغر اتجاه القصر الكبير من جهة الغربية وكان يعرف بقصر البحر بناءه أسكن ابنته بنت الملك أخت الحاكم بأمر الله وجعل به قاعة كبيرة لم يكن مثلها وكان هذا القصر من تجاه الجامع الأقصر إلى الصاغة وكان مطبخ القصر في موضع الصاغة إلى درب السلسلة وهو موضع وكالة الجوهرية الآن وكان ذلك القصر الصغير مطبلا من شرفيه على القصر الكبير ومن غربيه على البستان الكافوري وصار هذا البستان من عمار القصر الصغير فكان من أحسن ما بنى في تلك الأيام وابتدئ في عمارته سنة خمسين وأربعمائة وتم في زمن الخليفة المستنصر بالله سنة سبع وخمسين وأربعمائة فكانت مدة البناء فيه سبع سنين متوالية وصرف عليه ألف دينار عبارة عن ألف ألف جنيه وشي لأن الديار يزيد عن نصف الجنيه قليلا وكان قصد الخليفة المستنصر بالله أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله العباسي صاحب بغداد ويجمع إليه بنى العباس فلم يتيسر له ذلك فجعل له أسكاه وكان من أبوابه باب السناط الذي في موضعه الآن باب سمر المارستان المنصوري المسلك منه إلى الخرنفش وبجوارده من الجهة البحرية باب التبانين وموضعه مكان باب حارة الخرنفش الآن ويظهر من كلام صاحب الخطط أنه لما قويت شوكة الأفرنج في آخر دولة الفاطميين أعدت هذه الدار وبعضها وهو ما صار فيما بعد الدار البيسرية لمن يجلس فيها من قصاد الأفرنج عندما تقرر الأمر معهم على أن يكون نصف ما يحصل من مال البلد للأفرنج فصار يجلس في هذه الدار قاصدا معتبرا للأفرنج يقبض المال فلما زالت الدولة الفاطمية وملا مصر الأيوبيون أخذها الملك المفضل قطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وعمل بها الأصطبلات والمباني الفخيمة فعرفت بالدار القطبية ولما مات الملك المفضل صارت إلى ابنته مؤنسة خاتون وكانت بها قاعة كبيرة لم يكن بمصر مثلها فلما آلت السلطنة إلى الملك المنصور قلاوون اشترى هذه الدار وعمل في محل القاعة المارستان وفي باقيها المباني التي استجدها بهذا الخط وأما الدار البيسرية المتقدمة ذكرها فشرع في عمارتها الأمير ركن الدين يسرى الشمسي الصالحى النجمي في سنة تسع وخمسين وستمائة في زمن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى وكان من أعظم الأمور أوله عدة مما يليك راتب كل واحد منهم مائة رطل لحم ومنهم من له عليه في اليوم ستون عقيقة لخيله وبأخ عليه وخيله وخيل مما يليك في كل يوم ثلاثة آلاف عقيقة سوى عليه الجبال إلى آخر ما قال في الخطط فانظره ومن زمن مديد إلى الآن بطل جمع له مارسيتانا ونقلت منه المرضى غير أن به محلا يجتمع فيه كل يوم المصابون بوجع العين لكشف عليهم ومداواتهم من طبيب العيون المعين لذلك وبعض محلاته اتخذت باعة النحاس حواصل النحاسهم وبعضها جعل مدرسة أهلية وهذا القصر وان سمي القصر الصغير كان في غاية السعة فان حده الشرقى النهاية الغربية للميدان الذي كان بين القصرين المشرف عليه الآن المارستان وما اتصل به من المدرسة المنصورية والظاهرية والكاملية والخرنفش إلى تجاه الجامع الأقصر وكان حده الغربى بما فيه من البستان الكافورى سور القاهرة المطل على الخليج ويتصل به من جهته القبالية مطبخه وهو موضع الصاغة فالنهاية القبالية للصاغة هي حده القبلى وكان الحمام الذى بين الصاغة والمارستان من حمامات القصر وحده البحرى ميدان كبير يتصل به كان يعرف بميدان الخرنشفت ومحل الشارع المعروف الآن بشارع الخرنفش وما يتصل به من الأزقة والدور وغيرها من المباني وكان هذا الميدان يمتد إلى نهاية البستان الكافورى عند الخليج وانما

عرف بالخرشتف لأن المعز أول من بنى فيه الاصطبلات بالخرشتف وهو ما يتجبر مما يوقد به على مياه الحمامات من الزبل وغيره كما به عليه المقرري ويؤخذ من هذا أن استعمال الزبل في وقود الحمامات قديم العهد ولم يزل جارياً إلى اليوم وقد بقي هذا الميدان فضاء إلى سنة ستمائة من الهجرة وبنيت بعد ذلك فيه الدور والامساكن والغازات والآلات من أعظم أخطاط القاهرة وقد بقي له اسمه القديم مع بعض تحريف قليل فتحول لفظ الخرشتف إلى الخرشتف وكان قبلي البستان الكافوري اصطبل الخيزرة وكان معه دنانير الفاطميين وكان له الساقية العظيمة المسماة بئر زويلة وقد تكلمنا على ذلك في موضعه والاصطبل المذكور كان ابتداءً به بالقرب من موضع سبيل المارستان ويشمل خط البندقيين وجزءاً كبيراً من حارات اليهود والمجاورة للسكة الجديدة وكان يشرف من الجهة الشمالية على ميدان الاخشيدي وفي سنة ثمانين وثلثمائة أمر الخليفة العزيز بالله ببناء جامع كبير خارج سور القاهرة فشرع في بنائه وكان من موضع باب النصر إلى محل باب الفتوح وخطب فيه قبل تمامه وسمي جامع الخطبة ثم مات قبل تمامه فكماله ابنه الحاكم بأمر الله فنسب إليه وإلى الآن هو موجود متخرب ويعرف بجامع الحاكم وفي أيام العزيز بالله بن يعقوب بن يوسف بن كلس داره في جهة الجنوب الشرقي من القاهرة في أرض ميدان الاخشيدي وكانت كبيرة جداً وسميت دار الوزارة والحارة التي هي فيها عرفت بالوزيرية وتعرف اليوم بدرب سعادة وكانت بجهة غلمان الوزير أربعة آلاف عرفوا بالطائفة الوزيرية واليه تنسب الوزيرية فانها كانت مسكنهم ثم جعلت بعد ذلك لعل الديباج إلى آخر دولة الفاطميين ثم بعد زوال دولتهم سكنها النصارى صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب فعرف خطها بخط النصارى وقد تغير ذلك كما وقامت هذه الدار دوراً وحارات وأسواقاً ومساجد ونحو ذلك ففي موضعها الآن سوق النجارة والموضع المشهور بدمق البن القديم وما جاور ذلك من المساجد والاماكن والخارة المشهورة بحجارة بيم ودرب الحريري المعروف بدرب القرن بحجارة درب سعادة وما وراء ذلك كله واستجد بحجارة الوزيرية وغيرها بجهة دروب كدرب الحريري الذي عرف بعد الدولة الفاطمية بدرب ابن قطز وهو الآن عطوفة صغيرة من عطف درب سعادة ودرب العداس وهو اليوم حارة جامع البنات وفي أيام العزيز بالله بنيت دار النظرة وخزان دار الفتكين والايوان الكبير بالقصر الشرقي واستجرت عدة جوامع ومساجد بالفسطاط * وكان من رسوم الجوامع والمساجد أن قاضي القضاة يتولى أحباسها وإليه أمرها وأهلها ديوان منفرد وفي سنة ثلاث وستين وثلثمائة جمعت أحباسها فباعت في السنة ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وكان مرتب كل مائة درهم في الشهر برسم الماء لزارها وكانت العادة قبل رمضان بثلاثة أيام أن تطوف القضاة على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة ليتفقدوا حصرها وقناديلها وعمائرها ومائتها ثم من أو نحو ذلك فيبتدون بجامع المقس ثم جامع القاهرة وهو الأزهر ثم المشاهد ثم القرافة ثم جامع مصر وهو جامع عمرو ثم مشهد الرأس وفي سنة ثمانين وثلثمائة ترتب المتصدرون لقراءة العلم بالجامع الأزهر والعزيز هو أول من أقام الدرس بمعلوم ثم في مدته عمل الوزير يعقوب بن كلس مجلساً في داره يحضره الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل وكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهب الفاطمية وعمل أيضاً مجلساً بجامع مصر لقراءة ذلك الكتاب وكان يسمى كتاب الوزير وبنى العزيز أيضاً منظره اللؤلؤة على الخليج بالقرب من باب القنطرة جهة جامع الشيخ عبد الوهاب الشافعي وكانت من أحسن منزهاتهم فانها كانت تشرف على الخليج من الغرب وعلى البستان الكافوري من الشرق وجعل لها سرداباً تحت الأرض متصلاً بالقصر الكبير وكان يركب في هذا السرداب من القصر الكبير إلى اللؤلؤة ويتحول إليه في أيام الخليج بحرمه وخواصه وكانت تطل على بستان يعرف بالمقسي وكان كبيراً جديداً إلى النيل وفي بعض محله الآن بركة الأزبكية وخط الموسيقى وبنى داراً لصناعة بالمقس بالقرب من موضع جامع أولاد عثمان وعمل المراكب التي لم ير مثلاً لها قديماً عظيماً ومائة وحسناً وكان ليوم خروج الاسطول رسوم ذكرها المقرري وكان الخلفاء يخرجون للفرجة فيمتلئ وجه النيل وساحله من المتفرجين فيكون ذلك اليوم من المواقف المشهودة وبنى أيضاً منظره الجامع الأزهر وكان يجلس فيها إلى الوفود وهي ليلة مستهل رجب وإيلة نصفه وإيلة مستهل شعبان وإيلة نصفه وقد تكلم عليه المقرري وأطنب وخلاصة ما كان أهم من الرسوم في ذلك أن يركب قاضي القضاة بهيئته المقررة ومعه

الشهود والمؤذنون والقراء يطربون بالقراءة وبين يديه الشمع المحمول اليه - وهو موقوف دامن كل جانب ثلاثون شمعة - كل واحدة منها سدس قنطار وغيره من الشمع الواحدة والاثنتان والثلاثة كل بحسب المقر له فمشون من أقول شارع فيه دار القاضي الى باب الخلافة وقد اجتمع من العالم في وقت جوارهم مالا يحصى فيسيرون الى باب الخلافة ويحضر صاحب الباب والى القاهرة والقراء والخطباء فيترجلون تحت منظره الخليفة ويخطبون وينصرفون بعد أن يسلم عليهم من الطاقة استاذ دار الخلافة استفتا حوا وانصرفا ثم يركب الناس الى دار الوزارة فيجلس اليهم الوزير في مجلسه ويسلمون عليه ويخطب الخطباء ويدعون له ويخبر جون فيشق القاضي والجماعة القاهرة وينزل بالجامع الأزهر والجامع الأحمر والجامع الأنور بالقاهرة والطيلوني والعتيق عصر وجامع القرافة والمشاهد التي تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التي لاربابها وجهة ويصل في كل مسجد ركعتين ويقدم للناس الحلواء والاطعمة والجذور في مجامر الذهب والفضة ويوقد في المساجد الشموع والقناديل الكثيرة فكان المرتب للجامع العتيق برسم وقوده خاصة في كل ليلة أحد عشر قنطارا ونصف قنطار من زيت الزيتون وغيره من المساجد شي كثير كل بحسبه وبالجملة فكانت هذه الليالي الاربع من أجمع الليالي وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتهم - من كل أوب فيصل اليهم فيها أنواع من البر وتعظم فيها أهل الجوامع والمشاهد وبنت والدة العزيز وهي الست تغريد جامع الاولياء بالقرافة قبلي الامام الليث رضى الله عنه وقصر بجواره وقد زال كل ذلك من زمن بعيد - ومحلها الآن حوش لدفن الموتى بعرف بحوش أبي علي وبنت أيضا الدار المعروفة بمنازل العز وكانت تشرف على النيل وصارت معدة للترهة الخلفاء وهي التي صارت فيما بعد مدرسة عرفت بمدرسة منازل العز وقد تكلمنا عليها في المدارس من هذا الكتاب وبيننا واضعها في الكلام على ساحل النيل وبني العزيز أيضا منظره السكرية على بر الخليج الغربي كان يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج وكانت قنطرة السيد يومئذ هي قنطرة عبد العزيز بن مروان ومحلها بموضع منزل الست الشماش حية بحارة السيدة زينب رضى الله عنها ومنظره السكرية حيث منزل المرحوم حسن باشا اسم من طريق القصر العالي الذي صار الآن ماسكالا جديدا باشا كمال كنانة - دم وكانت هذه المنظره جميلة الموقع في بس - تان أنيق يحيط بها البساتين من كل جانب وفي أيام الحاكم بأمر الله زادت الناس رغبة في العمارة بالقاهرة واستجدت بها حارات ودروب وبنت عدة مساجد بالفسطاط حتى قيل انه أحصى المساجد التي لا غلة لها فكانت ثمانمائة فأطلق لها من بيت المال تسعة آلاف درهم ومائتي درهم وفي سنة خمس وأربعمائة حبس خمس ضباغ عليها منها طفيح وصول وطوخ مع تحببس ضباغ أخرى على القراء والمؤذنين بالجامع وعلى المصانع والمساكن تان وأكثان الموتى وهو الذي كل جامع الخطبة فعرف به وسمى بالجامع الحاكمي وزاد في جهته الغربية محمل الأهرام أي الاشوان التي تجتمع فيها الغلال ذخيرة بالقاهرة وكانت في بعض أماكن من القاهرة أهرام يخزن بها في السنة ما يزيد عن ثلثمائة ألف اردب من الغل - أكثرها من الصعيد وكان منها اطلاق الاقوات لارباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان وما يتفق في الطواحين برسم خاص الخليفة ومنها يخرج جرايات رجال الاسطول وما يستدعي بدار الضيافة لاختبار الرسل ومن يتبعهم وكان بعض هذه الأهرام عند السور القبلي بقرب محل جامع المؤيد حيث موضع السجن المعروف بخزانة شمائل الذي كان بجوار باب زويلة على يسرة الداخل منه بجوار السور وكان هذا السجن من أشنع السجون الى أن هدمه الملك المؤيد شيخ الموحدي سنة ثمان عشرة وثمانمائة وأدخله مع ما أخذه من الدور بجوانبه في المدرسة الموحدة الآن المعروفة بجامع المؤيد وبني الحاكم أيضا خارج باب الفتوح شونا كبيرا جدا ملاه حطبا حتى خاف الناس من ذلك وثارت الاشاعة ان الحاكم يريد يجمع هذه الاحطاب احراق جماعة من الكتاب فضج الناس تحت القصر يطلبون الأمان فكتب لهم بالأمان حتى اطمأنوا وهذا الموضع الذي بناه هو أول ما بنى في موضع الحسينية وكان هو أول حارة الحسينية وبني أيضا جامع المقس الذي كان على شط بحر النيل وهو المعروف اليوم بجامع أرلاند عنان وكانت المنكوس تؤخذ في هذا الموضع وأمر بهدم منظره للؤلؤة وهدم سور القصر الكبير وبناه ثانيا وجد الباب المسمى بباب البحر وبني أيضا جامع راشدة بصرو هدم كنيسة لليهود كانت بجوار باب زويلة - دم من داخل وبني موضعها مسجدا كان يعرف

بمسجد ابن البناء كما في الخطط وهو الزاوية المعروفة الآن بزاوية سام بن نوح في العقادين ووجدت دار العلم القديمة التي كانت تجاه الجامع الاقرو كان يسلك اليها من قبوا الخرنفش ونقل اليها الكتب وأباح للناس الدخول فيها للمطالعة والنقل منها وأعتلهم الورق والمداد والاقلام وبنى أيضا خارج القاهرة الباب الحديد على شاطئ بركة الفيل عند رأس المنجبية وهي حارة الدالي حسين من خط المغربين ثم حدث حارتا الهلايسة واليانسية الموجودتان الى الآن وبنى أيضا بجزيرة الروضة جامع غين وبنى غلامه ملوخيا داره التي محلها درب ملوخيا المشهور الا أن بدرب القزاز بن من خط أم الغلام والى ذلك الحين كانت الجهة الشرقية من القاهرة فضاء لا بناء فيه الى الجبل وكانت السيول عند اشتدادها تدخل القاهرة فامر الحاكم بوضع كيمان خلف سور البرقية فصارت التلال الشاهقة التي نراها الآن وعليها بعض طواحين الهواء خلف حارة الدراسة بين القاهرة ومقبرة المجاورين فلما ضرب الدهر ضرباته ألقي جهر كس الخليلي على هذه التلال عظام الفاطميين لما نبش قبورهم كما مر وبنى الحاكم أيضا غير ما ذكرناه من العمارات وحذا حذوه الامراء وغيرهم من الناس فكثرت في زمنه المباني داخل البلد وخارجها وكثرت انعاماته فتوقف في امضا ثم أمين الامناء حسين بن طاهر الوزان فكتب اليه الحاكم بخطه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله كما هو أهله

أصبحت لأرجو ولا اتقى * الا الهى وله الفضل

جندى نبى وامامى أبى * ودينى التوحيد والعدل

المال ما لا الله والخلق عيال الله ونحن أمناءؤه في الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام الا أنه بسبب ما كان اعتداه من خلل العقل الذي انتهى به الى دعوى الألوهية لم يكن يثبت على أمر بل كان ما ينيه في اليوم يهدمه في الغد وكثر في أيامه الاضطراب والخلل في المصالح العمومية فلما آل الامر بعد وفاته الى ولده أبى الحسن على الملقب بالظاهر لا عزازدين الله كثرت المفاسد وخيفت الطرقات وزال الأمن لا قبالة على الله وشرب الخمر حتى رخص للناس فيه وفي سماع الغناء وأشياء سوى ذلك كانت ممنوعة في أيام أسلافه كشرب الفقاع وأكل الملوخيا وجميع الاممك وزاد السعور وعز وجود الخبز واشتد الغلاء وكثر نقص النيل كل ذلك والظاهر مشغول بذاته لا يصل اليه غير وزرائه ومنع الناس من ذبح البقر لقتلها وكثر الاضطراب والخوف في ظواهر البلد وتحدثت زعماء الدولة بمصادرة التجار فاختلف بعضهم على بعض وكثر ذبح طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا وفشت الامراض وكثر الموت في الناس وفقد الحيوان فلم يقدر على دجاجة وعز الماء لقله الظهر فعم البلاء من كل جهة وعرض الناس أمتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطنع عليهم الطريق بعد درجيلهم من بركة الحاج وأخذت أموالهم وقتل منهم الكثير وكثر الخوف من الدعار التي تكبس الحارات ونهبت الارياف وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت أمور من العامة قبيحة فكانت مدة خلافته من أشنع المدد وفي أيامه حفر البستان المقسى وجعل بركة ماء تملأ من خليج فم الخور الذي هو عند قنطرة الدكة وأصله ترعة صغيرة وكان يسمى أيضا خليج الذكر أوله عند قنطرة الدكة عند ما كان النيل بالمقس ولم يزل يمتد مع انحسار النيل حتى صار في أيام الناصر عند قنطرة سيدى أبى العلاء المجاورة لبور الماء ولما عمل الخليج الناصري صارت فوهة فم الخور منه لقطع مياه عن البحر وفي أيامه بنيت خزانة البنود وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع وكانت فيما بين قصر الشوك والمشهد الحسيني ومحلها اليوم منزل الأمير أحمد باشا رشيد بتلك الجهة وما جاوره من خط قصر الشوك وفي أيام الخليفة المستنصر بالله كثرت الاضطرابات لكثرة صرفه للوزراء والقضاة ولا يتم وهاهنا طمعه بالرعا ووقع ديم الاراذل فاشتبهت عليه الامور وتناقضت الاحوال ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وعسكر الترك وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الاعمال وقل ارتناؤها وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالامور وطغيان الاكابر الى أن آل الامر الى حدوث الشدة العظمى فخرّب أكثر أساطم والقواطع والمعسكر وكان لهذا الخراب سببان وهما الشدة العظمى ثم الحريق الذي حصل في وزارته شاور في آخر الدولة الفاطمية حين قدم الافرنج للاستيلاء على مصر وكان من أمر تلك الشدة انه لما قوت النتن أيام خلافة المستنصر ارتفعت الاسعار بمصر سنة ست وأربعين وأربعمائة وتبع الغلاء وباع فبعث الخليفة الى ممالك الروم بقطنة طينية ان يحمل الغلال الى مصر فاطلق أربعمائة

ألف اردب وعزم على حياها الى مصر فادركه أجله ومات قبل ذلك وقام من بعده في الملأ امرأة فكتبت الى المستنصر
تسأله ان يكون عوناً لها وان يدها بعسا كرم مصر اذا ثار عليها أحد فاني فجردت لذلك وعاقبت الغلال عن المسير الى
مصر فغضب المستنصر وجهز العسا كرو نوذى في بلاد الشام بالغزو ووقعت أمور بهولت ذكراً صاحب الخطط
منها ان الخليفة أمر بالقبض على جميع ما في كنيسة القمامة التي بيت المقدس وكان شياً كثيراً من الأموال فقبيد من
حينئذ ما بين الروم والمصريين حتى استولى الروم على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة واشتد الغلاء في تلك السنة
وهي سنة سبع وأربعين وأربع مائة وكثر الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة أربع وخمسين وأربع مائة وحدثت
الفتنة العظيمة التي تخرب بسببها أفليم مصر كله وسببها ان الخليفة - خرج على عادته السنوية على النجب مع النساء
والحشم الى بركة الحب فجرد بعض الأتراك سيفاً وهو سكران على أحد عبيد الشرا فاجتمع عليه كثير من العبيد
وقتلوه فمضى لقتل الأتراك وساروا بجمعهم الى الخليفة يسألونه هل كان ذلك عن أمره فتبرأ الخليفة من ذلك فاجتمعت
الأتراك لمحاربة العبيد فوقع بينهما محاربة شديدة بناحية كوم شريك من مديرية البحيرة قتل فيها كثير من العبيد
وانخرم باقيهم - ثم فشق ذلك على والده المستنصر لكونهم من جنسهم وكانت هي السبب في كثير من مصير فسكرات لحبها
الاكثر منهم تشتريهم من كل مكان حتى قيل انهم بلغوا اذ ذاك ما ينيف على خمسين ألف عبد وقد أمدهم في تلك الواقعة
بالأموال والاسلح سر او كانت قد تحركت في الدولة ونفذت كلمتها وحشت على قتل الأتراك فوقع الفتنة ثانياً
واستمرت العداوة بين الفريقين الى سنة تسع وخمسين فقويت شوكة الأتراك وتعدوا على الخليفة وطلبوا منه الزيادة في
واجباتهم وضاق الحال بالعبيد واشتدت حاجتهم وقل مال السلطان واستضعف جانبه فأغرت أمه العبيد ثانياً بالأتراك
فوقع بينهم وقعة بالبحيرة انخرم فيها العبيد الى الصعيد فازدادت قوة الأتراك وتعدوهم وكثر أذاهم واستخف رئيسهم
ابن جردان بالخليفة فأغرت أيضاً باقيهم - ثم الموجودين بمصر فوقع بين الفريقين عدة وقعات خارج القاهرة انتهت
بنصرة الأتراك فزاد شرمهم واستمر الى سنة ستين وأربع مائة فأنحرق ناموس الخلافة واستهانوا بالخليفة وصار مقرهم
أربع مائة ألف دينار بعد أن كانت ثمانية وعشرين ألف دينار في الشهر فلما ندموا في الخزانة عثوا بطالاً وبه بالمال فاعتذر
لهم فلم يشاؤوا وألزموه ببيع ذخائره فبيع ما كان في خزانة القصر من الامتعة والجواهر ونقائس الأموال والكتب
وانتهب ما انتهب وقد أظنبت المقرير في الكلام على ذلك ثم سار ابن جردان الى الصعيد وقاتل العبيد حتى أفنى منهم
الكثير وهزم من بقي منهم وعاد الى القاهرة واستبدت سلطنة مصر ودخلت سنة إحدى وستين وهو مستبد بالامر فثقل
مكانه على الأتراك فاجتمعوا جميعاً مع العبيد وساروا الى الخليفة فبعث الى ابن جردان يأمره بالخروج من مصر وتمده
ان لم يخرج فخرج الى البحيرة فانتب الناس دورهم ودور حواشيهم فلما جن الليل عاد سرا ودخل الى دار القائد تاج الملوك
شادي وتراحمي عليه وقبل رجليه فقام لنصرته وحصلت وقعة بين عسا كره وعسا كره الخليفة آل أمرها الى انخرام ابن
جردان الى البحيرة وكثر النهب واشتد الغلاء والقحط حتى أكل الناس الجيف وقطعت الطرق وكثر القتل فيها الى أن
دخلت سنة ثلاث وستين وأربع مائة فجهز الخليفة جيشاً لقتال ابن جردان فوقع بينهم حروب انخرمت فيها عسا كره
الخليفة وتلك ابن جردان جميع الوجه البحري وترك اسم الخليفة القاطم من الخطبة وخطب باسم الخليفة القائم
بأمر الله العباسي ونهب أكثر الوجه البحري وقطع الميرة عن القاهرة فظم البلاء واشتدت المجاعة وتزايد الموت وحل
بالناس ما لا يطاق ولا يوصف فاضطر الخليفة الى مصالحة ابن جردان فصالحه على مال يحمل اليه فاطلق الغلال
فدخلت مصر وبعده شهر وقع الاختلاف بينهم فزحف الى مصر وحاصرها وانهم أوا حرق من الساحل دوراً كثيرة
ورجع الى البحيرة في سنة أربع وستين وأربع مائة فتتفاقم الامر في الشدة وتلاشى ذكر الخليفة فسار ابن جردان الى
البلدة فملكها وتصرف في أمر الخلافة والخليفة وكانت مدة هذا الغلاء سبع سنين وفارق كثير من الناس البلد
وخرب القضا طاطوا ولا وضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلي القرافة الى بركة الحبش وانتشرت الفتن بكافة
أنحاء القطر وملك عرب لوانة الريف وصار الصعيد بايدي العبيد فكتب الخليفة المستنصر الى أمير الحيوش أبي
النجم بدر الجمالي نائب عكا وقتئذ يستدعيه ليكون القائم بتدبير دولته فحضر من البحر بعسكر جزار وسار حتى دخل
القاهرة وقبض على الأمراء وقتلهم وأقام مقامهم سواهم من رجاله وتبع المنسدين في كل جهة من جهات مصر من

الاقاليم البحرية والقبالية من العرب وغيرهم حتى أفناهم عن آخرهم واستصفي أموالهم فاستقامت الاحوال
 واستتب له الامور وأراح الفلاحين من الاموال ثلاث سنين حتى صلت أحوالهم وحسنت حال مصر والقاهرة ولما
 سكن أمير الجيوش بدر الجمالي القاهرة فوجدها غير عامرة فأمر الناس من العسكر والارمن وغيرها ان يعمر كل من
 وصلت قدرته الى عمارة ماشاء في القاهرة من أنقاض ما تخرب من النسطاط فأخذوا في نقل أنقاض ظاهر مصر مما
 بلى القاهرة حيث العسكر والقطائع فصار محالها فضاء وتلا بين مصر والقاهرة وكذا بينهما ما بين القرافة وأكثر
 الناس من عمارة الدور وغيرها في القاهرة وسكنوها واتسعت دائرة العمارة وسكنها أصحاب السلاطان الى انقراض
 الدولة الفاطمية والى ذلك الوقت كان البر الغربي للخليج خاليا من البناء البتة وكانت بركة الازبكية بعضها بستان
 وبعضها بركة في بحريه وودثرت في الشدة العظمى ثم بنت طائفة من العبيد حارة في بر الخليج الغربي تجاه اللؤلؤة عرفت
 بحارة اللصوص سكنها المبيد من طوائف العسكر وغيرهم وهجرت بركة الازبكية وصارت موحشة بعد أن كانت من
 أجل المتزومات وكثرت المباني خلف السور من الجهات الثلاث القبالية والشرقية والبحرية فبنى الوزير بدر الجمالي أمير
 الجيوش عليه سورا جديدا يدور بهما الابواب الثلاثة الموجودة الآن وهي أبوابه باب النصر وباب الفتوح وباب
 زويلة كلها من انشاء أمير الجيوش المذكور وكانت في ذلك السور وصارت مساحة القاهرة اربعة مائة فدان
 بعد ان كانت عند وضعها ثلثمائة وأربعين فداناً كما قدمنا وما حدث من البناء بين السورين القديم والجديد
 سمى بين السورين وفي وزارة أمير الجيوش بنيت دار المظفر وصارت دار وزارة وسكنها أمير الجيوش في أيام وزارته
 ومن بعده صارت الى برجوان ثم هي الآن جملة بيوت وحارات وقدينا كلاً في محله من هذا الكتاب وأحدث
 المستنصر بستاناً خارج باب النصر وأحدث أمير الجيوش سوقاً في أول الشارع الموصل الى باب القنطرة عرفت
 بسوق بقية أمير الجيوش وعرف الشارع بشارع أمير الجيوش ثم حرقته العامة بمرجوش وفي وزارة الفضل أبي
 القاسم شاهنشاه بعد وفاة والده أمير الجيوش بدر الجمالي بنيت دار الوزارة الكبرى ومحالها الآن من حارة المبيضة الى
 حارة الجوانية واستمرت كذلك الى آخر الدولة الفاطمية وكانت تعرف بدار القباب وفي سنة احدى وخمسمائة بنى
 الفضل دار الملك بالساحل القديم للنيل بآخر مصر العتيقة وانتقل اليها وجعل بها مجلس فيه سماء مجلس
 العطايا وأمر بتفصيل ثمانية ظروف من ديباج أظلم كل اثنين من لون وجعل في سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار
 في كل ظرف خمسة آلاف دينار سكبا وبطاقة بوزنه وعدده وشراية تحرير كبيرة من ذلك ستة ظروف ودنانير بالسوية عن
 اليمن وعن الشمال في ذلك المجلس وظرفان عند مرتبة الفضل بقاعة اللؤلؤة أحدهما دنانير والاخر دراهم جدد
 فالذي في اللؤلؤة برسم ما يستدعيه الفضل اذا كان عند الحرم والذي في مجلس العطايا كان يصرف منه للشعراء اذ لم
 يكن للشعراء في الايام الافضالية ولا فيما قبلها من تيات على الشعراء انما كان الامر أنه اذا اتفق ان السلطان طرب
 من شعراء دهم واستحسنه أعطاه ما يسره الله على حكم الجائرة فرأى القائد ان يكون العطاء من تلك الظروف وكذا
 يصرف منها لمن يسأل الصدقة وما ينعم به ابتداء من غير سؤال واذا انصرف الحاضرون أنزل المبلغ المنصرف في
 البطاقة بخط وكتب عليه صح وأحصى ما بقى وأكمل الظرف وختم عليه وهكذا وأنشأ الفضل أيضاً بظاهر القاهرة
 من جهة البحريه بجانب الخليج الغربي منظره البقل وكانت في المحل السكان تجاه قنطرة الازو وأغلب ما يدخل الآن
 في التركة الاسماعيلية وباقيها صار بعضه بركة وبعضه تلاوي بعد ما كانت منظره التاج ثم قبلة الهواء ثم منظره
 الخمس الوجوه وهي الارض التي بين الامير ابراهيم باشا وأدهم الآن من أرض مهم مشا وكان لكل منها بستان أتيق
 يطل على النيل أنشأ أيضاً منظره باب الفتوح خارج باب الفتوح فيما بين البساتين الجيوشية ومحل هذه المنظره
 الارض المرتفعة التي بنيت فوقها المنازل في وسط شارع أبي قحسة بجري الحمام الموجود في الحسينية وكانت
 من المناظر الفخيمة وكانت البساتين الجيوشية ممتدة أولها من زقاق الكحل المعروف الآن بشارع الدشتوطي
 وآخرها منية مطروهي الطريق اليوم والبساتين والمزارع الموجودة الآن خارج باب الحسينية هي بعض منها
 وفي زمن الفضل صارت دار برجوان دار الضيافة وبقيت كذلك الى آخر الدولة الفاطمية ثم بنى الفضل جامع
 الفيلة ومسجد الرصد عند بركة الحبش وكان محل هذا المسجد البقعة المعروفة بالرصد وهو شرف يطل من غربيه

على خطبة راشدة ومن قبليه على بركة الحبش وهي أراضى قرية البساتين بحسبهم من يراد من جهة راشدة جبلا وهو من شرفيه سهل يتوصل اليه من القرافة بغـ برصعود وهو محاذ للشرف الذي كان من جملة العسكر وهو الشرف الذي يعرف بالكبش و= إن الجبل الذي بنى فوقه المسجد المتقدم ذكره يقال له قديما الجرف ثم عرف بالرصد من أجل أن الأفضل جعل فوقه كورة الرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد وأولا جعلها فوق سطح جامع القبلة ولما وجدوا المشرف لأول بروز الشمس مسدودا اتفقوا على نقل الآلات إلى المسجد الجيوشى مجاورا للانطاكي المعروف أيضا بالرصد وكان الأفضل بناد أحسن من جامع القبلة ولم يكمل فلما صار برسم الرصد كمل فحضر الأفضل في نقل الحلقة من جامع القبلة إلى المسجد الجيوشى ثم رصدوا الشمس بعدد كلفة فلما قتل الأفضل سنة خمس عشرة وخمسمائة ومقت الوزارة للمأمون البطائحي أحب أن يتم جميع الأعمال وأن يقال له الرصد المأمونى المصحح كما قيل للأول الرصد المأمونى الممتحن فأخرج الأمر بنقل الرصد إلى باب النصر بالقاهرة فنقل بعد اعتاب وعناء شديد فلما أراد الله وبقي المأمون قليلا اكمل جميع رصد الكواكب لكنه قبض عليه يوم السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة وكان من جملة ما عدى من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه وقيل أطمعته نفسه في الخلافة فسماه الرصد المأمونى ونسبه إلى نفسه ولم ينسبه إلى الخليفة الأمر بأحكام الله فلما قبض عليه بطل وانكر الخليفة على عمله فلم يجسر أحد أن يذكروه وأمر بكسره فكسروا وحمل إلى المناجات وبالجملة فقد اعتنى الأفضل بالعمارة وبنى المباني الفاخرة والمناظر الباهرة وفي زمنه عملت البساتين الفاتكة في جهات متعددة في ضواحي مصر فكانت البساتين تحيط بالقاهرة من جميع جهاتها وفي بعضها القصور والمناظر الفاخرة وفي أيام وزارة الأفضل مات المستنصر وتولى من بعده ابنه المستعلي بالله أبي القاسم أحمد وكان القائم بالأمور كالأفضل وفي زمن المستعلي انقطعت الخطبة للناظميين من دمشق وخطب بهم العباسيين وخرج الأفرنج من القسطنطينية لأخذ سواحل الشام وغيرها من أيدي المسلمين فلما كوا انطاكية وكان بينهم وبين عساكر مصر حروب كثيرة ولما مات المستعلي بالله تولى ابنه الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأيامه وكان ذلك في سنة تسعين وأربعمائة وكان أمر الدولة إلى الأفضل بن أمير الجيوش إلى أن قتل فاستوزر بعده القائد أبا عبد الله محمد بن فاتك البطائحي وألقبه بالمأمون فقام بأمر الدولة إلى أن قبض عليه في سنة تسع عشرة وخمسمائة فتفرغ الأمر لنفسه ولم يبق له ضد ولا من أحمه وكان كثير الترهة ومحبة المال والزينة وكانت أيامه كلها الهوا وعيشته راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشيه وكان أمر شديد السمرة يحفظ القرآن ويكتب خطا ضعيفا وهو الذي جدد رسوم الدولة وأعاد إليهم حجته بعدما كان الأفضل أبطل ذلك ونقل الدواوين والاسمطة من القصر بالقاهرة إلى دار الملك بمصر وهو الذي أمر بإنشاء المراكب والشواني بصناعة مصر وكانت المراكب الحرفية تصنع بالجزيرة وأضاف إلى الصناعة التي كانت في الساحل من إنشاء الأمير أبي بكر محمد بن طنجج الأخشيدي دار الزيب وأنشأ بها منظره الجلوس الخليفة وكان بهذه الصناعة ديوان الجهاد وفي زمن ابن طولون كان محله دار خديجة بنت الفتح بن خاقان امرأة الأمير أحمد بن طولون فلما زال ملك بني طولون أخذها الأمير أبو محمد الأخشيدي وعمالها دار صناعة وقد بقيت بعده مستعملة يجلس بها الملوك والسلاطين إلى سنة سبع مائة من الهجرة فعملت ببستانا عرف ببستان ابن كيسان ثم عرف بعد ببستان الطواشي وكان ما بين هذه الصناعة والروضة بحرا ثم تربي جرفا عرف بموضعها بالجرف وأنشئ هنالك ببستان عرف ببستان الجرف وقيل لهذا الجرف بين الزقاقين وكان فيه عدة دور وحمامات وطواحين ثم خرب في سنة ستة وثلاثمائة وخرب ببستان الجرف أيضا وإلى وقت المقرئى كان لبستان الطواشي بقية وهو على يسرة من يريد مصر من المراغة وبظاهرة حوض ما ترده الدواب ومن وراء البستان كمان فيها كنيسة للنصارى (قلت) ولم تزل الكنيسة باقية إلى الآن على عيين السالك إلى زين العابدين من الطريق الواقع تجاه قنطرة السد وبستان الطواشي أيضا الآن بعض أرض خربة خلف التلال في أيدي ورثة الشيخ علي العدوي خادم السيدة زينب رضى الله عنها والبعض فيه أما كن من خط السيدة زينب أيضا وبعضه التلال التي على عين السالك من مصر العتيقة إلى السيدة زينب كما أن على يساره موضع ببستان الجرف وفيه الآن المنازل والأزقة الموجودة بخط السيدة زينب رضى الله عنها شرق الخليج وفي موضع الحوض المتقدم ذكره زاوية

الحبيبي الموجودة الآن وفي أيام الخليفة الآخر بإحكام الله ملك الأفرنج كثير من المعقل والحصون بسواحل الشام
فلكت عكا وغزة وطرابلس وبناس وجبيل وغيرها من البلاد ومع ذلك كانت أحوال مصر راكبة والعمارة في
مصر والقاهرة في ازدياد لا سيما في وزارة البطاحي فهو الذي أعاد بركة الأزبكية وجعل بها الماء بعد حفرها ونعم بها
وسميت من وقتئذ بركة بطن البقرة وبني دار الذهب بخط بين السورين وكانت مطلة على الخليج وبني له دارا تجاه
خزانة الدرق وهي التي بعلمها يوسف صلاح الدين مدرسة عرفت بالمدرسة السيوفية كما في الخطط وبعضها الآن
جامع الشيخ مطهر من شرق وأعاد في زمنه سكنى الخليفة بمنظرة اللؤلؤة وعمرها وعمرة بمنظرة الغزالة على الخليج وبني
للمصامدة (وهي فرقة من العساكر الفاطميين) خارج باب زويلة حارة عرفت بحارة المصامدة والآن تعرف بحارة
درب الاغوات وعمرت الناس البيوت في الشارع الأعظم حتى صارت مصر والقاهرة لا يتخللها ما خراب وبني الناس
من الباب الجديد حيث درب الدالي حسين إلى باب الصفا حيث كوم الجمارح ولما بني الصالح طلائع جامع معه كان خط
الدرب الأحمر وما بعده إلى القلعة خرابا جميعه لانه فيه إلى ما بعد سنة خمس مائة ثم صارت الناس يقربون موتاهم من
خلفه إلى جامع ابن طولون وفي زمن الآخر بإحكام الله بني الجامع الاقرو وبني دار الضرب التي محلها الآن في أول حارة
الصناديقية على بين السالك إلى الأزهر وبني في جزيرة الروضة الهودج وأسكن به محبوبته البدوية وبني المأمون
البطاحي أيضا دار العلم الجديدة خارج القصر واليوم محلها وكالة سليمان أغا السلا حدار الكبيرة التي تجاه خان
الخليلي واستجد أيضا بالمناخ السعيد طواحين برسم الرواق وموضعها الآن صدر حارة المبيضة وما وراء ذلك من
حارة العطوفية وبني فوق أبواب القصر مناظر أحدها فوق باب الذهب كان يجلس بها الخليفة لعرض الجيوش
وكانت تسمى الزاهرة واثنان من داخل القصر وهما الناضرة والناضرة ولما قتل الآخر بإحكام الله أقام برغش
وهزار الملوك الأمير أبا الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله في دست الخلافة ولقباه بالحافظ
لدين الله وأنه يكون كفيلا مستظرف في بطن أمه من أولاد الآخر وكان عبد المجيد قد ولد بعسقلان سنة سبع وقل عثمان
وتسعين وأربع مائة لما أخرج المستنصر ابنه أبا القاسم مع بقية أولاده في أيام الشدة فلذلك كان يقال له في أيام الآخر
بإحكام الله (الأمير عبد المجيد العسقلاني ابن عم مولانا) فلما أفضى إليه الأمر على ما ذكر استقر هزار الملوك المقدم
ذكره في الوزارة إلى أن قام العسكر ونهبوا شارع القاهرة وقتلوا الوزير هزار الملوك ولوا عوضه أبا علي بن الفضل
وذلك كله في يوم واحد واستبدأ أبو علي بالوزارة فقبض على الحافظ وحبسهم مقيدا فاستمر إلى أن قتل أبو علي سنة ست
وعشرين وخمس مائة فخرج من معتقله وأخذ له العهد على أنه ولي عهد كفيلا لمن يذكر اسمه فالتحق الحافظ هذا اليوم
عيد اسماء عيد النصر وصار يعمل كل سنة ونهبت القاهرة يومئذ وقام يانوس صاحب الباب بالوزارة إلى أن هلك بعد
تسعة أشهر فلم يستوزر الحافظ بعد أحد أو تولى الأمور بنفسه إلى سنة ثمان وعشرين وخمس مائة فقام ابنه سليمان
ولي عهده بمقام وزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فجعل مكانه ابن حيدرة فخلق ابنه حسن وسار بالفتنة وانتهى
أمره بالقتل فلما قتل حسن قام بهرام الأرمي وأخذ الوزارة سنة تسع وعشرين وخمس مائة وكان نصرانيا فاشتد ضرر
المسلمين من النصارى وكثرت أذيتهم فسار رضوان بن ونحشى وهو يومئذ متولى الغربية وجع الناس لحرب بهرام
وسار إلى القاهرة فأنهزم بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة فأوقع
بالنصارى وأذلهم فشكره الناس على ذلك لأنه كان خفيفا عجولا فأخذ في إهانة حواشي الخليفة وهم بجملته وقال
ما هو بامام وانما هو كفيلا لغيره وذلك الغير لم يصح فتوحش الحافظ منه ولم يرل يدبر عليه حتى ثارت فتنة أنهزم فيها
رضوان وخرج إلى الشام فجمع جماعة وعاد سنة أربع وثلاثين وخمس مائة فجهز الحافظ له العساكر لمحاربتهم
فقاتلهم وأنهم هزمهم إلى الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ بعد أحد وفي سنة اثنين وأربعين
خاص رضوان بالهرب من معتقله بالقصر وخرج من نهب وثار بجماعة وكانت فتنة آتت إلى قتله وهكذا كانت الفتنة
تتكرر حتى مات في أحد أحوال الحافظ سنة أربع وأربعين وخمس مائة وفي أيامه بني الوزير يانوس الحارة الليانسية
لعساكره خارج باب زويلة وولى الخلافة بعد الحافظ ابنه الظافر بأمر الله أبو منصور اسمعيل فقام أربع سنين
وبعض الخامسة ثم قتل وكان محكوما عليه من الوزارة وفي أيامه أخذت عسقلان وظهور الخلل في الدولة وكان كثير

الله هو الله وهو الذي أنشأ الجامع الآخر الذي عرف بالظافري وجامع الفاسكهين ويعرف الآن بجامع
 الفاكهاني في شارع العقادين ولما قتل الظافري ولي الخلافة بعده ابنه الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى الفائز وبني
 المسجد الحسيني داخل باب الديلم من أبواب القصر لما نقل الوزير الصالح طلائع بن رزيك الرأس الشريف من
 مسجد عقلا ن ودخل به القاهرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ووضعه بمكان من البستان الكافوري ثم نقله إلى
 المشهد وكان المرور بالرأس الشريف من السرداب المتصل بالقصر والبستان الكافوري وكان دفنه بموضعه الآن
 وبني أيضا جامع الصالح طلائع خارج باب زويلة لجعله مدفنا للرأس الشريف فلم يكنه أهل القصر من ذلك وحدثت
 حارة الصالحية ولما مات الفائز أقام الصالح بن رزيك في الخلافة بعده العاضدين الله وكان عمره إحدى عشرة سنة
 وقام الصالح بتدبير الأمور إلى أن قتل في رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة فقام من بعده ابنه رزيك بن طلائع
 وحسنت سيرته فعزل شاور بن مجير السعدي عن ولاية قوص فلم يقبل العزل وحشد دوسار على طريق الواحات في
 البرية إلى تروجه (وهي بلدة قديمة بديرية البحيرة صارت الآن خرابا) فجمع الناس وسار إلى القاهرة فلم يثبت
 رزيك أن فرقة بعض عليه باطنج واستقر شاور بن مجير السعدي في الوزارة إلى أوائل صفر سنة تسع وخمسين
 وخمسمائة والخليفة يومئذ العاضدين الله عبد الله بن يوسف اسم لا معنى له وتلقب شاور بأمير الجيوش وأخذ أموال
 بني رزيك وأقام في الوزارة إلى أن ثار ضرغام صاحب الباب ففر منه شاور إلى الشام واستبدت ضرغام بسلطنة مصر
 فكان بمصر في هذه السنة ثلاثة وزراء هم العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك وشاور بن مجير وضرغام فأساء ضرغام
 السيرة وقتل أمراء الدولة فضعفت بسبب ذهاب كبارها فقدم الأفرنج وحاربوا مدينة بلبليس مدة ودافعهم المسلمون
 عدة مرات حتى عادوا إلى بلادهم بالساحل ورجع العسكر إلى القاهرة وقتل منهم كثير ثم انشاور واستجد بالسلطان
 نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فأنجده وبعث معه عسكرا كثيرا في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين
 وخمسمائة وقدم عليه أسد الدين شيركوه على أنه يكون لنور الدين إذا عاد شاور لمنصب الوزارة ثلث خراج مصر
 بعد إقطاع العساكر وأنه يكون شيركوه عنده بعساكره في مصر ولا ينصرف إلا بأمر نور الدين ووصل بعساكر
 الشام فخار به ضرغام على بلبليس بعساكر مصر مرارا وانهم زموا في آخرها وغنم شاور ومن معه سائر ما خر جوابه
 وكان شيئا جليلا فسر وأبذل وساروا إلى القاهرة ونزل عن معه عند التاج وهي أرض إبراهيم باشا أدهم بالمهمشة
 وحصلت وقعة بين الفريقين في أرض الطبالة وهي أرض الفجالة ثم انتقل شاور إلى المقس عند أولاد عنان فخار به
 أهل القاهرة فانهم زمو وقام على بركة الحبش وهي أرض قرية البساتين واستولى على مدينة مصر فمال الناس إليه
 وانحرفوا عن ضرغام فقام شاور ونزل بالقوق وكانت حروب آلت إلى إحراق الدور من باب سعادة إلى باب القنطرة
 ثم كانت بين الفريقين حروب أيضا آلت إلى هزيمة ضرغام وقتله في شهر رمضان من أفاستولى شاور على الوزارة مرة
 ثانية واختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب واحترق وجهه الخيلج خارج القاهرة بأسره
 وقطعة من حارة زويلة وبعث شاور إلى مري ملك الأفرنج يستدعيه إلى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه
 من الغز فحضر وقد سار شيركوه إلى مدينة بلبليس وترك حصار القاهرة فخرج شاور من القاهرة ونزل هو ومري
 على بلبليس وحاصرا شيركوه ثلاثة أشهر وبلغ ذلك نور الدين فأغار على ما قرب من بلاد الأفرنج وأخذها من أيديهم
 فخافوه ووقع بينهم الصلح فسار شيركوه بالغز إلى الشام ورحل الأفرنج وعاد شاور إلى القاهرة سنة ستين وخمسمائة
 فلم يزل إلى أن قدم شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية يريد أخذ مصر فخرج شاور من القاهرة إلى لقائه واستدعى
 مري ملك الأفرنج فسار شيركوه على الشرق وخرج من أطنج وقصد بلاد الصعيد فسار إليه شاور بالأفرنج وكانت
 له معه وقعة عظيمة فسار شيركوه بعد الوقعة من الأشمونين وأخذ الاسكندرية وعاد شاور إلى القاهرة وخرج شيركوه
 من الاسكندرية بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يزل يسير من الاسكندرية
 إلى قوص وهو يجبي البلاد فخرج شاور من القاهرة بالأفرنج ونازل الاسكندرية فبلغ شيركوه ذلك فعاد من قوص
 إلى القاهرة وحاصرها ثم كانت أمور آلت إلى مسير شيركوه وأصحابه من أرض مصر إلى الشام في شوال وقد طمع
 الأفرنج في البلاد واستلموا أسوار القاهرة وأقاموا فيها شهنة معه عدة من الأفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال

البلد والذي تقرر لهم في كل سنة مائة ألف دينار وفخش أمر شاوور وسات سيرته وكثر تجروءه على الدماء واتلافه
للأموال فلما كانت سنة أربع وستين وخمس مائة قوى تمكن الأفرنج من القاهرة وجاروا في حكمهم ما أوأهانوا
المسلمين بأنواع الأهانة وتيقنوا عجز الدولة عن مقاومتهم فسار مري يريد أخذ القاهرة ونزل على مدينة بليس
وأخذها عنوة وسبي أهلها وقصد القاهرة فكتب العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكي يستصرخه ويحثه على نجدة
الإسلام وانقاذ المسلمين من الأفرنج وجعل في كتبه شعور نسائه وبناته فجهر بأسماء الدين شيركوه في عسكر كثير
وجهزهم وسيرهم إلى مصر وكانت عسكر الأفرنج قصدت النزول على بركة الحبش وقد انضم الناس من الأعمال إلى
القاهرة فنادى شاوور بعصرانه لا يقيم بها أحد وأزعج الناس في النقلة منها فتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم
وأولادهم وقدموا على الناس واضطربوا فكاثروا من قبورهم إلى المحشر لا يعابوا بالدولاه ولا يلتفت أخ لاخيه
وبلغ كراء الدابة من مصر إلى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الجمل ثلاثين دينارا ونزلوا بالقاهرة في المساجد
والحمامات والأزقة وعلى الطرقات مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم ينتظرون هجوم العدو
على القاهرة بالسيف كما فعل بمدينة بليس وبعث شاوور بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك
فيها فارتفع لهيب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظرها أثلا فاستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم
التاسع والعشرين من صفر لتمام أربعة وخمسين يوما والنهاية من العبيد ورجال الأسطول وغيرهم بهذه المنازل في
طلب الخبايا ورحل مري ونزل بساب البرقية وهو باب الغريب وقاتل أهلها قتلا شديدا حتى كاد يأخذها عنوة فسار
إليه شاوور وخادعه حتى رضى بحال يجمعه له فشرع في جبايته وإذا بالخبر ورد بقدم شيركوه فرحل الأفرنج عن
القاهرة ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثلث مرة فخلع عليه العاضد وأكرمته وأخذ شاوور يقتل بالغز على عادته
فقتلوه وتقدم شيركوه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة أيام ومات ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين
يوسف بن أيوب فأمر بإحضار أعيان أهل مصر الذين رحلوا عن ديارهم في الفتنة وساروا إلى القاهرة وأمرهم بالعود
فنودي في الناس بالرجوع إلى مصر فراجع الناس قليلا وعمر واحول الجامع ولكن لم تكمل العمارة ولم تطل المدة
وتوالت المحن والشدائد إلى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء في سلطنة الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب سنة خمس
وستين وخمس مائة فخرّب من مصر جانب كبير ثم تحايا الناس وأكثر وأمن العمارة بجانب مصر الغربي على شاطئ
النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين قلعة الروضة وفي سلطنة الملك العادل كتبت سنة ست وتسعين وستمائة خرب
كثير من مساكن مصر بسبب الوباء الذي حصل ثم تراجع الناس بعد سنة تسعة وأربعين وسبع مائة ثم حدث القناء
الكبير فخرّب أكثر المنازل ثم تحايا الناس إلى سنة ستة وسبعين وسبع مائة فشرقت بلاد مصر وحصل الوباء بعد الغلاء
فخرّب أكثر العامر إلى سنة تسعين وسبع مائة فعظم الخراب وشرع الناس في هدم الدور حتى صارت تلالا كما ترى وأما
القاهرة المحروسة فانها وإن كانت بخراب الفساط قد غت فيها العمارة واتسعت دائرتها باتت عال من القل اليها من
كان بالفساط وغيرها إلا أنها حصل فيها كثير من التقلبات السياسية والتغيرات الدولية بتعاقب السلطنة وتداول
الدول كما سيذكر فإن صلاح الدين من حين أخذ بزمام الأحكام وإدارة الأمور أخذ يدير في إزالة الدولة الفاطمية
والتمهيد للدولة الكردية والخلافة العباسية فبذل الأموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال فلم يزل أمره
في ازدياد وأمر العاضد في نقصان وصار يخطب بعد العاضد للسلطان محمود بن نور الدين وأقطع أصحابه البلاد وأبعد أهل
مصر وأضعفهم واستبد بالأمور ومنع العاضد من التصرف حتى تبين للناس ما يريد من إزالة الدولة فقامت عبيد
الدولة عليه فهزمهم وأبادهم وأفناهم ومن حينئذ تلاشى العاضد واضمحل أمره ولم يبق له سوى أهامة ذكره في
الخطبة ولوقعة العبيد هذه خبر طويل ذكره في الخطط ومخلصه أن مؤتمن الخلافة جوهر أحد الاستاذين المخلصين
بالقصر تحدث في إزالة صلاح الدين يوسف بن أيوب من وزارة الخليفة العاضد لدين الله عندما ضيق على أهل القصر
وشدد عليهم وأسس تبد بالأمور الدولة وأضعف جانب الخلافة وقبض على أكابر الدولة فصار مع جوهر عدة من الأمراء
المصريين والجند واتفق رأيهم على أن يبعثوا إلى الأفرنج ببلاذ الساحل يستدعونهم إلى القاهرة حتى إذا خرج
صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا عليه وهم بالقاهرة واجتمعوا مع الأفرنج على إخراجهم من مصر ووقف صلاح الدين

على هذا الخبر تخاف مؤمن الخلافة ولزم القصر وامتنع من الخروج منه فاعرض صلاح الدين عن ذلك بجملة وطال الامر فظن الخصى انه قد أهمل أمره فصار يخرج من القصر وكانت له منظرة بناحية الحرقانية في بستان تخرج اليها في جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فانهمض اليه عدة هجاء واعليه وقتلوه واجتزوا رأسه وأتوا به الى صلاح الدين واشتهر ذلك بالقاهرة وأشيع فغضب ~~الملك~~ ~~المصريون~~ وناروا بأجمعهم في سادس عشر ذى القعدة سنة اربع وستين وخسمائة وقد انضم اليهم عالم عظيم من الامراء والعامة حتى صاروا ما ينيف على خمسين ألفا وساروا الى دار الوزارة وفيها يومئذ صلاح الدين وقد استعدوا بالاسلحة فبادر شمس الدولة نحر الدين توران شاه أخو صلاح الدين وخرج في عساكر الزوركب صلاح الدين وقد اجتمع اليه طوائف من أهله وأقاربه وجمع الغزورتيهم ووقع بينهم وبين العبيد وقعة بين القصرين وكانت الهزيمة تكون على الغزول لان ثبت صلاح الدين وأخوه وقصد حرق المنظرة التي بها الخليفة لميل أهل القصر للعبيد وساعدة الخليفة اهتم فعند ذلك خاف الخليفة وفتح باب المنظرة زعيم الخلافة أحد الاساذين وقال بصوت عال أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب أخرجوه من بلادكم فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم ووضع الغزفيهم السيف فقتل منهم الكثير وانهمزمو الى السيوفيين بقرب الغورية وهناك قتل منهم العدد الوافر كما دخلوا مكانا حرقوه عليهم وهكذا حتى صاروا الى باب زويلة فوجدوه مقذلا فلم يجدوا مخلصا ووقع فيهم القتل من كل ناحية وطلبوا الايمان فأمهم صلاح الدين وفتح الباب فخرجوا الى الجيزة واقتنى أثرهم حتى أفناهم عن آخرهم وتمكن بعد ذلك صلاح الدين من الديار المصرية وصار هو الحاكم المستبد يفعل ما يشاء وصار يوالي الطلب من العاضد في كل يوم ليضعفه حتى أتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك ولم يبق عند العاضد غير فرس واحد فطلبه منه وألجأه الى ارساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت وصار لا يخرج من قصره البتة وتتبع صلاح الدين جند العاضد وأخذ دورا الامراء واقطاعاتهم فوهمها لاصحابه وبعث الى أبيه وأخوته وأهله فقدموا اليه من الشام فلما كان في سنة ست وستين وخسمائة أبطل المكوس من ديار مصر وهدم دار المعونة بمصر وعمرها مدرسة للشافعية وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعية وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي وجعل اليه الحكم في اقليم مصر كله فعزل سائر القضاة واستناب قضاة شافعية وعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة خطبتين للجمعة في بلاد واحد كما هو مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقرها بالجامع الحاكمي من أجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين اسست تولى السلطان صلاح الدين الى ان أعيدت الخطبة في أيام السلطان الظاهر بيبرس وبطلت قضاة الشيعة اختفى مذهبهم وتظاهر الناس بمذهب مالك والشافعي وأخذ صلاح الدين في غزو الافرنج وعاد منه صورا وعمر سور الاسكندرية وسير توران شاه الى الصعيد فأوقع بأهل الصعيد وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة وعاد فكثرت القول من صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد وتحدثوا بخلعه واقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر ثم قبض على سائر من بقي من أمراء الدولة وأنزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة فأصبح في البلاد من العويل والبكاء ما يذهل العقول وخرج أصحابه في البلاد وأخرج اقطاعات سائر المصريين لاصحابه وقبض على بلاد العاضد ومنع عنه سائر موارده وقبض على القصور وسلمها الى الطوائف بها الدين قراقوش الاسدي وجعل له زماماتها فاضيق على أهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده وأبطل من الاذان حتى على خير العمل وأزال شعمار الدولة وقطع الخطبة للعاضد فرض العاضد ومات وعمره احدى وعشرون سنة الا عشرة أيام في ليلة عاشوراء سنة سبع وستين وخسمائة بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستجد العباسي بثلاثة أيام ويقال ان اسمه انما قطع من الخطبة بعد موته وكان العاضد كرمي بالين الجانب مرت به مخاوف وشدا تد وقتن الت الى انقراض ملكه وانقرضت دولة الفاطمية بانقراضه ومما تلى عليك من أخبار تلك الدولة تعلم ان القاهرة في مدة خلافة الفاطميين التي هي عبارة عن مائتي سنة وثمان سنين كانت تتسع في مدة كل خليفة بما يستجد داخلها وخارجها من المباني الباهرة والبساتين المزهرة والقصور المشيدة والمناظر البديعة حتى بلغ أول العمران المطرية وآخره دير الطين بحيث لا ترى فاصلا بين البساتين والمدينة والعمائر بل كان يظهر للناس ان الكل مدينة واحدة فكان من يذهب من المطرية الى دير الطين

لم يزل بين قصور عاصمة وبساتين مزهرة وحدائق باهرة تدهش الناظر وتشرح الخاطر والنيل من بعد عن يمينه
غربي تلك الاماكن والجبل عن شماله مطلاً كلمتفرج على جمال تلك المحاسن الا انه موصول عنها بفضاء واسع
أحدث فيه بعد ذلك قرافة المجاورين وما قاربها وبالتفصيل كان الذهاب بعد أن يفارق عين شمس وهي المطرية
يمر بقرية الخندق وهي ناحية سيدي الدمر داش رضى الله عنه ويرى وسط البساتين قرية كوم الريش غربيها محل
الزاوية الحمراء الآن ثم يكون بين البساتين السلطانية والمناظر الجميلة الاميرية الى ان يصل الى الميدان الكبير
المعد لعرض العساكر التي تسافر الى الجهاد امام بابي النصر والفتوح محل المقابر المجاورة للشيخ يونس رضى الله عنه
وما حوله من التلال الآن وبه يتصل سور البلد في وصل السور سار بطول الخليج ورأى عن يمينه بالساحل الشرقي
للنيل قرية أم دين والى جانبها دار الصناعة وقصر الخلاء المعتل لوسهم عند سفر الاسطول وبعد ذلك من الجهة القبالية
بستان الدكة وقصرها على النيل أيضا وهو الذي كان يجلس فيه الخليفة عند عودته من كسر جسر الخليج كل عام
وبستان المقس وغيرها من البساتين المعجبة الى ساحل النيل يتخلله اقصور ومناظر تروق حسنا وجمالا وبهجة وكالا
وعن شماله منظره اللؤلؤة محل مسجد الامام الشعرا في وبستان الكافوري والميدان الكافوري وعدة قصور ومناظر
تشرف عليها وعلى الخليج ويرى النيل من بعد واذ احاذى باب زويلة وجد عن شماله بالساحل الشرقي للخليج بركة
الفيل محيطا بعدة بساتين ومبان وعن يمينه بالساحل الغربي للخليج بستان الزهري ويمتد من بستان العدة الى
قنطرة السباع وتمتد البركة والبساتين المحيطة بها من باب زويلة الى قلعة الكباش الى خط السيدة زينب والى السيدة
نفيسة رضى الله عنهما وقد حكر كل ذلك فيما بعد وصار حارات كما ترى ومتى قطع تلك الاماكن ووصل الى خط السيدة
زينب رضى الله عنها رأى عن شماله منازل العسكر ومناظر الكباش وجبل يشكر مطلة على بركة الفيل وبركة
البغلة وكانت من بركة الفيل وحولها البساتين تحت الكباش ومحل كل ما ذكره والمباني الموجودة في خط السيدة
زينب رضى الله عنها والتلال الموجودة الآن بعد باب السد ويرى من بعد قبة الهواء محل القلعة ومن تحتها ميدان
ابن طولون وبستانا محل الرميلة متصل بالقطائع وعن يمينه ما على ساحل النيل من البساتين ومتى قطع منازل
العسكر ووصل الى قرب محل جنينة السادات الآن الكائنة بطريق مصر العتيقة رأى الفسطاط تشرف على
النيل وامامها جزيرة الروضة المسماة الآن بالنيل وبها من القصور والبساتين ما لا يحصى كثرة ولا يوصف حسنا
وخلفها النيل وقبل الفسطاط بركة الحبش وحولها البساتين المطلة على النيل وشرقي الفسطاط القرافة
الكبرى محل الحوش المعروف الآن بحوش أبي على بالقرب من قرية البساتين والقرافة الصغرى محل الامامين
متصلتين بالجبل حيث زاوية السادات الوفاية وكان يحل القرافتين من القصور الفخيمة والمساجد العظيمة
والخوانق الجميلة ما يذهب الكدر ويجلو النظر وقد أسهب المقرئ في وصف ذلك ووصف ما كان يصنع هنالك
من البر والخدم والصدقات والاحسان في أيام عينها وليال بينها فكان المتردد في هذه المسافة البعيدة الاطراف
لا يرى الا ما يملأ الفؤاد ويزيل الغموم وينفي الانكاد الا انه لما طرق الخلل الى سياستهم الداخلية والخارجية
حين أخذت أمورهم في الانحلال ودولتهم في الاختلال تغيرت تلك الاحوال ولم تزل الحوادث تتوالى في أيامهم
الاخيرة ثم في أيام من بعدهم تارة بالصلاح وتارة بالفساد الى ان ألحقت الحوادث وتوالت المحن حتى غابت تلك
الوجوه الحسان وغربت ما كان من الحسن والاحسان وأزالت رونقها بجملة وردت ما كان لتلك المنازل من الجمال
والكمال الى ما ترى من أطلال بالية وتلال وما كان لها من بهجة وحسن انتظام الى ما تشاهد من الخراب العام
ومع تنقل الاحوال وتغير الدول وقصورهم أربابهم السترة الخراب مكان العمارة وسكنت الوحشة محل الانس
واعتاضت التلال بدل البساتين والخوف بدل التأمين كما بينا ذلك في محله من هذا الكتاب ومن يتأمل مدة كل
خليفة وأعماله يرى ان هممة أغلبهم كانت متجهة الى اتساع دائرة العمارة واليسار وبسبب اتساع ملكهم وعظم
سطوتهم واستقلالهم وعدم تابعيتهم لغيرهم وكون القاهرة كرسى ملكهم كانت القاهرة مقصد التجارة من
جميع أطراف المملكة ومقر الصنائع والمعارف فأخذت بهم التجارة والعلوم غاية لم تكن لها من قبل ولا حصلت
لها من بعد الى زماننا واتسعت بسبب ما ذكر أيضا أرزاق أهلها وزادت ثروتهم وما من أحد من الخلفاء

الاوصاف الاموال الجمة فيما به ازدياد العمارة وبذل الجهد في التوسعة على الفقراء حتى انهم كانوا يجلبون من اشهر
ذكره ولاصيته في صناعات البناء والتصوير في اقاصي الارض فكانت مبانيهم من اتقن المباني والباقي منها الى الان
يدل على علو قدرهم كأبواب زويلة والفتوح والنصر ومسجد الحاكم والانور وغير ذلك ولم تقتصر همهم على ما ذكر
بل وسعدوا دائرة السخاء والكرم حتى عم برهم واحسانهم طبقات الناس من غني وفقير من قاص ودان خصوصاً في
أيام مواسمهم وأعيادهم وخروجهم للنزهة في فصول تعودوها وكذا أيام صرا كبرهم ومواكبهم وكان لهم احتفال
زائد بأول السنة وآخرها وأيام الصوم وعيدي الفطر والاضحى وعاشوراء الى غير ذلك مما أطال المقرري في بيانه
فذكر ما كان يفرق في تلك المواسم من الكساوى الغالية والنقود الوفيرة وأنواع الخلوى وغيرها حتى ان من قال ان
برهم كان يعم المدينة بل وما قاربها الا بكذب وكانت أمراؤهم تحذو حذوهم وتسير سيرهم وكانت طباعهم تسرى في
طباع الغير حتى صار الكرم محبة والمروة عادة في أهل القطر فلما زالت دولتهم بدولة الايوبية الا كرادت تغيرت تلك
الطباع وتلونت بلون طباعهم حتى في الماء كل والمشرى والملبس ولم تزل تلون بتلون القوة الحماكمة حتى صارت
الى ما ترى مما سبى عليك بعضه في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فسبحان من يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين
(ما صارت اليه القاهرة بعد الفاطميين)

لما زالت الدولة الفاطمية استقرت بمصر الدولة الايوبية التي هي دولة الاكراد ويولى الملك منهم بمصر ثمانية أولاهم
السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب جلس على دست ملكها أول سنة سبع وستين وخمس مائة وآخرهم
السلطان المعظم توران شاه كان آخر مدته في الملك سنة ثمان وأربعين وستمائة فقدم ملكهم اثنتان وثمانون سنة منها
للسلطان صلاح الدين اثنتان وعشرون سنة ومن أول جلوسه على تختها لم يأل جهداً في العمائر والاصلاحات هو
وخلفاؤه مع قيام الحروب على ساق بين المسلمين والنصارى في سواحل الشام فانه لما استقر على سرير المملكة وأزال شعار
الفاطميين جدد في العمارات خصوصاً في مصر والقاهرة فأحدث فيها عمارات جليله أوجبت اتساعها وما وزيادة
اعتبارهما وأباح سكنى القاهرة للخاص والعام فزادت في الاتساع وهدم طارات العبيد اللاتي في موضعها اليوم
الداودية والقريبة وجعلها باستاناً وبني قلعة الجبل لتكون له معقلاً وحصناً يعتصم به من أعدائه فانه كان يحذر
من شبيعة الفاطمية فاختر لها المحل الذي بنيت فيه وأقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الاسدي فشرع
في بنائها وبني سور القاهرة في سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة وهدم ما هنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الاهرام
الصغار التي كانت بالجيزة تجاه مصر وكانت كثيرة العدد ونقل حجارتها وبني بها السور والقلعة وبني قناطر الجيزة
لأجل سهولة نقل تلك الاحجار عليها وقصد صلاح الدين ان يكون السور محيطاً بالقاهرة والقلعة ومصرفات قبل
ان يتم ذلك فأهمل العمل الى ان كانت سلطنة الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فأتتها ويقال
ان قراقوش كان يستعمل في بناء القلعة والسور خمسة عشر ألف أسير والبئر المعروف بالخزون الموجودة بالقلعة هي
من عمل قراقوش المذكور في أيام صلاح الدين عملت لأجل وجود الماء في داخل القلعة بواسطة اذا حصل لها
حصار من عدو قال ابن عبد الظاهر هذه البئر من عجائب الانبياء تدور ابقرة من أعلاها فتسقل الماء من ثقالة في
وسطها وتدور البقرة في وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق الى الماء ينزل البقرة الى معينها في مجاز وجميع ذلك
حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل ان أرضها مسامطة أرض بركة الفيل وماؤها عذب وذكر القاضي ناصر الدين
شافع بن علي في كتاب عجائب البنيان انه ينزل الى هذه البئر بريح نحو ثلثمائة درجة والمشاهد انه ينزل اليها بزلقان
ولم يكن هنالك درج وبئر يوسف المذكورة عبارة عن بئر في فوق بعضها والماء بعد طلوعه من البئر الاسفل ينصب في
البئر الثانية والمستعمل في نقله سواقي القواديس وارتفاع البئر الأعلى من ابتداء أرض القلعة الى قاعها خمسون متراً
وثلاثة عشر متراً وعمق البئر الاسفل أربعون متراً وثلاثة عشر متراً فيكون مجموع الارتفاع من أرض القلعة الى قاع
البئر الاسفل تسعين متراً وستة عشر متراً وهو عبارة عن مائتين وتسع وسبعين قدماً وجميعه نقر في الحجر وزمن صعود
القادوس بعدد مائه من ماء البئر الى سطح الأرض أربع دقائق وثلاث والزمن الذي يمضي في سقوط حجر من أعلى الى
قاع البئر خمس ثوان ودرجة حرارة ماء البئر مساوية لدرجة الحرارة المتوسطة السنوية في مدينة القاهرة وأقل بأربع

درجات ونصف من درجة حرارة قاع بئر الاهرام ومستوى ماء بئر يوسف تحت مستوى تحاريق النيل وماؤها به ملوحة قليلة وعمل صلاح الدين أيضا مارستانا بالقاهرة في محل خزانة البنود وكانت من أشنع الحبوس في أيام الفاطمية وعمل أيضا الخانقاة الصلاحية للصوفية وهي جامع سعيد السعداء الآن وبني في القرافة مدرسة للشافعية بقرب تربة الامام الشافعي رضي الله عنه ووقف عليها جزيرة الفيل وهي من أرض المهمشة الآن وابتداء ظهورها كان في أواخر الدولة الفاطمية وكانت متوسطة بين منية الشيرج وأرض الفجالة ورتب في المشهد الحسيني حلقة تدريس وفقهاء واعتنى بأمر الاسطول عناية زائدة لم يقم بها أحد من جاء بعده الا الظاهر بيبرس وقطع ما كان يؤخذ من الخجاج وعوض أمير مكة عنه في كل سنة ألف دينار وألف إردب غلة سوى اقطاعه بصعيد مصر وباليمن ومبلغه ثمانية آلاف إردب وأبطل أمورا أخرى في الاسكندرية وغيرها وأحاط على أهل العاضد وأولاده وكانت عدة الاشراف في القصور مائة وثلاثين والاطفال خمسة وسبعين أفردتهم في مكان خارج القصر واحتفظا عليهم وفرق بين الرجال والنساء اثلا يناسا لو ليكون ذلك أسرع لانقراضهم وتسلم القصر بما فيه وبعث بالاموال الى الخليفة ببغداد والى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بالشام فأتته الخلع الخليفية واستعرض الجوارى والعبيد فأطلق من كان حرا ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع في كل جديد وعتيق فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشرين سنين وأخلى القصور من سكانها وحط من قدرها فأعطى القصر الكبير لامراء فسكنوا فيه واسكن أباه نجم الدين في قصر اللؤلؤة وأقطع خواصه دور الخلفاء وأتباعهم وكان الواحد منهم اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها وأخلت أما كن من القصر الغربي سكن بها الأمير موسى والأمير أبو الهيجاء وفي شهر شعبان سنة ست وستين وخمس مائة اشترى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الجزيرة المعروفة بالروضة وكانت حصينة ذات بساتين وثمار وعمائر ليست في غيرها وهي أقدم جزيرة في مصر وكانت متزهة لمن قبل الفتح ولما بعده من ملوك مصر وقد بطننا الكلام عليها في الجملد المختص بالمقياس من هذا الكتاب وبقيت هذه الجزيرة في ملك المظفر الى أن وجهه السلطان صلاح الدين الى البلاد الشامية فوقفها على مدرسته التي أنشأها في مصر العتيقة التي عرفت بالمدرسة التقوية وهي جزء من محل منازل العز والآن يوجد في محل منازل المعز المذكورة جامع المرحومى وحارات الشرافة وما يجاورها من البساتين ويظهر أن المنارة الموجودة الآن للجامع المرحومى من أصل بناء المدرسة التقوية ونقل أيضا عن ابن عبد الظاهر أن القصر لما أخذه صلاح الدين وأخرج من به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم من فخل الا الخليفة وأهله وأولاده فأسكنهم دار المظفر بحارة بر جوان وكانت تعرف بدار الضيافة وقبض صلاح الدين على ولي عهد الخليفة واعتقل مع اخوته وأولاده وهم نحو عشرة وجماعة من بني اعمامه في دار الفضل من حارة بر جوان وفي سنة أربع وثمانين وخمس مائة هرب منهم رجلان قال وعدد من بقي من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربي والايوان مائتان واثنان وخمسون شخصا المذكور ثمانية وتسعون والانات مائة وأربعة وخمسون ولم يزلوا تحت الاعتقال بالقاهرة في الاماكن التي أقيموا فيها الى ان نقلهم الملك الكامل محمد بن العادل بن أيوب الى القلعة أيام سلطنته حين انتقل من دار الوزارة الكبرى اليها وفيها مات داود بن العاضد واستمر به من بقي منهم الى ان جاءت دولة الاتراك وآلت السلطنة الى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فأمر في سنة ستين وست مائة بالاشهاد على من بقي منهم أن جميع ما كان لهم من القصور والدور ونحوها ملك لبيت المال بالنظر السلطاني الظاهري من وجهه صحيح شرعى وأول من انتقل من الملوك من دار الوزارة الكبرى الى الإقامة بالقلعة الملك الكامل المذكور وكانت دار الوزارة المذكورة من عهد الفضل بن أمير الجيوش الى أيام الكامل مقر الوزراء وأرباب السيوف في عهد الدولة الفاطمية ومقر الملوك في أيام الدولة الكردية وكان السلطان صلاح الدين أيام إقامته بدار مصر يقيم بدار الوزارة وأحيانا يكون بالقلعة * ولما مات سنة تسع وثمانين وخمس مائة خلفه على سرير السلطنة ابنه الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان وكان ينوب عن أبيه بمصر أيام حياته ثم استقر على سرير السلطنة بهاء عند موت أبيه ثم حصل بينه وبين أخيه الملك الفضل على وحشة وكان بدمشق فتجهز العزيز لمخاربهه ووقعت بينهم وقائع وحروب استولى فيها العزيز على دمشق والى وقت العزيز بن صلاح الدين كان في البر الغربي من الخليج بساتين متعددة منها بستان يعرف ببستان البغدادية

كان من بساين القاهرة الموصوفة تجاه منظره اللؤلؤة التي كانت من مواضع نزته فبداله أن يجعل هذا البستان ميدانا للرحى والسباق فأمر في سنة أربع وتسعين وخمسة مائة بقطع النخل المثمر المتغل الذي كان وجعله ميدانا وحرث أرضه وقطع باقيه ومن حينئذ أخذت هذه الجهة في السكنى وحكرت أرض البستان كما ذكر ذلك في موضعه وفي محل هـ هذا البستان الآن لا ما كن التي في غربي الخليج تجاه جامع الاسكندرية الشجراني ممتدة الى الدكة وشارع باب الشعريه فهو قطعة من البستان المقسى وكان العزيز حسن السيرة بعزل عن الشهوات والطمع في أموال الناس وانما كان ضعف الرأي واتفق له ان جماعة من أمرائه وأعيانه أشاروا عليه بهدم الاهرام الكبيرة التي بالجيزة طمعا في استخراج كنوز ودقائق من تحتها فأصدا أمره على الفور بمباشرة العمل في هدمها فجعله والذلك العمال وصناع اللغم وجعل عليهم بعض الامراء فاس تغرقوا في هذا العمل ثمانية أشهر وكانوا لا يقدر على الاعلى خلع حجر أو حجرين في اليوم فعدلوا عن هذا الامر بعد ان صرفوا عليه أموالا بالغة بلا فائدة وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسة مائة وفي سنة أربع وتسعين وخمسة مائة شدد في منع ما كان يحصل في موسم خليج القاهرة من ركوب الزوارق فيه وفعل المنكرات وكان الناس قد اعتادوا ذلك من القديم فعظم الامر عليهم وخنقوا على العزيز وتمادى الشغب والاضطراب حتى هموا بجعله والخر وج عن طاعته لولا ان بلغهم خبر موته وكان ذلك في سنة خمس وتسعين وخمسة مائة * وبموته انفتح باب الفتن فانه لما آل الملك بعده الى ابنه الملك المنصور ناصر الدين محمد بعهد منه كان عمر المنصور تسع سنين وأشهر فقام بأمر الدولة بهاء الدين قراقوش الاسدي الاتابك فاختلف عليه أمر الدولة وكتبوا عنه الملك الافضل ل علي بن صلاح الدين فقدم من صرخد واستولى على الامور فلم يبق للمنصور معه سوى الاسم وأراد الافضل أخذ دمشق من عمه العادل فجهاز الجيوش اليها وحصل بينهما وقائع آل الامر فيها الى هزيمة الافضل فدخل العادل الى مصر وأعاد الافضل الى صرخد وأقام بآبكية المنصور ثم خلع عنه واستبد بسلاطنة ديار مصر وبلاد الشام وحران والرها وميا فارقين وأخرج المنصور واخوته من القاهرة الى الرها واستناب ابنه الملك الكامل محمد اغنه وعهد اليه بالسلاطنة بعده وحلف له الامراء وأخذ في تدبير مملكتهم واعلاء شأنها بمحاربة أعدائها والدفاع عنها واشتهر بالجرأة والحزم والصبر على الاحوال والاقدام لا يثنى عزيمته خطب وكان حليما كريما جريلا العطاء ومات سنة خمسة عشر وستة مائة وله من العمر خمس وسبعون سنة منها على تخت سلطنة مصر تسع عشرة سنة وفي أيامه كثرت العمارة في القاهرة وضواحي القلعة * والذي خلفه على دست السلطنة ابنه الكامل ناصر الدين محمد وهو الذي أتم بناء قلعة الجبل وانشأ بها الدور السلطانية في أثناء نيابته عن أبيه سنة أربع وستة مائة فلما استبد بالملك بعد أبيه انتقل من دار الوزارة الكبرى اليها وهو أول من انتقل من دار الوزارة من الملوك وسكن بالقلعة وجعلها منزلا للرسول ونقل سوق الخيل والجمال والحير الى الرملة تحت القلعة فأخذت من حينئذ الناس في تعمير ما حوالها من الدرب الاحمر والحجر وجهة القطائع والصلبية بعد ان كان بعضهم مقابرو وبعضها بساين كما تقدم بعضه وبأى باقيه في محله وهو الذي أنشأ دار الحديث بالقاهرة وعمر القبة على ضرب من الامام الشافعي رضي الله عنه وأجرى الماء من بركة الحبش الى حوض السبيل على باب القبة المذكورة ووقف أوقافا كثيرة على أنواع من البر وكان معظم السنة وأهلها ومماتدون في محاسنه انه كتب اليه بعض عماله رقعة يخبره أن المرتب على بيت المال في كل سنة مائة ألف دينار وسبعون ألف دينار صدقة وذلك خلل في بيت المال فكتب على ظهر الرقعة الغربة تذلل الاعناق والفاقة مرة المذاق والمال مال الله وهو الرزاق فاجبر الناس على عادتهم في الاستحقة ما عندكم ينقد وما عند الله باق وانا لا نحب أن يؤرخ عنا المنع وعن غيرنا الاطلاق والآن نار الحسنه من مكارم الاخلاق واليكم هذا الحديث يساق وكان كثيرا ما يتنزل بيدي حاتم

شربنا بكأس الفقير يوما وبالغنى * وما منهما الاستقانا به الدهر

فما زادنا بغيا على ذي قرابة * غنا ناولا أزدى بأخساننا الفقر

ولمات الكامل سنة خمس وثلاثين وستة مائة قام بالامر بعده ابنه سيف الدين أبو بكر ولقب بالملك العادل الا صغر فوقع بينه وبين أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب منازعات أفضت الى خنقه بين الامراء الكوثرهم استوحشوا منه

بسبب انهما كاهن على الله والذات واشتغاله بالشهوات عن تدبير ملكته وكان موته سنة سبع وثلاثين وستمائة
 ١٠٠٠ واستولى على السلطنة بعده أخوه الملك الصالح أبو الفتوح نجم الدين أيوب بن الكامل فضبط الأمور وسيرها
 على نظام حسن واسترد الأموال التي فرقتها أخوه بأسرافه وتبذيره ومبلغها يزيد عن سبعمائة ألف دينار وقبض
 على كثير من الأمراء الذين اشتروا في قتل أخيه وعوضهم بغيرهم من مماليكه ونظر في عمارة أرض مصر وحارب
 عرب الصحراء الذين كانوا يفسدون في الأرض ويخيفون السبيل وبنى قلعة جزيرة الروضة بعد أن استأجر
 الجزيرة من ناظر وقف المدرسة التقوية لمدة ستين سنة وتحول من قلعة الجبل إليها وسكنها ورأى أن الماء في فرع
 النيل الذي بينهما وبين مصر العتيقة يجف في زمن التجار يبق وتحول عن فوهة الخليج القديم التي كانت عليها
 قنطرة عبد العزيز بن مروان فبنى قنطرة السد الجارى المروى عليها إلى قصر العيني الآن وحفر فرع النيل المتقدم
 ذكره وكان يعمل فيه مجنوده وبطرح بعض رمله بالساحل في مقابلة الجزيرة فعمر هناك خواصه الدور العظيمة
 في قبالة الجامع الجديد الناصري الذي كان في محل الحوش المعروف في أيامنا هذه بحوش التكية بحرى جنبه
 السادات بمصر العتيقة وامتدت العمارة إلى المدرسة المعزية بآخر مصر العتيقة ثم إن الملك الصالح أغرق عدة
 مراكب في الجزيرة تجام باب القنطرة خارج مصر العتيقة فكثرت المياه في ذلك الفرع إلى المقس وقطع منشأة
 الفاضل وخرب جامعها وبستانه وسائر ما كان هناك من الأماكن وكان ذلك بعد سنة ستين وستمائة ثم إن النيل
 كان قد انحسر عن أرض تمتد من قنطرة السد القديمة وهي قنطرة عبد العزيز بن مروان إلى آخر الساحل وتربى هناك
 جرف واحد في زمن السلطان الصالح نجم الدين رمله في موضع الجامع الجديد كانت الناس تمر غ فيها الدواب
 ومن احتراق النيل وانحسار البحر أمامها فلما عمر السلطان قلعة الروضة صار كل سنة يحفر هذا الفرع بجنده
 وبنفسه فكثرت العمارة على شاطئيه وأنعم ببستان من وراء الدور على امرأة مغنية كانت تعرف بالعالمية فعرف
 البستان ببستان العالمية بالإضافة إليها ومحله الآن جرت من بستان السادات المقدم ذكره وهناك ساقية ماء تعرف
 إلى يومنا هذا بساقية العالمية واتسعت العمارة في الساحل من محل الجامع الجديد إلى أن وصلت بخط السيدة
 زينب رضي الله عنهما من الجانبين فكانت المنازل على المين وعلى اليسار والتلال التي ترى اليوم خارج البوابة
 هي آثار تلك المباني وكان هناك محل الصناعة حيث تعمل السفن وتقول الناس الآن ترسانة وهي محرفة من دار
 الصناعة حرفها الترك وكانت من العمارات الفاخرة ومحلهما اتجاه قنطرة السد الموصلة إلى قصر العيني ثم تخربت
 وبطأت في الأزمان الأخيرة ونشأ محايها بستان عرف ببستان ابن كيسان في محل التلال الموجودة على عين السالك من
 مصر العتيقة إلى القاهرة وكان أوله عند زاوية الحبيبي وكانت هذه الجهة من أعمار الجهات تتصل عمارتها بالعمارة
 الممتدة إلى المكش وجبل يشكرف كانت العمارة متصلة إلى دير الطين وكانت جهة دير الطين وما جاورها من بركة
 الحبش والبساتين والدور التي حولها من أحسن منزهات أهل مصر والقاهرة خصوصاً في أيام النوروز والغطاس
 والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين ونحو ذلك من أيام اللهو والقصف والعزف فكان لا يبق صغير ولا كبير إلا خرج
 إلى بركة الحبش فيضربون هناك المضارب الجميلة والسرادات والقباب والشراعات ويخرجون بالاهل والولد
 ومنهم من يخرج بالقينات المملوكات والحرار فربما يكون ويشربون ويسمعون ويتفكهون ومثل ذلك كان يحصل
 على بركة النيل وبركة قارون وهي البغالة وبركة الاز بكية وقد صارت بركة الحبش من مدة إلى الآن أرض مزارع
 يغمرها النيل زمن فيضانه إذا كان واقفاً لم يكن واقفاً شرقت كلها أو بعضها ولم يبق من القصور والبساتين الفاخرة
 التي بسط المذري في الكلام فيها إلا التلال المشاهدة الآن في تلك الجهات وقد تكلمنا على طرف من ذلك عند
 الكلام على قرية البساتين وكان من أعظم تلك البساتين بستان عرف ببستان الشريف بن ثعلب كان غربي البستان
 المقسى ويمتد إلى النيل وفي قبليه أرض اللوق تختلفت عن النيل كما سيأتي وكانت مساحته خمسة وسبعين فدانا فيسه
 سائر الفواكه وجميع ما يزرع من الأشجار والنخل والكروم وأنواع الرياحين وكان عليه سور وله باب جليل وفيه
 منظره وعدة دور فاشترى الملك الصالح نجم الدين بثلاثة آلاف دينار مصرية وجعله مياداً للتدريب مماليكه وأجناده
 على السبق والرماية وتمرينهم على الأعمال الحربية وترك ميدان العزيز بعده عن القلعة وأزدحام الأبنية حوله وكانوا

في ثلاث الاحقاب مشتهرين بقتال النصارى بسبب حروب الصليب التي كانت متتابعة من أيام نور الدين وصلاح الدين الى ذلك التاريخ وما بعده فاستدعت الحاجة الى دوام الاهبة للحرب والاستعداد له شرا هذا البستان واتخاذ محله ميذا كذا كونه على طريق القلعة ولما رأوا من موافقته للمطالع اذ ذلك السعة أرضه وامداداه فانه كان يمتد في العرض من عند محل جامع الطباخ الموجود الآن بجهة باب اللوق الى قنطرة قدادار التي كانت على الخليج الناصري بقرب النيل وقد زالت هذه القنطرة ومحاطة بقرب دار حافظ أغاس فرجى الخديوى اسمعيل باشا وكان هذا البستان عتد طولا الى جسر السلطان أبي العلاء الحسينى وأنشأ الصالح في هذا الميدان قنطرة جارية على البحر وصار يركب اليه من القلعة ويلعب فيه بالكرة والصولجان وجعل له بابا عظيما عند محل جامع الطباخ المذکور ولذلك عرف الشارع الموجود عليه هذا الباب بشارع باب اللوق لكونه في أرض اللوق وكان عمل هذا الميدان سببا لبناء قنطرة الخرق على الخليج الكبير ومن حينئذ أخذ الناس في العمارة بهذه الجهة حتى صار اللوق بلدا كبيرا كما سنورده في محله ان شاء الله تعالى ولم يكن اشتغال الصالح بالحروب في تلك الاوقات يمنعه عن الاشتغال بتوسيع نطاق المعارف وزيادة العمارة والآثار النافعة ومن محاسن آثاره المدارس الصالحية بخط بين القصرين ذلك أساسها في سنة أربعين وستمائة فلما كملت رتب فيها دروسا أربعة لفقهاء المذاهب الاربعة في سنة احدى وأربعين وستمائة وهو أول من أحدث اقراء دروس المذاهب الاربعة في مكان واحد وأنشأ المباني خلف هذه المدارس وجعل للمدارس أحرار تلك الابنية وقدم لك الصالح في أيام سلطنته مكة المشرفة وغزى بلاد اليمن وكان فطنا ذكيا حاد الفكاكة طاهر اللسان والذيل يكتب أجوبته في مخاطباته بيده واستكثر من شراء الممالك وعقدهم وتاميرهم وجعلهم أعز خاصته ووطناته وكان اذا سافرا طوا بدها زملا كذا وأطلق عليهم اسم الممالك البحرية وكانت كثيرهم من البواعث على انقراض الدولة الايوبية وكان موته بالمنصورة سنة سبع وأربعين وستمائة وعمره أربعون سنة أقام منها بالسلطنة بعد أخيه مدة تسع سنين وأشهر ولما مات أحضرته شجرة الدر زوجته أم ولده خليل الى قلعة الروضة من غير أن يشعربه أحد وأخذت بزمام الامور من غير أن تظهر موت الصالح وأجرت الاحوال على ما كانت عليه وصارت الخدمة تعمل بالدهايز والسماط يدوشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهم الكافة ان السلطان مريض ما لاحد اليه سبيل ولا وصول الى ان حضر الملك المعظم توران شاه ابنه من حصن كيفة فسلمت اليه مقادير الامور كما سميأتى ومن آثار شجرة الدر حمام وبستان ودور أنشأها بجهة السيدة نفيسة رضى الله عنها وقبرها معروف في الجامع المشهور بجامع الخليفة أمام مشهد السيدة رقية رضى الله عنها ولما تسلم توران شاه أزمة الامور أساء التدبير وعكف على السكر والملاهي واللذات فنشرت منه قلوب الناس لاسيما لما أهمل أمرا أمرا أبيه ومماليكه وآخرهم عن مراتبهم وقتل منهم عدة وعزل جماعة وجردهم من علامات الشرف واحتطى بمن وصل معه من الشام فخنقت عليه مماليكه أبيه وقاموا عليه وقتلوه سنة ثمان وأربعين وستمائة وتركو امرته مطروحة على البحر ثلاثة أيام ولم يقم في السلطنة سوى شهرين وموته انتهت دولة بني أيوب وجاءت الممالك

* (دولة الممالك البحرية) *

قد عرفت أن القاهرة كانت قد اتسعت في آخر دولة الفاطميين وأنشئ في خارجها عمارات وساقين كثيرة من كل جهة وان التسطاط كان قد تخرب أكثره الا ما جاور النيل وما حول الجامع العتيق وكذا جبل يشكر والكبش والسكر والقطائع فقد كان فيها بعض عمارات والذي تخرب بالمرءة خرابا كليما هو ما كان جهة الرصد وبركة الحبش وما قارب الامام الشافعى وأبي السعود الجارحى رضى الله عنهما ولما صارت مصر الى الدولة الايوبية ازدادت العمارة في داخل القاهرة وخارجها من جهاتها الاربع خصوصا الدرب الاحمر وشارع قصبة رضوان والصلبة وساحل مصر العتيقة الى دير الطين الى آخر ما قدمناه ولما زالت دولة بني أيوب وخلعت دولة الممالك البحرية اجتمعوا أكثرهم في توسيع نطاق العمارة أيضا في مصر والقاهرة كما سنورده في محله ان شاء الله تعالى وانما سموا بالممالك البحرية لانهم في الاصل مماليك الصالح نجم الدين أيوب كانوا معه مدة سجنه بالكرن وبقوامه حتى خاص من السجن سابع عشر شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وستمائة فلما ملك مصر دعاه لهم ثباتهم معه حين تفرق عنه الا كرادوا أكثر من شرائهم وجعلهم أمراء

دولته وبطانته المختصة بن بدله ليزه اذا سافر وأسكنهم معه في قلعة الروضة وسماهم البحرية من أجل ذلك وكانوا نحو
الالف كلهم أتراك **❦** وأول من تسلطن منهم الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني الصالح سنة ثمان وأربعين
وسمائه بعد زواجه شجرة الدر وحدث من الفتن ما ترتب عليه اجتماع رأي الأمراء على إقامة الأشرف مظفر الدين
موسى من ذرية الأيوبيين شر يكاله في السلطنة فأقاموه معه وعمره نحو ست سنين وصارت المراسيم تبرز عن الملكين
الآن الأمر والنهي للمعز وليس للأشرف سوى مجرد الاسم إلى أن قبض عليه المعز وسجنه سنة خمس وخمسين وسمائه
وقطع اسمه من الخطبة وانفرد بالسلطنة واتخذ شرف الدين أبي سعيد رغبة الله بن صاعد الفائزي وزيراً وهو أول
قبطي ولي الوزارة في دار مصر فأحدث مكوساً سماها الحقوق السلطانية فحصل للناس منه ما لا خيراً فيه وقامت عرب
الصعيد فوجه اليهم الملك المعز عساكره فأفناهم ثم لم يحزم أمره وعتا وظلم فتركه أغلب الأتراك ومن أول جلوسه على
التخت أمر بتخريب قلعة الروضة فخربت وعمر مدرسته التي كانت معروفة بالمعزية في رحبة الحناء بمدينة مصر بحمل
منازل العز وتقدم ذكرها وخرّب ميدان القلعة سنة إحدى وخمسين وسمائه وعمر من بقايا ميدان أحمد بن طولون
وكان قد هجر إلى أن بناه الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن أيوب في سنة إحدى عشرة وسمائه وأجرى إليه
الماء ثم تعطل مدة وعمره ابنه الملك العادل أبو بكر محمد بن الكامل محمد وبعده اهتم به الصالح نجم الدين أيوب بن
الكامل وجدد له ساقية أخرى وأنشأ حوله الأشجار ثم تلاشى إلى أن هدمه الملك المعز أيبك وقال له منجمه مرة أن
امرأة تكون سبياً في قتال فامر أن تخرب الدور والخوانيت من عند قلعة الجبل بالتبانة إلى باب زويلة وإلى باب
الخرق وإلى باب اللوق أعنى عند جامع الطباخ إلى الميدان الصالح وأمر أن لا يترك باب مفتوح بالاماكن التي يمر
بها يوم ركوبه إلى الميدان ولا تفتح أيضاً طاقعة وهذا يدل على أن الدرب الأحمر والمحجر من باب زويلة إلى باب اللوق
كان عامراً في وقت الأيوبيين بل ربما كان ذلك في آخر دولة الفاطميين لأن حارة اليانسية منسوبة إلى يانوس أحد وزراء
الفاطميين ثم اتفق أن وقع لهذا الملك ما أخبر به منجمه وذلك أنه قتله زوجته شجرة الدر في سنة خمس وخمسين
وسمائه وكانت مدته نحو سبع سنين وكان ظلوها غشواً ماسقاً كالدماء أفنى خلقاً كثيراً **❦** وولى الملك بعده ابنه
السلطان الملك المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك وعمره خمس عشرة سنة ودبر أمره نائب أبيه الأمير سيف الدين قطز
ثم خلعه بعد سنتين واستقل بالسلطنة وأقب الملك المظفر فأخرج المنصور بن المعز منفيها هو وأمه إلى بلاد الأشكرى
وقبض على عدة من الأمراء وسار إلى محاربة التتار فأوقع بهم وعاكسهم على عين جالوت سنة ثمان وخمسين
وسمائه وقتل منهم وأسركثيراً بعد أن كانوا أقدموا على بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله عبد الله وأزالوا دولة بني
العباس وخرّبوا بغداد وديار بكر وحلب ونازلوا دمشق فلما كوهاف كانت هذه الواقعة أول هزيمة عرفت للتتار منذ
قاموا ودخل المظفر قطز إلى دمشق وعاد منها يريد مصر فقتله الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالح بمنزلة
الصالحية من مديرية الشرقية وقام مقامه في السلطنة وكانت مدة المظفر سنة الأياما **❦** وكان الملك الظاهر بيبرس
البندقداري من المماليك البحرية فلما صارت مملكة مصر إليه في سنة ثمان وخمسين وسمائه كان أول ما بدا به أن أبطل
ما كان قطز أحدثه من المظالم عند سفره وهو تصقيع الأملاك وتقويمها وأخذزكاة ثمنها في كل سنة وجباية دينار من
كل إنسان وأخذ ثلث الزكاة الإلهية وكتب الظاهر بإبطال ذلك مسجوحاً وفي سنة تسع وخمسين وسمائه وصل "هـ"
الامام أبو العباس أحمد ابن الخليفة الظاهر العباسي من بغداد فلقاه في عساكره وبأبلغ في إكرامه وأنزله بالقلعة
وانعقدت البيعة له بحضور العلماء والأمراء ولقب بالامام المستنصر وكتب الظاهر إلى الأطراف بأخذ البيعة له وإقامة
الخطبة باسمه على المنابر ونقشت السكة في ديار مصر باسمه واسم الملك الظاهر وبالمستنصر هذا ابتدئت الخلافة
العباسية بمصر من ذلك الحين وتوالى الخلفاء من بعده إلى أن انتهت خلافتهم في مدة الغوري حين التحاق مصر بالدولة
العثمانية واهتم بيبرس بعمارة قلعة الروضة فأعادها كما كانت ورتب فيها الجدارية وأعادها إلى ما كانت عليه من
الحرمة ورسم بان تكون بيوتات جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها فكثرت فيها المباني وزادت بها العمارة لكثرة ركوبه
بحر النيل واعتنائه بعمارة الشواني الحربية وأعبر في البحر فصار للاستطول في أيامه شأن عظيم كما كان في أحسن
أيام الفاطمية وأيام الصالح نجم الدين ثم تلاشى أمر الاسطول من بعده لقله الالتفات إليه والعناية به واتخذ بيبرس

الموضع السكان خارج القاهرة من شرقها وهو الذي به الآن قرافة المجاورين وقايتباى ميدان الرمي الشباب وكان
يقال له الميدان الاسود والميدان الاخضر وميدان العيد وميدان السباق وميدان القيق وبنى به في المحرم سنة ست
وستين وستمائة مصطبة عند ما احتفل برمي الشباب وأمور الحرب وحث الناس على لعب الرمي والرمي والشباب ونحو
ذلك وصار ينزل كل يوم الى هذه المصطبة فلا يركب منها الى العشاء ويحوي رمي ويحضر الناس على الرمي والنضال
والرهان وقد أطل المقرري في ذلك كراما كان يعمل في هذا الميدان واستقر هذا الميدان فضاء الى أن تولى السلطنة الملك
الناصر محمد بن قلاوون فترك النزول فيه وبنيت فيه القبور شيئا بعد شيء حتى انسدت طريقه واتصلت المباني من
ميدان القيق الى تربة الروضة خارج باب البرقية وبطل السباق منه ورمي القيق فيه من آخر أيام الملك الناصر محمد بن
قلاوون وفي زمن المقرري كان فيه بعض عمد الرخام قائمة تعرف بين الناس بعواميد السباق بين كل عمودين مسافة
بعيدة وما برحت قائمة هائلة الى ما بعد سنة ثمانين وسبع مائة فهدمت عندما عمر الأمير يونس الدوادار الظاهري
ترتبه تجاه قبة النصر ثم عمر أيضا الأمير قحماس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة هائلة وتتابع الناس في البناء الى
أن صار كما هو الآن ولما انحسر ماء النيل عن ميدان الملك الصالح نجم الدين أيوب جعل الملك الظاهر ميدانه بطرف
اللووق تجاه قنطرة قدادار ومحلها الآن الأرض المواجهة لقصر النيل من الشرق الى شارع مصر العتيقة وما زال يلعب
فيه بالكرة الى زمن الناصر محمد بن قلاوون فجعله بستانا من أجل بعد البحر عنه وأرسل الى دمشق فحمل اليه من سائر
أصناف الشجر وأحضر معها أخولة الشام والمطعمين فغرسوا فيه وطعموها قال المقرري ومنه تعلم الناس بمصر
تطعيم الاشجار والحق ان تطعيم الاشجار كان معروفا بمصر من قبل ذلك بأزمان طويلة فقد نقل المقرري نفسه في
الكلام على خمارويه بن أحمد بن طولون انه أخذ الميدان الذي كان لايه فجعله كله بستانا وغرس فيه أنواع الاشجار
والرياحين البديعة وكان فيه ريحان مزروع على نقوش معمولة وكلمات مكتوبة يتعاهد بها البستاني بالمقراض حتى
لا تزيد ورقة على ورقة الى أن قال وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل أصل عجيب وطعمموه شجر المشمش باللوز
وأشبه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن انتهى فعلم من هذا ان التطعيم موجود بمصر من ذلك العهد وربما كان
من قبل ذلك وبنى الظاهر بيبرس أيضا القصر المعروف بالدار الجديدة وكان يشرف على الرمي على الرمي على الرمي على الرمي
كبيرة لولده الملك السعيد وأنشأ دورا كثيرة للامراء بظاهر القاهرة مما يلي القلعة واصطبلات وأنشأ حماما بسوق
الخيل لولده وقد هدم ومحلها القرمه قول وبعض عمارة والد الخديوي اسمعيل باشا بجبهة ميدان محمد علي وجدد الجامع
الاقرب والجامع الازهر وزاوية الشيخ خضر وعدة جوامع بالاعمال المصرية وجسورا وقناطر كثيرة منها قنطرة
السباع عند السيدة زينب رضى الله عنها وبنى أيضا دار العدل تحت القلعة في سنة احدى وستين وستمائة وصار
يجلس به العرض العساكر يومى الاثنين والخميس وما برحت دار العدل هذه باقية الى أن استجد السلطان الملك
المنصور قلاوون الايوان فهجرت دار العدل الى ان كانت سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة فهدمها الملك الناصر
محمد بن قلاوون وعمل موضعها الطبليخانه كان محلها في شارع الدخيرة واتفق أن غلت الاسعار بمصر مدة في أيام
الملك الظاهر حتى بلغ الارب القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز فنادى السلطان في النصارى أن يجتمعوا تحت
القلعة ونزل في يوم الخميس سابع ربيع الآخر منها وجلس بدار العدل هذه ونظر في أمر السعر وأبطل التسعير
وكتب مرسوما الى الامراء يبيع خمسمائة اردب في كل يوم وأن يكون البيع للضعفاء والارامل فقط دون من
عداهم وأمر الحجاب فنزلوا تحت القلعة وكتبوا أسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرميلة وبعث الى كل جهة من جهات
القاهرة ومصر وضواحيها حاجبا ليكتب أسماء الفقراء وقال والله لو كان عندي غلة تكفي هؤلاء انزقتها ولما
انتهى احصاء الفقراء أخذ منهم لنفسه الوفا وجعل باسم ابنه الملك السعيد الوفا وأمر ديوان الجيش فوزع باقيهم
على كل أمير جملة من الفقراء بعدة رجاله ثم فرق ما بقى على الاجناد والمقدمين والبحرية وقرر لكل واحد من الفقراء
كفايته لمدة ثلاثة أشهر وفرق على الاكابر والتجار وعين لارباب الزوايا مائة اردب قمح في كل يوم تخرج من الشون
السلطانية الى جامع أحمد بن طولون لفرق على من هنالك الى آخر ما قال وفي سنة اثنتين وستين وستمائة ركب
ابنه السعيد بركة خان بشعار السلطنة ومشى قدامه وشق القاهرة والكل مشاة بين يديه من باب النصر الى

قلعة الجبل وزينت البلد في هذه السنة ختنة ومعه ألف وستمائة وخمسة وأربعون صبيا من أولاد الناس سوى أولاد
الامراء والاجناد وأمر لكل صغير منهم بكسوة على قدره ومائتي درهم ورأس من الغنم وفي سنة خمس وستين وستمائة
أعاد الخطبة إلى الأزهر كما تقدم في الكلام على السلطان صلاح الدين وشدد في منع المفاسد وإبطال المنكرات فرفع
إبطال ضمان الحشيش وإزالة الخمر وإبطال المفاسدات والحوادث من البلاد المصرية والشامية وحسن حتى
يتزوجن واسقطت الضرائب التي كانت مرتبة عليهن وكانت ألف دينار كل يوم في القاهرة وحدها وكتب بذلك توقيعا
قرئ على منابر مصر والقاهرة وسارت البرد بذلك إلى الآفاق وجعل حد السكر السيف وفي سنة ست وستين وستمائة
قرر الظاهر بمصر أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي وكان القاضي قبل ذلك شافعيًا فسئل في أمر فامتنع
من الدخول فيه فنشأ عن ذلك ما ذكره وما حج سنة سبع وستين وستمائة وزار ضريح النبي صلى الله عليه وسلم أحسن
إلى أهل الحرمين وتكرم وتنزل على الناس وغسل الكعبة بماء الورد ووجهه إلى الخليل عليه الصلاة والسلام
وزار ضريح الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسار إلى بيت المقدس وصلى في المسجد الأقصى ورجع إلى دمشق
وأراق جميع الخمر فكان رحمه الله تعالى مع اشتغاله بالجهاد ومباشرته للحروب بنفسه وتوزيع أوقاته في ذلك لا ينتر
عن إقامة شعائر الدين وإبطال المنكرات وأول ما بنيت الدور للكنى في اللوق في أيام ملكه وذلك أنه جهز كشافا من
خواصه مع الأمير جمال الدين الرومي السلاحدار والأمير علاء الدين آق سنقر الناصري ليعرف أخباره ولا كو
ومعهم عدة من العرب فوجدوا بالشام طائفة من التتر مستأنين وقد عزموا على قصد السلطان بمصر فلما وردت
الأخبار بذلك إلى مصر كتب السلطان إلى نواب الشام بآمرهم وتجهيز الأقامات لهم وبعث إليهم بالخلع والانعصامات
وأمر بعمارة دور في أرض اللوق لأنزلهم فيها فوصلوا إلى ظاهر القاهرة وهم يلبسون على ألف فارس بنسائهم
وأولادهم في يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ستين وستمائة تفرج السلطان يوم السبت السادس
والعشرين من منه إلى إقامتهم بنفسه ومعه العساكر فلم يبق أحد حتى خرج لمشاهدتهم فاجتمع عالم عظيم وكان يوما
مشهودا فانزلهم السلطان في الدور التي كان قد أمر بعمارتهما من أجلهم وعمل لهم دعوة عظيمة هناك وحملت إليهم الخلع
والخيول والاموال وركب السلطان إلى الميدان وأركبهم معه لألعاب الكرة وأعطى كبارهم أمراء فخهم من عمله أمير
مائة ومنهم دون ذلك وأنزل بقيتهم منزلة البحرية وصار كل منهم من سعة الحال كالأمير في خدمته الاجناد والغلمان
وأفرد لهم عدة جهات برسم مرتبهم وكثرت نعمهم وظاهر وأبدى الإسلام فلما بلغ التتر ما فعله السلطان مع هؤلاء
وفد عليه منهم جماعة بعد جماعة وهو يقابلهم بمزيد الاحسان فتكاثروا في بلاد مصر وتزايدت العمائر في اللوق وما
حوله ولما قدمت رسل القان بركة خان ابن عمه هولاكو سنة إحدى وستين وستمائة أنزلهم السلطان الملك الظاهر
باللوق وعمل لهم مهمما عظيمًا وصار يركب كل سبت وثلاثاء لألعاب الكرة باللوق وفي هذه السنة قدم من المغل والبهادرية
زيادة على ألف وثلاثمائة فارس فأنزلوا في مساكن عمرت لهم باللوق بأهلهم وأولادهم وفي هذه السنة أيضا قدمت
رسل الملك بركة خان ورسل الاشكري فعملت لهم دعوة عظيمة باللوق فن هذا يعلم ان جهة اللوق نشأت فيها العمارة في
زمنه على نفقته واتسعت بعمته وفي أيامه عمرت منشأة المهراني سنة إحدى وسبعين وستمائة وحدثت فيها المساجد
والدور بعد أن كان يعمل فيها قسطنطين الطوب والتلال التي نشأها عند قنطرة السد المعروفة بقنطرة الماوردة التي
يتوصل منها إلى القصر العيني هي آثار تلك المباني وفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة كثرت العمارة في جهة دير الطين
وبني صاحب تاج الدين متولى ديوان الاحباس ووزارة الصحة للسلطان الملك الظاهر جامع الآثار الموجود إلى الآن
وقد تجدد في أيامه سوى ما ذكر كثير من المباني في داخل القاهرة وخارجها فانه كان يستكثر من العمارة ويرغب فيها
كما تدل عليه الآثار الباقية من أيامه في كل جهة فن آثاره الخيرية المدرسة الظاهرية بين القصرين والجامع الكائن
خارج مصر من جهتها البحرية في طريق العباسية الذي كان يعرف بمخبر الظاهر وكان محل هذا الجامع قبل ذلك
ميدانًا لاقوش الاسدي في الدولة الايوبية ثم استعمله الظاهر مدة من الزمن ميدانًا لألعاب الكرة والرمي إلى ان بدله
ببناء هذا الجامع فبناه فيه وأوقف عليه باقى أرض الميدان مع أوقاف أخرى وفي أيامه طيف بالمحمل بكسوة الكعبة
المشرفة بالقاهرة وهو أول من فعل ذلك في سنة خمس وسبعين وستمائة وفي أول سنة ست وسبعين وستمائة توفي بدمشق

بالاسمال والحمى وعمره نحو سبع وخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران وكان ملكا جليلا عسوفاجولا
 كثيرا المصادرات لرعيته وودوا وبنه سريع الحركة فارسا ماموصوفا بالعزم والحزم قال الذهبي كان الظاهر خليقا
 بالملك لولا ما كان فيه من المظالم قال والله برحه ويغفر له فان له اياما يضاف الى الاسلام ومواقف شهودة وفتوحات
 معدودة انتهى وكانت فتوحاته كثيرة ولم تنقطع الحروب بينه وبين ملوك النصارى بالشام حتى استولى على ما في
 ايديهم من البلاد والقلاع **❦** وخلف الظاهر بيبرس على تخت المملكة ابنه الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي محمد
 بركة خان سنة ست وسبعين وستمائة فلم تطل مدته وخاض عليه قوصون واتحد مع الامراء فخلعوه سنة ثمان وسبعين
 وستمائة وأقيم بعده أخوه الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس وعمره سبع سنين فلم يقم غير أشهر وخلف
 وبعث به الى الكرك فسجن مع أخيه **❦** ثم أقيم من بعده على تخت ملك مصر الملك المنصور سيف الدين قلاوون الا في
 العلاء أصله من مماليك الصالح نجم الدين ولذلك عرف بالصالح النجمي وكان شهيدا بطلا منصورا في حروبه وله
 محاربات ووقائع كثيرة مع التتار وغيرهم اتصرف فيهم باعظمت هيئته وامتدت شوكتهم فافتتح بعض البلاد وهادنه
 بعض الملوك وهاداه بعضهم وقرر على صاحب سبيل كل سنة قطيعة من أضياف ودرهم تبلغ مقدار ألف ألف درهم
 حتى قال بعضهم اذ ذلك لو تحت سبيل ما فضل بعد مصر وفهام مقدار ما وقع عليه الهدنة وهاداه بعض الملوك مثل
 ملك سملان وغزابلان النوبة سنة سبع وثمانين وستمائة وكان له فيها فتوح عظيم وعاد منها بغنائم عظيمة وفي أيامه
 حدثت عمارات كثيرة وكان له اثار فاخرة منها المدرسة والقبعة المنصورية والمارستان وقد دخل في عمارة هذه المباني
 كثير من أعمدة قلعة الروضة ورخامها كما يأتي ذكره في الكلام على المدرسة المنصورية وفي أيام ملكه أكثر من شراء
 المماليك **❦** الحركسية وجعلهم في ابراج القلعة وسماهم البرجية فبلغت عدتهم سنة آلاف وعمل منهم أوقافية
 وجق دارية وجاشنكيرية وسلاح دارية وأحدث تغييرا في ملابس العسكر واستجد طائفة سماعات البحرية وسببه
 ان البحرية الصالحية كانوا تشتتوا بعد قتل الفارس اقطاعي في أيام سلطنة المعزايث التركاني وبقيت أولادهم بمصر
 في حالة ردالة فلما أفضت السلطنة الى الملك المنصور قلاوون جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق واللحم والكسوة
 ورسم ان يكونوا على أبواب القلعة وسماهم البحرية وكان له عناية زائدة بالمماليك حتى انه كان يخرج في غاب أوقاته
 الى الرحبة عند وقت حضور الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليه ويتنقده لخدمهم ويختبر طعامهم جودا ووردا فتق
 رأى فيه عيبا اشتد على المشرف والاستادار ونهرهما وأحل بهما المكروه وكان يقول كل الملوك عملوا شيئا يذكرون
 به ما بين مال وعقار وأنا عمرت أسوارا وعملت حصونا مانعة لي ولأولادي وللمسلمين وهم المماليك وكانت المماليك
 أبدا تقيم بهذه الطباق ولا تبرح منها وهو الذي بنى بقلعة الجبل دار النيابة في سنة سبع وثمانين وستمائة وكانت
 النواب تجلس بشباكها الى ان هدمها الناصر محمد بن قلاوون وأبطل النيابة والوزارة ثم اهتم باعادتهم ابعده قوصون الا
 انه مات قبل ان تكمل فكملت من بعده في أيام الصالح اسمعيل بن الناصر محمد بن قلاوون وفي سنة تسع وثمانين وستمائة
 توفي المنصور قلاوون ودفن باقبة المنصورية المتقدم ذكرها بعد ان أقام في الملك مدة احدى عشرة سنة وأشهرها
 وأحدث في أيامه وظيفة كتابة السرو واللعب بالرمح في موكبي الحمل وكسوة الكعبة وأبطل عدة مكوس **❦** وخلعه على
 سلطنة مصر ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل فمكث ثلاث سنين وفي أيامه كانت الحروب قائمة على ساقها مع
 الافرنج في السواحل الشامية فغلاهم عنها وفتح عكا وهدمها وفتح عدة حصون وبعد عودته ذهب الى قوص ومن هناك
 سافر على اليمن الى **❦** ثم عاد الى مصر وفي أيامه أكل عدة المماليك عشرة آلاف وسمح لهم بالنزول من البلعة
 في النهار ولا يبيتون الا بها فكان لا يقدر أحد منهم أن يبيت بغيرها وفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة بنى بالقلعة قصر
 الاشرفية وصرف عليه جلة من المال وعمر أيضا الرفرف وجعله عاليا يشرف على الجزيرة كلها ويضوه وصور فيه امراء
 الدولة ونحوها وعقد عليه قبة على عمد وخرقها وكان مجلسا يجلس فيه السلطان الى ان هدمه الناصر محمد بن
 قلاوون والغالب أنه كان في محل القصر الا بلق وما يلحق به ومحل الآن الطوبخانه بالقلعة وفي سنة ثلاث وتسعين
 وستمائة توفي قتيلا وكان قد انشرد في الصيد في نهر يسير وساق حتى وصل الى الطرانة فقصد الامير بيدرة ومعه جماعة
 وقتلوه وتسلطن بيدرة وتلقب بالملك القاهر فلم يقيم في السلطنة سوى يوم واحد وقتل **❦** وولى السلطنة الملك الناصر

محمد بن السلطان قلاوون وعمره تسع سنين وتولى نيابته وقام عنه بالامر الامير كتبغا المنصوري وقبض على جماعة
 من الامراء الذين قتلوا الاشرف واعتقلوهم في قرانة البنود وتولى عقوبتهم بيبرس الجاشنكير وآل بهم الامر
 الى ان قطعت ايديهم وارجلهم وعلقت في اعناقهم وشهروا في مصر والقاهرة وحصلت فتنة من تماليك الاشرف
 فامسك منهم نحو ثلثمائة وقطعت ايديهم وارجلهم وصلبوا عند باب زويلة ثم ان كتبغا استصغر السلطان الناصر
 وطمع في الملك فقام عليه وانزله عن سرير ملكه واعتقله وذلك في افتتاح سنة اربع وتسعين وستمائة **هـ** وعند ذلك
 استبد بالسلطنة الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري المذكور وكان احدهم ماليك الملك المنصور قلاوون فحصل
 للناس في زمنه ما لا يوصف من الشر لان مد النيل في ايامه قصر واشتد الغلاء المفرط حتى اكل الناس الجيف وبلغ
 ثمن الاردب من القمح مائة وسبعين درهما نقرة عبارة عن ثمانية مثاقيل ونصف مثقال من الذهب واكلت السكلاب
 والحير والخيل والبغال وحمل الوباء بشدة عظيمة حتى طرحت الموتى في الطرق وفي زمن **هـ** كتبغا قدمت طائفة
 الاويراتية سنة خمس وتسعين وستمائة وهم طائفة من المغل حضروا فرارا من ملكهم تازان باذن السلطان كتبغا
 كما قدم غيرهم فانه لما تغلب التتار على ممالك الشرق والعراق وجعل الناس الى مصر نزوا بالخشية وعمر واهلها
 المساكن ونزل بها ايضا امراء الدولة فصارت من اعظم عمار مصر والقاهرة واتخذوا امراءهم من بحريه افيما بين
 الريديانية وهي العباسية الى الخندق وهي قرية سيدي الدمرداش مناخات الجبال واصطبيلات الخيل ومن ورائها
 الاسواق والاماكن الكثيرة وصار اهلها يوصفون بالحسن خصوصا لما قدمت الاويراتية فازدادت العمارة بهذه
 الجهة وعمرت ايضا جهة الصليبية في ايامه وسبب ذلك انه في سنة خمس وتسعين وستمائة كان الناس في اشد ما يكون من
 غلاء الاسعار وكثرة لوباء السلطان خائف على نفسه ومتحيز عن وقوع فتنة وهو مع ذلك ينزل من قلعة الجبل الى
 الميدان انظاهري بطرف اللوق فحسن بخاطره ان يعمل اصطبيل الجوق (الذي كان مشرفا على بركة الفيل قبالة الكيش
 بجعل الخوض المرصود وكان يرسم خيول المماليك السلطانية) ميدانا عوضا عن ميدان اللوق واهل باخراج الخيل منه
 وشرع في عمله ميدانا وبادر الناس من حينئذ الى بناء الدور بجانبه وكان اول من انشأ هناك الامير علم الدين سنجر الخازن
 في الموضع الذي عرف اليوم بمحكر الخازن وهو شارع نور الظلام وتلاه الناس والامراء في العمارة وصار السلطان
 ينزل الى هذا الميدان من القاعة فلا يجد في طريقه احدا من الناس سوى الباعة اصحاب الخواتم لانه الناس
 وشغلهم بما هم فيه من الغلاء والوباء واشتد خوفهم من الفتنة فأنظر العناية بامر الاويراتية لانهم كانوا من جنسه
 وكان مراده ان يجعلهم عون له يتقوى بهم فبالغ في اكرامهم حتى اثر في قلوب امراء الدولة احنا وخشوا ايقاعه بهم
 قال الامر ببيبرس وبسبب تخلفه عن السير مع الجيوش المصرية الى محاربة التتار حين اغاروا على بلاد الشام الى
 قيام بعض الامراء عليه فتركه ليرسل السلطنة وفر الى دمشق **هـ** واستولى على السلطنة حسام الدين لاجين المنصوري
 احد مماليك المنصور قلاوون وكان نائب السلطنة في مدة كتبغا وتلقب بالملك المنصور وذلك في سنة ست وتسعين
 وستمائة فلم يسرف في الدولة السير الملائم وساء تدبيره فقامت عليه الامراء وقتلوه سنة ثمان وتسعين وستمائة بعد سنتين
 وشهرين وكان من اول ما بدا به ان يخرج الناصر محمد بن قلاوون من قلعة الجبل وكان معتقلا بها ونفاه الى الكرك
 وجعله في قلعة ثم اخذ في تجديد الجامع الطولوني بعد تخربه وكان قد نذر ذلك من قبل سلطنته فانه كان ممن وافق الامير
 بيدرة المتقدم ذكره على قتل الملك الاشرف فلما قتل بيدرة في محاربة مماليك الاشرف فر لاجين من المعركة واختفى
 بالجامع الطولوني وهو يومئذ خراب لاساكن فيه فأعطى الله عهدا انه ان سلم من هذه المحنة وكنه الله من الارض
 يجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له ما يقوم به فلما آتت اليه السلطنة عمره ورتب فيه دروسا على المذاهب الاربعة ودرسا
 لتفسير القرآن وآخر للحديث وآخر للطب وقر له الخطيب والمؤذنين وسائر الخدمة وأنشأ بحوارهم **هـ** كتبوا بلغت
 النفقة عليه عشرين ألف دينار ورتب له ما يقوم به **هـ** فلما قتل كما تقدم اجتمع الامراء للمشورة فانحطرت ايمهم على اماره
 الملك الناصر محمد بن قلاوون فأحضر من الكرك بعد ان استمر تحت خاليه عن سلطان احد او اربعين يوما والامراء
 يدبرون الامور فقلده الخليفة السلطنة في جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة وهي سلطنته الثانية على مصر
 فقام بتدبير الامور الامير ان سلاز نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير نائبك العساكر وكانت جميع الامور بيدهما

لصغر سن الناصر حينئذ فزهد في الملك واحتمل حتى مضى الى الكرك وكتب الى الامراء يقول انني قنعت بالكرك
 فاطلبوا لكم ملكا تختارونه لما قصرت يدي في تدبير المملكة بوجود سلاوييبرس فأنبت ذلك لدى القضاة بعصر ثم نفذ
 الى قضاة الشام فكانت مدته في هذه السلطنة الثانية تسع سنين واشهر او في اثناء تلك المدة جددت بعض عمائر وحصل
 مع التتار في جهات الشام جملة حروب ومنازلات كان الامر فيها مرة عليهم ومرة عليهم وسار فيها الملك الناصر بنفسه
 وجنده الى الشام وحضر القتال مرتين انكسرت في اولها وخاب مامعه وكسرتهم في الثانية كسرة عظيمة وأسر منهم
 خلقا كثيرا وفي بعض هذه المدة قام بعض العرب بالبحيرة فأرسل عليهم تجريدة فقهروهم وفيها أمر اليهود بلبس العمام
 الصفراء والنصارى بلبس العمام الزرق والساامرة بلبس العمام الحمراء فتميزوا بها عن المسلمين ومن أهدم ما وقع بهارلزلة
 هائلة ابتدأت في شهر رذى الحجة سنة ثمان مائة وسبعمائة وأقامت تعاود الناس مدة عشرين يوما فهدمت بالاسكندرية
 المنار وكثيرا من الابراج والاسوار وقاض ماء البحر حتى غرق البساتين وهدمت بالقاهرة عدة مدارس وجوامع
 ومساجد ونشقت الجبل المقطم وسقطت الدور على الناس ومات كثير من أهلها تحت الردم وخاف الناس وخرجوا
 الى الصحراء واتصلت هذه الزلزلة بأغلب بلاد الشام ولما اعتزل الملك الناصر السلطنة كما ذكرنا شاور الامراء فبين
 يتولاهما فاستقر الامر من بعده للسلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير وتقلد السلطنة سنة ثمان مائة وسبعمائة وتلقب
 بالملك المظفر وهو من ممالك المنصور قلاوون وكان خيرا عفيفا كثيرا الحياء جليل القدر مهيب السطوة في أيام امرته
 فلما تسلطن عمل جسر النيل من قليوب الى دمياط في عرض أربع قصبات من أعلاه وست من اسفله واطل الخمارات
 وترك ما كان مقرا عليها وشدد في ازالة المنكرات وتبضع مواضع الفساد وبني الخانقاه العظيمة بالجالية وكانت أجل
 خانقاه بالقاهرة وقد ذكرت في الخوانق ورث في قبته مدارس للحدیث وقرأ يتناوبون القراءة في الليل والنهار وأوقف
 عليها الاوقاف العظيمة وقد ذكر كل ذلك بتوالي الايام ولم يبق من الخانقاه الا بعضها وهو الجامع المعروف بجامع بيبرس
 وفي أيامه قصر مد النيل سنة ثمان مائة وسبعمائة فلم يبلغ في الزيادة غير ستة عشر ذراعا الاقراطين فشرقت أرض مصر
 وتعال الاسعار فضع الناس وتشاموا بالمظفر وصارت العامة تتغنى بالازجال في مسبته فشدد في العقاب وقبض
 على كثير من العامة فقطع السنة بعضهم وضرب البعض وقبض أيضا على جماعة من الامراء بلغه أنهم يكاتبون
 الناصر سر الخرج كثير من الناس ولحقوا بالناصر في الكرك فكتب اليه المظفر يهدده بالنفي الى القسطنطينية
 ويطلب منه ما خرج به معه من الخيل والمال والمماليك فحنق الناصر من ذلك وكاتب نواب طرابلس وحصص وصفه
 وحماة وغيرهم وكان من ذلكروا من ممالك أسيه وعقائه فأجابه وقاموا بنصرته فقام من الكرك ودخل الشام
 وتسلطن بها وخطب باسمه على المنابر وكان المظفر قد أعاد تجريدة من الجند لقتاله فلما بلغهم الخبر لم يسيروا اليه
 ورجعوا من ثانی يومهم الى القاهرة فاضطرب أمر المظفر وخلع نفسه من الملك وأشهد على نفسه وأرسل الاشهاد الى
 الناصر وسأله ان يعينه له موضعا يقيم به الا انه مع ذلك لم يستقر به قرار فاستعد للهرب وأخذ ما قدر عليه من المال والخيل
 والمماليك ونزل من القاعة فوقف له العامة عند باب القرافة يسبونونه ويرجونونه فشغلهم بشي من المال نثره عليهم
 وتخلص منهم بذلك وسار يريد الشام وكان الناصر قد دخل مصر واسمته على سلطنته فبعث من قبض على المظفر
 بقرب غزوة وأحضره مقيما بالحد يدوقته في ذي القعدة سنة ثمان مائة وسبعمائة ووصفوا الملك في مصر والشام للسلطان
 الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان عود السلطنة اليه هذه المرة في أول شوال سنة ثمان مائة وسبعمائة وهي سلطنته الثالثة
 فقام باعباء الملك وطلب منه الامير سلاوون نائب السلطنة ان يعينه من النمابة وان يقيم بالشوبك لانهم من اقطاعه
 فأجاب ذلك وخرج من يومه الى الشوبك وفي سنة ثمان مائة وسبعمائة بلغ الناصر ان أخا الامير سلاوون جماعة من الامراء
 من عصبته يقصدون الوثوب عليه فلما تحقق لديه ذلك قبض عليهم وبعث باستحضار سلاوون فلما جاءه سجنه في القاعة
 أياما حتى مات وطالت سلطنة الناصر هذه المرة وتم له من العز والشوكة والسعة وبسطه الملك ما يطول شرحه وكان
 ذا شغف بالعمارات فحدث في أيامه عمارات كثيرة منه ومن غيره فاستجد بقاعة الجبل المباني الكثيرة من القصور وغيرها
 وحدثت فيما بين القاعة وقبة الناصر عدة ترب محمل قايتباي وترب المجاورين بعد ما كان ذلك المكان فضاء يعرف بالميدان
 الاسود وميسر ان القبو وتزايدت العمارات بالحسنة حتى صارت من الريدانية الى باب الفتوح وعمر ما حول بركة

الفيل والصلبية الى جامع ابن طولون وما جاوره الى المشهد النفيسى وحكر الناس أرض الزهري وما قرب منها وهو من
 قناطر السباع الى منشأة المهراني ومن قناطر السباع الى البركة الناصرية الى اللوق الى المقس وأمر بهدم الايوان
 الذي أنشأه السلطان المنصور قلاوون المعروف بدار العدل وأعادها وأنشأ فيه قبة جليلة وبني القصر الابقى بالقلعة
 وعمل بجانبه بستانا متسعا وصرف على ذلك خمسة مائة ألف ألف درهم وكانت العادة جلوس السلطان به للخدمة كل
 يوم ما عدا يومى الاثنين والخميس فانه يجلس في دار العدل وكان ذلك القصر مشرفا على الرملة وقرا ميدان وكان بداخله
 ثلاثة قصور في جميعها وجميع قصور الامراء مجارى الماء من فوق عامن النيل بدوا اليه تديرها البقر فتسقله من موضع
 الى أعلى منه حتى ينتهى الى القلعة وكانت العادة أن يمد كل يوم طرفي النهار سطة جليلة لعامة الامراء وكذا عمر سبع
 قاعات بالقلعة لسراياه وكانت تشرف على قرا ميدان وباب القرافة وفي سنة سبع وثلاثين وسبع مائة أمر بهدم دار
 النيابة وأبطل النيابة والوزارة ومن بعده أعادها الامير قوصون عند استقراره في النيابة فلم تكمل حتى قبض عليه
 فولى بعده الامير طشقر حص أخضرو بهد القبض عليه وتولاها الامير شمس الدين آق سنقر في أيام الملك الصالح اسمعيل
 فجلس بها سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة وهو أول من جلس بها من النواب بعد تجديد دارها وتوارثها النواب بعده ولما
 أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون القصور والخانات بناحية سرياقوس وجعل هناك ميادانا يسرح اليه وأبطل
 ميدان القبو وترن المصطبة التي بناها بالقرب من بركة الحبش لمطعم الطيور والجوارح اختار أن يحفر خايجان من بحر
 النيل لترفيه المراكب الى ناحية سرياقوس لحمل ما يحتاج اليه من الغلال وغيرها فأمر بالكشف عن عمل ذلك وحفر
 الخليج وانتهى الحفر في سلج بجادى الآخرة على رأس شهرين وجرى الماء فيه عند زيادة النيل فأنشأ الناس عليه عدة
 سواق وجرت فيه السفن فسر السلطان بذلك وحصل للناس رفو وقويت رغبتهم فيه فاشترى أراض من بيت المال
 غرست فيها الاشجار وصارت بساتين جليلة وأخذ الناس في العمارة على حافى الخليج فيما بين المقس وساحل النيل
 بيولاق وكثرت العمائر على الخليج حتى اتصلت من أوله بموردة البلاط الى حيث يصير في الخليج الكبير بأرض الطبالة
 والى سرياقوس وصارت البساتين من وراء الاملاك المطلة على الخليج وتنافس الناس في السكنى هناك وأنشأ الحمامات
 والمساجد والاسواق وصار هذا الخليج موطن أفراح ومنازل لهو ومغنى صبايات وملعب أتراب ومحل أنس وقصف
 فيما يرفيه من المراكب وفيما عليه من الدور وما برحت مراكب التزهة ترفيهه بأنواع التماس على سبيل الله الى أن
 منعت المراكب منه بعد قل الاشراف وكان أوله عند قرب قنطرة السد الجارى عليها المرور الى قصر المينى فيسير قليلا
 في الارض الى هناك منعطف الى جهة الغرب حتى يتصل بشارع مصر العتيقة المار امام سراى الاسماعيلية والقصر
 العالى فيمتد على حافته الشرقية مبحرا الى أن يفارق الجسر الممتد الى السلطان أبى العلاء ويولاق فيكون في غربى
 البستان الذى كان في ملك المرحومة زينب خانم ثم يكون عند أولاد عنان فينعطف ويسير الى أن يتلاقى مع الخليج
 الكبير يترب جامع الظاهر وللا أن منه قطعة باقية خلف المنازل وفوقها قنطرة البكرية المعروفة بالقنطرة الجديدة
 والتلال الكبيرة التي كانت بطوله من ابتدائه الى منتهاه هي أثر العمارات التي دمرتها الحوادث وتقدم بعض ذلك
 وفي أيام الملك الناصر أخذت العمارة في الزيادة في جميع أطراف القاهرة وداخلها وتنافس الناس فيها وكان النيل قد
 انحسر عن جانب المقس الغربى وصار هناك رمال متصلة من بحريها بجزيرة النيل ومن قبلها بأراضى اللوق فتفتح بها
 الناس باب العمارة فعمروا في تلك الرمال المواضع وهي الجهة التي تعرف اليوم بيولاق وأنشؤا بجزيرة الفيل البساتين
 والقصور حتى لم يبق منها مكان بغير عمارة وحكر ما كان منها وقفعا على مدرسة صلاح الدين الجاورة لالامام الشافعى
 رضى الله عنه وما كان وقفعا على المدارس ككبير المنصوري وغرس ذلك كله بساتين فصارت تنيف على مائة
 وخمسين بستانا الى وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون ونصب فيها سوق كبير يباع فيه أكثر ما يطلب من الماء كل وأنشأ
 الناس فيها عدة دور وجامعا فصارت قرية كبيرة وما زالت في زيادة الى أن حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة
 قتلاشت وخرب كثير منها وجميع أرض المهمشة وقرية الزاوية الحمراء الى شبرا وسرياقوس هي من أرض هذه
 الجزيرة ولم تكن قرية الزاوية الحمراء الا القرية التي حدثت اذ ذاك عوضا عن قرية كوم الريش التي ذكرها المقريرى
 وكانت بقربها وامتدت العمارة من الجهة القبلية الى القاهرة وتقدم بعض ذلك أيضا وعمر ما خرج عن باب زويلة

بمئة وسيرة من قنطرة الخرق الى الخليج الكبير ومن باب زويلة الى المشهد النفسي وعمرت القرافة من باب القرافة
 الى بركة الحبش طولا ومن القرافة الكبرى الى الجبل عرضا حتى انه استجد في أيام الناصر محمد بن قلاوون بضع
 وستون حكرا ولم يبق مكان يحكر وأكثرت هذه الاحكار في جهة الخليج الغربية من ابتداء قنطرة السباع الى قنطرة باب
 الخرق فأغلب الاخطاط الموجودة الآن في هذه الجهة لم يعمر الا في وقته وتنافس رجاله في انشاء العمارات الجميلة
 من البساتين الفاخرة والدور الطرية وكثروا من الزينة والزخرفة في بناء المساجد والمدارس وبالتأمل يظهر أن
 أغلب ما ذكره المقرئ من العماثر بنى في سلطنته فانه كان يحب ذلك ويرغب فيه كما قدمنا وانشا السلطان على
 نفقة عدة عمارات باهرة من ضمنها الميدان الكبير الناصري غربي الخليج ومحلة الارض الواقعة في قبلي منزل الامير
 أحمد باشا رشيد وفي غربيه الى النيل اذ ذلك وأنشأ هناك ميستان المهارة وبني قصر عظيم وكان يتردد اليه ومحلة
 الارض الواقعة على عين السالك من الشارع الى القصر العالي وهي الارض التي كانت في يد محمد وهي باشا واتقلت
 الى ورثته ثم قسمت وبيع بعضها وتبلغ مساحتها نحو سبعة عشر فدانا ومنها بعض الشارع وبعض منزل حافظ بيك
 رمضان واعتنى الناصر بالميدان الذي تحت القلعة وكان قد هجر من مدة فابتدأ في اصلاحه سنة اثنتي عشرة وسبع مائة
 فاقطع من باب الاصطبل وهو باب العزب الى باب القرافة وأحضر جميع جمال الامراء فنقلت الطين حتى كساه كله
 وزرعه وحفر به الآبار وركب عليه السواقى وغرس في بعضه النخيل والاشجار وأدار عليه سورا من الحجر وبني
 حوضا للسبيل من خارجة فلما اكمل نزل اليه واعب فيه بالكرة مع أمراءه وخاع عليهم وكان القصر الابلق يشرف
 عليه وجعل فيه عدة وحوش وأمر بربط الخيل فيه واتخذ صلاة العيدين به عادة وعمل في القلعة الحوش الذي لا يرى
 مثله وكانت مساحته أربعة فدادين وكان موضعه بركة عظيمة قد قطع ما فيها من الحجر - مارة قاعات القلعة حتى
 صارت غورا كبيرا فرددتها في سنتين وأحضر من بلاد الصعيد ومن الوجه البحري ألقي رأس غنم وكثيرا من البقر
 الابلق لتقف في هذا الحوش فصار مراح غنم ومربط بقر وأجرى الماء اليه من القلعة وأقام الاغنام حوله وتتبع
 في كل سنة المراحات من عيذاب وقوص وما دونه - مامن البلاد ليأخذ ما به - مامن الاغنام المختارة بل جلبها من بلاد
 النوبة ومن اليمن فبلغت عدتها بعد موته ثمانين ألف رأس واهتم بعمل السواقى التي تنقل الماء من بحر النيل من
 جهة بركة الحبش الى القلعة واعتنى بها عناية عظيمة فأنشأ أربع سواقى على بحر النيل تنقل المياه الى السور ثم من
 السور الى القلعة وعمل نقالة من المصنع الذي عمله الظاهر ببيرس عند زاوية تقي الدين رجب التي بالرملية تحت القلعة
 الى الاصطبل وأنشأ بالقلعة بس - تاناعظيما جلب اليه أصناف الاشجار من سائر البلاد حتى طلع فيه الكادى وجوز
 الهند وغير ذلك وفي سنة ثمان وعشرين وسبع مائة عزم على عمل خليج يبتدى من ناحية حلوان لتوصيل الماء الى
 القلعة ولم يتم له ذلك لان المهندسين الذين أحضرهم من الشام قدر والمصرف ثمانين ألف دينار والمدة عشرين
 فعبدل عن ذلك وفي سنة احدى وأربعين وسبع مائة أهتم الملك الناصر بسوق الماء الى القلعة لاجل سقي الاشجار
 ومملء الفساقى ولاجل مراحات الغنم والبقر فطلب المهندسين والبنائين وزل معهم - م وسار في طول القناطر التي
 تحمل الماء من النيل الى القلعة حتى انتهت الى الساحل فأمر بحفر بئر أخرى واعمال القناطر لينقل عليها الماء حتى
 تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من البئرين ويصير ماء واحد يجري الى القلعة فعمل ذلك ثم أحب الزيادة في الماء
 أيضا فركب ومعه المهندسون الى بركة الحبش وأمر بحفر خليج ص - غير يخرج من البحر ويمر الى حائط الرصد وينتقى
 الجرى تحت الرصد عذرا بار يصب فيه الخليج المذكور ويركب على الآبار السواقى لتنقل الماء الى القناطر العتيقة
 زيادة لما لها واش - ترى جميع الاملاك هناك وحفر الآبار في الحفر فصار عمق البئر أربعين ذراعا ومات الملك الناصر قبل
 أن يتم جميع ذلك والى الآن جميع هذه الآبار باقية في ذيل الجبل المطل على أرض البساتين والعيون ظاهرة قمر غربي
 الامام الشافعي رضي الله عنه وبالجمل فلم يتم أحد من الملوك السابقين عليه ولا اللاحقين به مثله في أمر العمارة
 والبناء ونحن لم نذكر جميع ما أجزاه مدة سلطنته الطويلة من قناطر وترع وجسور ومبان خيرية في القاهرة ومصر
 وجهات كثيرة من القطر المصري والبلاد الشامية خشية زيادة الاطالة ومن كثرة عماثره اتصلت مصر بالقاهرة حتى
 صار تابلا وادام من مسجد تبر بقرب القبة الى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالجيزة الى الجبل

المقطم وعمر الناصر الجامع الجديد المثل على بحر النيل عند مودة الخلفاء وعدم لاجل ذلك الصنم الذي كان عند قصر
الشمع بسرية أبي الهول وأدخل حجارتها في عمارة الجامع وأجرى بمكة المعظمة عين ماء وهي المعروفة بعين بزان
وعمل للكعبة بابا جديدا من خشب السنت الاجر صفحة بطبقة من الفضة زنتها ثلاثون ألف درهم وأنعم بالفضة القديمة
على الخدم وفي أيامه عمرت القرية المعروفة بالنخيرية عمرها الأمير شمس الدين سنقر السعدى وأخذها الناصر منه
بعد عمارتها وجدد عمارة الرصد وعمارة جامع راشدة عند دير الطين وجدد عمارة مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها
ووضع به المحراب على التحرير الصحيح وعمر زاوية الشيخ رجب التي تحت القلعة الى غير ذلك مما يطول تعدادها ومن
الحوادث المهمة في أيامه التي تورخ حادثة حرق كنائس كثيرة في القاهرة ومصر والاسكندرية وجهات كثيرة من
الاقليم في ساعة واحدة يوم الجمعة التاسع من ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة خرب بها العامة ونهبوا ما فيها وقتلوا
وسبوا كثيرا ممن بها وقت اشتغال الناس بصلاة الجمعة وقد اسهب المقريري في تفصيل تلك الحادثة وذكرنا ما عند
الكلام على شارع النصرية من هذا الكتاب وبعد ذلك بشهر اتفقت النصارى على حرق مصر والقاهرة فوقع حرق
هائل في عدة حارات ودمر كثير من الدور والربوع والجوامع والمدارس والخوانق وتلف للناس كثير من الاموال واستمر
ذلك أياما الى أن عرف أنهم امن النصارى ووقع القبض على من كان يفعل ذلك منهم وعوقبوا بالحرق والقتل وبعد ذلك
ألزمت النصارى بلبس العمام الرنق ونودي بأن من وجد نصرياً بعمامة بيضاء أو راكبا على العادة حل بدمه وماله
وأن لا يركب أحد منهم بغلا ولا فرسا ومن ركب جارا فليركب مقلوبا ولا يدخل نصري الى الحمام الا وى عنقه جرم
ولا يتزيا أحد منهم بزي المسلمين ومنع الامراء من استخدامهم وكثيرا يقاع المساكين بهم حتى تركوا السعي في الطرقات
وأسلم كثير منهم وبعد ذلك حصل الاهتمام من السلطان والامراء وغيرهم في تجديد ما تهدم وعمار ما تخرّب حتى
تراجعت العمارة وازدادت وما زالت القاهرة تزداد في أيامه عظاما وعمارة واستقرت على ذلك بعده الى أن حدث الفناء
العظيم في سنة تسع وأربعين وسبعمائة فخلا كثير من المواضع وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون مشغوقا بجلب
المماليك من بلاد بلخ وتوريز والروم وبغداد وبعث في طلبهم وبذل الرغائب للتجار في تحصيلهم ثم أفاض على من
يشترى منهم أنواع العطاء من عامة الاصناف دفعة واحدة في يوم واحد ولم يراع عادة أبيه ومن كان قبله من المملوك في
تنقل المماليك في أطوار الخدمة حتى تتدرب وتتمن وسمح لهم بالنزول الى الحمام يوما في الاسبوع وكانوا ينزلون بالنوبة
مع الخدم ويعودون آخر النهار ولم يرل هذا حالهم الى ان انقرضت دولة بني قلاوون ومات عن ألف ومائتي وصيفة
مولدة سوى من عداهن من سائر الاصناف وبلغت عدة مماليكه اثني عشر ألف مملوك حتى صار راتبه وراتب مماليكه
من لحم الضأن كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل وهو أول من رتب المواكب في القصر ورتب شرب السكر بعد السماع ورتب
وقوف الامراء في المواكب على قدر منازلهم وكذلك أرباب الوظائف وقد طالت أيامه في السلطنة وصفاله الوقت
وصار غالب النواب والامراء من مماليكه ومماليك والده ولا يعلم لاحد من المملوك آثار مثل آثاره وآثار مماليكه وخطب
له على منابر عدة بقاء وافتتح كثيرا من البلاد والحصون وأخضع العرب المفسدين وقتل منهم الكثير غير من أسر
منهم واستخدمه في الجسور والترع وأبطل جملة من المظالم منها ضمان الغواني وهو عبارة عن أخذ مال من النساء
الباغيات فكانت اذا خرجت امرأة للبغاء ونزات اسمها عند امرأة تسمى الضامنة لا يقدر أحد على منعها وأبطل
ما كان يؤخذ ممن يبيع مملوكا وذلك عن كل ألف درهم عشرون درهما وأبطل الضرب بالمقارع من سائر أعمال مملكته
وكتب بذلك مراسيم قرئت على المنابر وحج ثلاث حجات بذل فيها كثيرا من العطايا والاحسان وزار بيت المقدس
وقبر الخليل عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات وكان أبيض اللون قد وخطه الشيب وفي عينيه حول ورجله اليمنى
ريح شوكة تنغص عليه أحيانا وتؤلمه وكان لا يكاد يس بها الارض ولا يمشی الا متكئا على شي وكان شديد البأس جيد
الرأى يتولى الامور بنفسه ويجود لخواصه بالعطايا الكثيرة وكان مهيبا عند أهل مملكته وخواصه بحيث ان الامراء
اذا كانوا عنده بالخدمة لا يجسر أحد أن يكلم آخر بكلمة واحدة ولا يلتفت بعضهم الى بعض خوفا منه ولا يمكن
واحدا أن يذهب الى بيت أحد البتة فان فعل أحد منهم شيئا من ذلك أخرجه من يومه منفيا وأفنى خلقا كثيرا من

الامر ابلغ عددهم نحو مائتي أسير وكان كثير التخييل حتى لو تخيل من ابنه قتله وفي آخر أيامه شره في جمع المال وصادر
 كثير من الامراء والولاة وغيرهم وورث البضائع على التجار حتى خاف كل من له مال وكان مخادعا كثيرا الخيل لا يقف
 عند قول ولا يفي بعهد ولا يبر في عين ولم يزل قائما على سريره ماسكه حتى مرض ومات على فراشه سنة احدى وأربعين
 وسبعمائة وله من العمر ثمان وخمسون سنة ودفن مع والده بين القصرين وكانت مدة سلطنته في مصر والشام ثلاثا
 وأربعين سنة وذلك دون اعتزاله السلطنة وفراغه منها نحو أربع سنين ولما مات الملك الناصر ترك أحد عشر من
 الاولاد الذكور وتولى السلطنة بعده ثمانية منهم وأكثرهم كان لا خير فيه فأتواهم السلطان الملك المنصور سيف الدين
 أبو بكر مكث شهرين الا يوما وخلعه الامير قوصون نائب السلطنة سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة لفساده وشره الخور
 ونفي هو واخوته الى قوص فقتل هناك ثم تولى الملك الأشرف علاء الدين بكرك أخوه ولم يكمل له من العمر ثمان سنين
 فأقام خمسة أشهر وعشرة أيام وكانت الامور كلها بيد قوصون اتاك السلطنة فأخذ يعهد الامور لنفسه ويعزل ويولي
 في الامراء وقبض على كثير منهم فخذوا عليه وتعب جماعة من نواب الشام وأمرائهم شهاب الدين أحمد بن
 الناصرو كان في الكرك وانضموا اليه واتفقوا على اقامته في السلطنة بدل أخيه بكرك وقام بمصر الامير ايدوغمش
 وانضم اليه كثير من الامراء والعسكر فقبض على قوصون وسجنه وأرسله الى الاسكندرية مقيدا وسجن بها وخلع
 بكرك في شعبان سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ودخل الى دار الحرم فبقي بها الى أن مات وقام بامور السلطنة بعد
 خلعه الامير ايدوغمش الى ان حضر شهاب الدين أحمد بن الناصر فلما جاء في شوال من السنة المذكورة جلس على
 تخت مصر وتلقب بالملك الناصر فسأت سيرته وقبض على جماعة من الامراء وقتل بعضهم وودى الى الكرك
 فأرسل اليه الامراء في الحضور الى مصر فأبى معتذرا بالشتاء فخلعوه في المحرم سنة ثلاث وأربعين فكانت مدته ثلاثة
 أشهر وثلاثة عشر يوما وأقام بالكرك الى أن قتل في سنة خمس وأربعين وسبعمائة والذي تولى السلطنة بعد خلعه
 أخوه الملك الصالح عماد الدين اسمعيل أبو الفدا في أول سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة فأحسن السيرة وأظهر العدل
 وكان له بروضات وفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة أرسل جندا لقتال أخيه أحمد في الكرك فقاتلوه وحاصروه الى
 ان استسلم فقبضوا عليه وقتل واستقر الصالح في السلطنة الى أن مرض ومات على فراشه سنة ست وأربعين وسبعمائة
 فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وعشرة أيام وكان قد عمر بالقلعة الذهبية واستمدحها من دمشق وحلب ألفي
 حجرا بيضا وألفي حجرا أحمر وحشرت الجبال لجلها حتى وصلت الى قلعة الجبل وصرف في حولة كل حجر من حلب اثني
 عشر درهما ومن دمشق ثمانية دراهم وجمع لها الرخام والصناع من سائر الجهات وبلغ مصر وفها خمسة مائة ألف
 درهم ثم تولى أخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان في منتصف ربيع الثاني من السنة المذكورة فأساء السيرة وصادر
 يخرج الاقطاعات بمال معلوم ويصادر ارباب الوظائف ويأخذ أموالهم قهرا وقبض على جماعة من الامراء واعتقل
 أخويه وهما حاجي وحسين ولدا الناصر في محل من الدهيشة وأراد ان يبنى عليهم ماموזה ليكون قبرا لهم ما وهما
 بالقبض على بعض الامراء فقاموا عليه وخلعوه وحبس مكان أخويه الى أن قتل وكانت مدته سنة وشهرا وبويع
 بعده أخوه حاجي المذكور فجلس على سرير السلطنة سنة سبع وأربعين وسبعمائة ولقب بالملك المنصور وكانت ولادته
 بطريق الحجاز في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ولداً من حاجي وكان قبيح السيرة يؤثر في حجة الاواباش على ارباب
 الفضائل وانهم مك في اللعب وكان أشد قسوة من أخيه فسأت حالته واحتمال على الامراء فجمعهم بالقاعة وقتل بعضهم
 واعتقل البعض فنشرت منه القلوب وقام عليه باقى الامراء وقتلوه حتى أمسكوه وذبحوه ودفن في تربة عند الباب
 المحروق وكانت مدته سنة وثمانية شهور ولكن قتل في هذه المدة اليسيرة كثيرا من الامراء وغيرهم وكان يلبغا الجباوى
 لما بلغه ما فعله بالامراء هرب الى الشام لانه كان نائبها فوجه له بعض المماليك فقتلوه وبعثوا برأسه اليه فعلقها على
 باب زويلة ثم تولى بعده أخوه الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن الناصر محمد بن قلاوون في ربيع عشر رمضان
 سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وعمره ثلاث عشرة سنة فعهد الى الامير منجك اليوسفي بالوزارة وجعله استاد ارباب
 المصرية فنقص كثيرا من مصروف الدولة والرواتب ومديده لاخذ الرشوة وصار يولي الوظائف بمال يأخذه ممن
 يتولاهوا اشتدا احتراق النيل مما يلي مصر فاتفق الرأي على سده من برا الحيزة ليحول الماء الى مصر وكل هذا الامر

الى الامر منجك المذكور فرضب لاجل ذلك على كل دكان درهمين من الفضة وعلى كل نخلة من نخل الشرقية كذلك
الى غير ما ذكر في جمع أموال الامة وصنع مراكب وشحنها بأحجار اورماها في مجرى النيل مما يلي بر الجيزة فلم تحصل ثمرة
وعزل منجك من الوزارة ثم أعيدت اليه بعد قليل ففتح باب الولايات بالمال وجعل من ذلك أموالا عظيمة واشتد ظلمه
وعسفه وكثرت حوادثه الى أن عزل بعد مدة وحل الى الاسكندرية فاعةقل بها وصودر في جميع أملاكه وأمواله ثم
أطلق وأعيد اليه بعض ملكه وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة حصل طاعون عام وفناء عظيم عم ديار مصر وغيرها وقيل
انه لم يسبق مثله فخر بأكثر البلاد ومصر والقاهرة وتعطل الزرع بسبب موت الفلاحين ولم يكن الموت قاصرا على
الادميين بل شمل الطاعون أيضا الجمال والخيول والحمر والوحوش والطيور وحصل الغلاء واشتد حتى بلغ عن الويبة
من القمح وهي سدس الاربع مائتي درهم فضة وفي سنة احدى وخمسين وسبعمائة جمع السلطان حسن القضاة
الاربعة والامراء ورشد نفسه وبعث أيام قبض على جماعة من الامراء منهم الأمير منجك المتقدم ذكره وأرسلهم الى
الشام على طريق الاسكندرية فدخل الامراء من ذلك ما دخلهم الى أن تعصبوا وقاموا عليه في سنة اثنتين وخمسين
وسبعمائة وكان رأس الفتنه الأمير طاز فقبضوا عليه وسجنوه بالقلعة في مكان داخل دور الحرم فأقام به الى حين عوده
للسلطنة ثانية كما سيأتي فكانت مدته في هذه المرة ثلاث سنين وتسعة شهور وتولى بعده أخوه الملك الصالح صلاح
الدين صالح في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة يوم خلع أخوه وهو آخر من تسلط منهم ولم
يكن بلغ سنه خمس عشرة سنة فأقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ثم خلع لكثرة الهوى وسجن بالقلعة يوم الاثنين
ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة وكان المتكلم في أمر الديار المصرية في مدته الأمير طاز المتقدم ذكره وهو
صاحب الدار التي جعلت في زمانها هذا مدرسة للبنات بقرب الصليبية والأمير شيخو العمري صاحب الجامع والخانقاه
بالصليبية والأمير صرغتمش صاحب المدرسة بخط الصليبية أيضا فكان الأمير طاز يسيره كيف يشاء وكان هو الذي
اجلس الصالح على سرير الملك فكان للملك الصالح من السلطنة الاسم وللامير طاز الفعل فنشرت قلوب بعض الامراء من
ذلك وقاموا على الأمير طاز وأرادوا القتل به فتعصب بالسلطان ومضى معه لقتالهم ونودي في القاهرة بقتل كل من
وجد من ممالك الامراء الثمانيين فقتل منهم في الحارات وداخل البيوت عدد وافر ووقع القتال بين الأمير طاز ومعه
السلطان وبين الامراء الثمانيين عند خليج الزعفران وجهة المطرية فكانت النصر للسلطان ومن معه بعد ان قتل في
المعركة كثير من المماليك وفي سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة خرج عن الطاعة بعض نواب المملكة في البلاد الشامية
وانضم اليهم عدد عديد من الامراء والعسكر سوى من النفا عليهم من العرب والعشائر فحصلت منهم أمور
شنيعة خصوصاً بدمشق فانهم نهبوا ضياعها وخرّبوا بساكنيها وأخشوا في النساء فقام السلطان وسار اليهم وحاربهم
وبدشملهم وقتل كثيرا منهم ورجع منصورا وبنيت له مصر وفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة خرجت عرب
الصعيد عن الطاعة ونهبوا الغلال وقتلوا العمال فخرج اليهم السلطان بنفسه ومعه جميع الامراء وكان رؤساء
العسكر الأمير طاز والأمير صرغتمش والأمير شيخو فأفئوا كثيرا من العرب حتى عمل شيخو منها مطب وبنارات على
شاطئ البحر وحضروا بنحو سبعمائة أسير منهم قتلوا جميعا بالقاهرة وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة منع اليهود
والنصارى من مباشرة الدواوين وان لا يزيد عمائمهم عن عشرة أذرع ولا يدخل أحد منهم الحمام الا وفي رقبته صليب
ولا تدخل نساؤهم مع نساء المسلمين وان يكون ازار النصارى رابية أزرق وازار اليهودية أصفر وازار السامرية أحمر وان
يلبسوا الخف لونين كل فردة من لون وفي هذه السنة وثب الأمير شيخو العمري ومعه جماعة من الامراء على الملك
الصالح وكان الأمير طاز متغيبا عن القاهرة في البحيرة لاصيد فجمعوا على السلطان وخاعوه من الملك وسجنوه بدور
الحرم يوم الاثنين ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة وفي يوم خلع عاдал للسلطنة الملك الناصر حسن بن الناصر
محمد بن قلاوون باتفاق الامراء الحاضرين فأقام في الملك ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وقام عليه مملوكه الأمير
يلبغا وقتله في يوم الاربعاء تاسع جمادى الآولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة وكان ملكا شجاعا بطالاً هيباً نافذاً الكلمة
محباً للرعية وفتح في أيامه جملة قلاع غير أنه كثيرا ما كان يصادر أرباب الوظائف ومات عن سبع وعشرين سنة
منها في السلطنة عشرين سنين ونصف في المرتين وخلف من الاولاد عشرة من الذكور وستة من البنات وكان قد وقع

في نفسه التخلص من امرة المماليك لكثرة ما كانوا يحدثونه من الفتن والثورة على الملوك طمعاً في السلطنة فصار يولي
 الوظائف لاد الناس لكنه لم يتم له ما اراد لضيق مدته عن اتمام ذلك وكثرت الاحزاب وفي مدة سلطنته جعل الأمير
 شيخو العمري أميراً كبيراً وهو أول من سمي بأمير كبير وصار الخلع والعقد اليه والى الأمير صرغتمش وكان بينهما ما
 وبين الأمير طاز عداوة وكان غائباً فلما حضر قبض عليه وسجنه ثم عفا عنه وجرت معه أمور آلت الى قتله وفي سنة
 ثمان وخمسين وسبعمائة قام أحد المماليك على الأمير شيخو في الديوان وضرب به بمخبر ثلاث ضربات في وجهه فقاموا
 عليه وقتلوه وبقي شيخو مريضاً بجراحاته ثلاثة أشهر وفي داره بحجرة البقرة التي هي الآن حوش بردق ثم مات من ذلك
 ودفن في خانقاهه التي في الصليبة وكانت عدة مماليكه سبعمائة وبلغ من العز والسلطة مبالغاً لم يبلغه غيره وصادراً أكثر
 العمال والامراء من مماليكه ورجاله وكثرت أمواله حتى صار يدخل أملاً كل في اليوم مائتي ألف درهم نفقة سوى
 الانعامات السلطانية والتقدم التي ترد اليه من الشام ومصر والبراطيل على ولاية الأعمال وبعده استقل صرغتمش
 بالكلمة وصار رأس نوبة النوب واتبى العساكر وضرب فلوساً جديدة كل فلس زنته منقال فشمل الناس من ذلك
 ضرر عظيم ومنع ما كان مرتباً بالديور والكنائس من ديوان الاحباس وكان نحو من خمسة وعشرين ألف فدان فبطل
 من حينئذ ما كان بأيدي النصاري من الرزق ووزع كل ذلك على الامراء وهدم كنيسة شبري التي كانت تعرف بكنيسة
 الشهيد وكان بها اصبع يعرف باصبع الشهيد كانوا يضعونه في النيل ليزيده في زعمهم وذلك انهم كانوا كل سنة في ثامن
 بشنس يحتفلون بذلك ويرغمون ان القاء اصبع الشهيد في هذا الاوان يجلب زيادة النيل ويجمع لذلك خلائق
 لا يحصون من مصر والقاهرة وضواحيها ما ينصبون الخيام على ساحل النيل وفي الجزائر ويصرفون في ذلك أموالاً
 لها صورة ويكون يوم قصف وشرب وملاعب زائدة فهدم صرغتمش الكنيسة وأحرق الاصبع في قراييدان وزالت
 تلك العادة من ذلك العهد ثم انه لما كبره حتى على السلطان نفر منه السلطان وألقى اليه الامراء فيه وحذروه منه وقالوا
 له ان لم تقتله قتل فوجه السلطان أفكاره لهذا الامر حتى قبض عليه في الاوان وأرسله الى الاسكندرية فسجنه بها
 مدة ثم قتله فتحدثت مماليكه وكانوا نحو ثمانمائة ووقع الحرب بينهم وبين عساكر السلطان في الرملة فقتل غالبهم
 ونهبت دورهم ودور سيدهم وخانقاههم ودكاكين الصليبة وكان امراءهم مهولاً وحينئذ كان الموت واقعاً بمصر فخرج
 السلطان الى الحيرة وذلك في سنة اثنتين وستين وسبعمائة وكان قد أهداه بعض ملوك اليمن بخيمة غريبة الشكل بدعته
 الصنعة بها قاعة وحمام فنصبها هناك وصار الناس يذهبون للتفرج عليها فقام بها ثلاثة أشهر وكان قد جعل أمور مصر
 بيد ملوكه يلبغا فوقع بعض الامراء بينه وبين السلطان فكان السلطان يخشاه على نفسه واضمر ان يقتله وأراد ان
 يكسبه في مخيمه وعلم يلبغا منه ذلك فأخذ حذره فكم للسلطان في طريقه فوقعت أمور آلت الى قتل السلطان في
 تاسع جمادى الاولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ومن انشائه المدرسة المعروفة الآن بجامع السلطان حسن بن
 الرملة وحجرة البقرة وكذا أنشأ بالقلعة قاعة البيسرية سنة احدى وستين وسبعمائة فجاءت في غاية الحسن لم ير مثلاً لها
 في المباني الملوكة ارتفاعها في السماء ثمانية وثمانون ذراعاً وعمل بها برج من الابنوس المطعم بالعاج وله باب يدخل
 منه الى أرض كذلك وفيه مقر نص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر اليه بشبابيك ذهب خالص وطرقات ذهب
 مصوغ وشرفات ذهب مصوغ وقبة مصوغة من ذهب صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف مثقال من الذهب وصرف في
 مؤثته وأجره ثمة ألف ألف درهم فضة عنها الخمسون ألف دينار ذهباً وبصديراوان هذه القاعة شبك حديد يقارب باب
 زويلة يطل على جنينة بدعته الشكل وجملة ما دخل فيها من الفضة البيضاء الخالص المصروبة مائتا ألف وعشرون
 ألف درهم كلها مطلية بالذهب وفي أيام سلطنته أنشأ جامع شيخو وخانقاهه وخانقاه صرغتمش ❶ ويوم موته تولى
 الملك بعده ابن أخيه السلطان صلاح الدين محمد بن مظفر حاجي ولقب بالملك المنصور وعمره أربع عشرة سنة واستبد
 بتدبير الامور الأمير يلبغا العمري واستمر الملك المنصور في السلطنة الى أن خلفه يلبغا في ربيع شعبان سنة أربع وستين
 وسبعمائة وسجنه بالقلعة في دور الحرم وذلك لانه كان مغرباً ما يشرب لا يفيق منه ساعة واحدة ما تلا بكليته الى الانغانى
 والحواري الحسن وبقي الملك المنصور بعد خلفه مشغولاً بالذات الى أن مات مخلولاً سنة احدى وثمانين وسبعمائة
 ودفن في تربة جدته أم أبيه خوند طفلي عند الباب المحروق ❷ ثم تولى السلطنة السلطان زين الدين أبو المعالي

شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون في منتصف شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة ولقب بالملك الاشرف
 وكان عمره عشرين سنين وأقيم في الاتابكية الأمير يلغا العمري فقام بالامور لصغر سن الاشرف وفي سنة سبع وستين
 وسبعمائة أراد أن يجعل الأمير طنبغا الطويل نائب الشام وكان الأمير طنبغا حينئذ في جهة العباسية برأس الوادي
 يتصيد فأرسل له بذلك صحبة جلد من الامراء فلم يمتثل واتخذ مع الامراء المرسلين اليه ورفعوا اللواء العصية ان فلما بلغ
 الأمير يلغا الخبر أخبر السلطان وقام بالعساكر لقتالهم فوقع بين الفريقين مقتلة قوية عند قبة النصر بقرب الجبل
 الاحمر من العباسية آت الى انتصار يلغا فقبض عليهم وقتل من قتل وأسروا من أسروا وفي تلك السنة أعني سنة سبع
 وستين وسبعمائة وردت هراكب صاحب قبرس على نهر الاسكندرية وكانت سبعين سفينة حربية مشحونة
 بمقاتلين فطرقوا المدينة على حين غفلة فقام عليهم م نائب الاسكندرية بمن جمعهم من العساكر والعرب وقتلهم
 فمزموه ودخلوا المدينة فنهبوا وقتلوا كثيرا من أهلها ورحلوا عنها قبل وصول عساكر السلطان اليهم ولهذا السبب
 وكثرة افساد هراكب الافرنج في البحر وقطعهم طرق التجارة شرع في انشاء مائة مركب من المراكب الحربية
 بالجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة العبيط لاجل ردعهم ومنعهم فلما اكملت توجه اليها السلطان يوم ما ينظرها فتفرج
 عليهم او عدى الى الجزيرة ثم مضى الى الطرانة بتصد النزع ونصب بها خيامه وكانت مما يليك يلغا يضمرون الخيانة
 لسيدهم ويريدون القتل به سرا فهاجموا عليه ليلا فلم يجدوه لانه كان قد بلغ الخبر فهرب الى القلعة فتوجه المماليك
 الى السلطان وأخبروه وجبروه على الاتحاد معهم فلم يسعه غير الموافقة ولما بلغ يلغا هذا الامر جمع جوعه واستدعى
 بالامير أنوك أخى السلطان من دور الحرم وقلده السلطنة ولقبه بالملك المنصور وسار به الى الجزيرة الوسطى والسلطان
 الاشرف في برانباية مع المماليك وصار الفريقان يترامون بالشاب والمكاحل الى أن عدى السلطان بجماعة معه
 على حين غفلة الى جزيرة الفيصل من جهة الوراق وسار من جهة خليج الزعفران ومن بين الترب حتى طلع الى القلعة
 وتسمع بذلك من كان مع يلغا ففارقوه وانضموا الى السلطان الاشرف وانتهى الامر بالقبض على يلغا وايداعه
 السجن ثم تسلمته ممالكه فقتلوه عند الصرة ودفن عند الباب المحروق وكان قد بلغ من العظمة ما بلغ وكانت عدة
 ممالكه نحو ثلاثة آلاف مملوك وهو صاحب الدار التي محلها الآن ورشة الخوض المرصود وبعد موته تعين بدله في
 الاتابكية استدمر الناصري بعد فتنة كثيرة مات فيها كثيرا من الامراء فالتفت ممالكه يلغا على استدمر وكانوا
 من أنجس خلق الله فأكثروا النهب وهتكوا الاعراض واتحدوا مع استدمر على الفتك بالسلطان فتعصب الزعر
 وكثير من العسكر للسلطان وحصل بينهم وبين استدمر وجماعتهم واقعات انتهت بالقبض على استدمر وسجنه
 وتداول الاتابكية بعد استدمر أربعة من الامراء وهم يلغا اص ومنه كلتي بغا السيفي والجاني اليوسفي ومنجك
 اليوسفي فلم تخل أيامهم من الهرج والمرج والثورة على السلطان والتعاضم عليه ومنهم الجاني اليوسفي تزوج خوند
 بركة أم السلطان وهي صاحبة المدرسة المعروفة بجامع أم السلطان في التيانة وماتت في عصمته فحصل بسبب ميراثه
 تغير بينه وبين السلطان وجرت بسبب ذلك قتل ووقائع مات فيها الجاني اليوسفي وخلفه في الاتابكية منجك اليوسفي
 وبقي بها الى أن مات سنة ست وسبعين وسبعمائة فلم يول السلطان أحدا بعده وتولى الامور بنفسه وكانت تلك المدة
 كلها مدهرج ومرج ووقعت فيها وقائع كثيرة تارة بالرميلة وتارة بجهة بولاقي وفي الجزيرة أوفي ضواحي القاهرة
 ومصر وتخرب فيها كثير من الدور الشهيرة والمباني الفاخرة وتعطل فيها كثير من المتاجر وخسر فيها الناس خسائر
 لا تحصى وفي خلال ذلك رسم السلطان الاشرف للاشراف سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بخضرة العمامة امتازوا بها
 عن غيرهم اظهرا اشرفهم وتعظيم الحثهم وفي سنة ست وسبعين قصر مد التيل فحصل الغلاء والفناء وفي سنة ثمان
 وسبعين أبطل ما كان يؤخذ على أصحاب الاغانى من رجل ونساء وأبطل القراريط وهي ما كان يؤخذ اذا باع أحد
 ملكه وذلك على كل ألف درهم عشرون درهما وفي تلك السنة سار السلطان الاشرف للعب الى بيت الله الحرام فلما
 وصل الى العقبة ثارت عليه المماليك ففر راجعا الى القاهرة واخفى في دار امرأته بالجودرية الى أن قبض عليه فاخذ
 وخنق في سادس ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وكسر ظهره ووضع في زنبيل وألقى في بئر ثم أخذ ودفن في
 مدرسة أمه وكان ذا حرمة وعظمة ومعروفة بالامور وولى في أيامه الكثير من أولاد الناس المناصب السامية والوظائف

الخليلة وافتتح عدة مدن وأنشأ مدرسة برأس الصوة تجاه القلعة عرفت بالمدرسة الاشرفية ثم هدمت في مدة سلطنة
فرج بن برقوق ثم أنشئ في محالها المارستان المؤيدى في أيام السلطان المؤيد شيخ ولم يبق منها الا باب واحد موجود عند
تسكة الانعام في جهة الرملة الى الآن وهو في غاية الحسن والاتقان وكان يوم قيام المماليك على الاشرف في جهة
العقبة أشيع في القاهرة موته فأقيم في السلطنة بعده ابنه على علاء الدين سنة ثمان وسبعين وسبع مائة ولقب بالملك
المنصور ❶ ولما تولى الملك المنصور السلطنة كان عمره سبع سنين وتولى النيابة المقر السيفي اقتمر الصاحبى الشهير
بالحنبل وطشقر الحمدي الشهير باللفاف أتابك العسكر ولصغر سن السلطان ارتبكت الامور واضطربت الاحوال
ووقعت حروب آلت الى عزل النائب والاتبك وتولية الامير آيتك البدرى أتابك العسكر وكان رأس العصبة فلما تولى
أخذ في عزل والتولية وسجن بعض الامراء وقتل البعض وأسكن بعض مماليكه في مدرسة السلطان حسن وبعضهم
في مدرسة السلطان شعبان برأس الصوة واستبد بالامور وبلغه ان عمال الشام رفعوا راية العصيان فجهز اليهم جيشا
جرا وخرج اليهم مع السلطان وفي أثناء الطريق هرب بعض الامراء ورجع الى مصر وتحشد مع كثير من الامراء
وغيرهم فلما بلغ أتابك ذلك رجع هو والسلطان وقائلا العصاة في الرملة فانتصر العصاة وقبضوا على الاتبك
وحبس بالاسكندرية وتداول النيابة والاتبكية وغيرهما من الوظائف جماعة من الامراء كل أيامهم فتن ومحن
ومن جملتهم الامير برقوق العثماني وفي سنة تسع وسبعين وسبع مائة حصل حريق هائل بظاهر باب زويلة عند باب دار
التفاح مكث يومين بلبا اليهما فاحترقت دار التفاح والرباع التي حوله ووصلت النار الى البراذعين وعند الموازين
فاحترق نحو خمسمائة دار ولولا سور القاهرة لاحتق نصف المدينة ولما صار الامر لبرقوق نصرف في الامور برأيه
فاوقع بكثير من الامراء وسجن من سجن ونفى من نفى فقام عليه باقى الامراء وقتلوه مرارا وملاكو القلعة فاصبرهم
حتى أخلاهم منهم وقتل منهم عددا وافرا وتكن من باقيهم وسجنهم بالاسكندرية وفي سنة احدى وثمانين وسبع مائة
هجمت العرب على دمنهور البحيرة ونهبوها ونهبوا كثيرا من قرى البحيرة فتوجهت اليهم جملة من العساكر فقاتلوه
وانتصر العسكر عليهم وقتلوا منهم جملة وأسروا نساءهم وأطفالهم واتوا بهم الى القاهرة ودخلوها في موكب هائل
وباعوهم بها يسع الارقاء وفي خلال تلك الحوادث حصل وباء عظيم مات فيه السلطان سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة
ومدته خمس سنين وأشهر وكانت نفس برقوق مائلة الى الجلوس على تخت السلطنة ككل من تولى الاتبكية لكنه
خاف من الامراء فاجلس على التخت السلطان زين الدين حاجي أخا الاشرف سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة ولقبه بالملك
الصالح ❷ ولما تولى الملك الصالح حاجي كان عمره احدى عشرة سنة فلم يكن له من السلطنة سوى الاسم وكان الكلام
كاه لبرقوق وكانت المملكة في غاية الاضطراب لان كل واحد من الامراء كان يريد الرياسة فكانوا يوقدون نيران الفتن
وكذلك العرب كانت تعربد في البلاد وعلم برقوق اتفاق بعض المماليك السلطانية مع أحد مماليكه على الفتك به فقام
برقوق واتحد مع خشد اشيته وهجم على باب السلسلة الذي هو باب العزب أحد ابواب القلعة واستحضر الخليفة
الموجود وهو المتوكل على الله العباسي والقضاة الاربعة وسائر الامراء فلما اجتمعوا في باب السلسلة قام القاضي
بدر الدين بن فضل الله كاتب السر وقال يا أمير المؤمنين وياسادات القضاة ان أحوال المملكة قد فسدت وزاد فساد
العرب في البلاد وخامر غالب النواب في البلاد الشامية وخر جوعا عن الطاعة والاحوال غير مستقيمة والوقت محتاج
الى اقامة سلطان كبير تجتمع فيه الكلمة ويسكن الاضطراب فتكلم القضاة مع الخليفة في سلطنة الاتبك برقوق
فخلعوا الملك الصالح حاجي من السلطنة وتقررت بينهم سلطنة برقوق ودخل الملك الصالح دور الحرم عند اخوته فكانت
مدة سلطنته بعد أخيه سنة وشهورا فكان من تولى السلطنة من ذرية الناصر اثني عشر أقاموا فيها ثلاثا وأربعين
سنة مع ان الناصر محمد بن قلاوون أقام بها أربعين سنة ومدة كل واحد منها كانت أهوالا وشدا تدحى اشدها الضرر
بالناس ومع ذلك حدثت في مدتهم مائتا كثيرة بيولا والقاهرة وضواحيها وأغلبها كان في الرحاب التي كانت
بالقاهرة زمن الدولة الفاطمية والدولة الايوبية

(دولة المماليك الجراكسة)

أول من تسلط منهم هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن أنص في أواخر سنة أربع وثمانين وسبع مائة وهو

بحر كسي الجنس أخذ من بلاد الجركس وبيع ببلاد القريم وجلب الى القاهرة فاشتراه الامير الكبير ببلغا الخاصكي وأعتقه وجعله من جملة مماليك الاجلاب وعرف برقوق العثماني نسبة الى بائعه الخواجه نحر الدين عثمان بن مسافر فلما قتل ببلغا في زمن الملك الاشرف أخرجه مع المماليك الاجلاب الى الكرك فاقام مسجوناً به اربعة سنين ثم أطلقه والذين كانوا معه فمضوا الى دمشق وخدموا عند الامير منجك نائب الشام الى أن طلب الاشرف المماليك اليلبغاوية فقدم برقوق في جلستهم واستقر وافى خدمة على وحاجي ولدي الاشرف وعرفوا باليلبغاوية وصار برقوق من الامراء المعدودين الى أن تسلط بعد خلع حاجي كما تقدم وكان قد سمي برقوقاً لحظوظ في عينيته ومن قبل تلك المدة كان شراء المماليك أمر ألفه الملوك والامراء ليقبضوا بهم وكان السلطان الملك المنصور قلاوون اشترى من الجركس واللاظ عدداً وافراً يبلغ ثلاثة آلاف وسبعمائة مملوك وعمل منهم أوجاقية وجق دارية وجاشنكيرية وسلجدارية وجعلهم في أبراج القلعة واقفى أثره في ذلك غيره ففي آخر سلطنة الملك الصالح زين الدين حاجي كانت الاحوال مضطربة أصغر سنه كما مر وكان كل أمير متطلعاً الى السلطنة فتغلب الامير برقوق وتولى الاسور ثم تغلب على السلطان وخلعه وجلس على تخت الملك على وجه ما تقدم ومن انشائه المدرسة البرقوقية بدأ فيها سنة سبع وثمانين وسبعمائة وتمت في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فكانت مدة العمل فيها سنة وكان المباشر للعمل فيها الامير جركس الخليلي ولما استقر برقوق في الملك أخذ يكثر من شراء المماليك ورخص لهم في سكنى القاهرة وفي التزوج فنزلوا من الطباق في القلعة وتزوجوا بنساء أهل المدينة وأخذوا الى البطالة وتغيرت أحوال الدولة وعواثدها ثم رفع نواب البلاد الشامية لواء العصيان ووقع بينهم وبين عساكر مصر وقائع شتى فيها كثير من الدماء ودام الاضطراب حتى حضر ببلغا الناصري بعساكره من الشام فخرب عساكر السلطان برقوق خارج باب النصر فانهم زمت عساكر السلطان واختفى برقوق واستولى ببلغا على القلعة فأخرج حاجي بن الاشرف من دور الحرم وولاه السلطنة واقبسه بالمنصور ثم قبض ببلغا على كثير من الامراء وامتدت أيدي العساكر الشامية الى النهب والسلب فنهبوا جهة باب النصر والركن الخلق وجهات أخرى فارتجت القاهرة لذلك وأكثرت الناس من العويل والشكوى الى ببلغا فنع ذلك ثم أخرج من مصر جميع مماليك الظاهر برقوق وأكثرت البحث عنه حتى عثر به فقبض عليه وأرسله مسجوناً الى الكرك وبعد ذلك حصلت عداوة بين الامير منطاش وبين الاتابك ببلغا بسبب عنها فتنة ومحاربة في الرملة آل أمرها الى حرب ببلغا وجاءت عداوته وصار الخلق والعقيد يد منطاش فعزل وولى وتصرف تصرفاً مطلقاً وفي تلك المدة تمكن الملك الظاهر برقوق من الخروج من الكرك فخرج وانضم اليه مماليكه وكثير من العرب وحصل له مع ولاية الشام والملك المنصور وقعات عديدة انتهت برجوعه الى السلطنة ثانياً وكان الامير منطاش قد هرب في الوقعة الاخيرة فبعد عود الظاهر برقوق للسلطنة مال اليه كثير من الناس وصار يجمع على البلاد الشامية ويقتل ويسلب وحصل له وقعات مع نواب الشام انتهت بقتل منطاش وأتى برأسه فعلق على باب زويلة وفرح السلطان برقوق بقتله فرحاً شديداً وكان المتولى الاتابك كية الامير لاجين الجوى وفي تلك المدة كان تيمورلنك يعثو في البلاد بجيوشه الباغية وأخرب بلاداً كثيرة وحصل بينه وبين المصريين وقعات كثيرة واستولت عساكره على بغداد وفرصا حياها القناتاجر وحضر الى مصر فأكرمه السلطان وأثرت في دار الامير طقوز دمور المظلة على بركة القيل وهي محل المدارس الميرية الآن في درب الجماميز ثم جهز جيشاً وسار معه بنفسه الى الشام وكان تيمورلنك قد رحل عنها ورجع السلطان برقوق الى مصر وتوجه الى مملكته فكانت هذه المدة حروباً وشدايد ووقع فيها غلاء وباء بديار مصر بسبب منه خراب كثير من البلاد وكثير من الدور والحارات في القاهرة وغيرها من المدن واستمر السلطان برقوق في الملك الى أن مات على فراشه سنة احدى وثمانمائة ودفن في تربته بالصحراء فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست عشرة سنة وشهوراً منها مدة السلطنة الاولى ست سنين وشهوراً والثانية تسع سنين وشهوراً ومدة اتابك كية أربع سنين وشهوراً ولما مات كان له من العمر ثلاث وستون سنة وخلف من الاولاد ستة ثلاثة من الذكور وثلاث من الاناث وخلف في الخزانة من المال ألف ألف دينار وأربع مائة ألف دينار ومن الخيل اثني عشر ألف فرس ومن الجمال خمسة آلاف جل ومثلهما من البغال وكان كثير البر والصدقات فكان يفرق

كل سنة سبعة آلاف إردب على الزوايا والمزارات وأبطل في أيامه مكوسا كثيرة بمصر والشام وعظم أمره حتى خطب باسمه في أماكن لم يخطب فيها لاحد قبله فخطب باسمه في توريز من بلاد العجم وفي الموصل وفي ماردين وفي سنجار وضربت السكة باسمه في جميع هذه البقاع وأراد أن ينقض الأوقاف فنهه من ذلك السراج البلقيني والعلماء وكان في يومى الأحد والأربعاء ينزل إلى باب السلسلة ويجلس بالاصطبل لسماع الشكاوى والمظالم وهو أول من رتب شرب القمح في الميدان تحت القلعة والقمرلين مصنوع مخض فيه أسكار فكانت الأمور تجتمع كل يوم أربعاء في الميدان فتدور عليهم السقااة بزبادى القمح وصار ذلك من شعائر السلطنة ❶ وفي أيامه أبطل ما كان يعمل بالديار المصرية يوم النيروز (وهو أول يوم من السنة القبطية) من اجتماع الكثير من أراذل الناس على أبواب الأكراب والاعيان ويجعلون أهم أمير يسمى أمير النيروز فيقر بمبالغ على كل أمير فن أعطاه مرسوم كف عنه والأشبهه ذما وشماع كانوا يقدفون في الطرقات ويرشون من مر بالمياه النجسة ويضربونهم بالبيض التي وغير ذلك من القبائح حتى كانت الناس ذلك اليوم لا يخرجون من بيوتهم ويغلقون دكاكينهم وتتعطل الأشغال جميعها وقبل موته كان قد عين لابنكبة أيتم البجاسى عوضا عن كشمبغا فلما اشتد عليه المرض جعل ابنه ولي عهده ❷ فلما مات تولى ابنه الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج سنة إحدى وثمانمائة وعمره نحو العشر سنين فلم يلبث أن قام أيتم بعماليكه يريد خلع السلطان فتحزب عليه عماليكه انظاها مع كثير من الأمراء وانتشب الحرب بين الفريقين في الرملة وحول القلعة فانهمز أيتم وفر إلى الشام وقتل في هذه الواقعة كثير من الناس ونهب العوام بيوت الأمراء الذين هربوا معه ونهبوا مدرسة أيتم التي عند باب الوزير وأحرقوا ربه المجاور للمدرسة وحفروا قبر أولاده بطن أن فيه مالا فلم يعثر على شيء ونهبوا جامع آق سنقر المجاور لدار أيتم وهو المعروف الآن بجامع إبراهيم أغا بالساقية ونهبوا قبة خوندز هراء بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون المجاورة لدار أيتم ونهبوا وكالة أيتم ومدرسة السلطان حسن وأحرقوا بابها الكون أيتم كان يحاصر القلعة منها ولم يزل النهب مستمرا مدة يومين وازداد أمر العوام حتى كسروا باب حبس الرحبة وأطلقوا من كان به من المحاميس وماجت المدينة وتعطل البيع والشراء واضطربت أحوال الناس وتعين بدل أيتم في الابنكبة بيبس السيفي فهدأت الحال في المدينة والتف أيتم على بعض نواب الشام وعثوا هناك بالقتل والسلب فجهز إليه السلطان جيشا جارا وسارا إليه وبعدد وقعات قبض على أيتم وقطع رأسه وقتل كثيرا ممن معه وأرسل برأسه فعلق على باب زويلة ثم رحل إلى مصر ودخلها في موكب هائل ولما دخلت سنة ثلاث وثمانمائة كانت عساكر تيمورلنك قد انتشرت في جميع جهات الشام ودمروا ما وصلوا إليه من البلاد لاسيما حلب فانه تمكن منها بعد محاربتها وانهمز عساكر السلطان وقتل كثير منهم واستمر القتل في المدينة ثلاثة أيام فقتلوا الرجال وسبوا البنين والبنات واقتضوا الأبنكار وهتكوا الأعراس وأحرقوا الدور وقاموا الأشجار وأسرقوا في النمل في جميع البلاد حتى قيل انه بنى من الرؤس عشر منارات دور كل منارة عشرون ذراعا في مثلها ارتفاعا وجعلوا لوجوه من ابارزة تدرى عليها الرياح وتركوها للحدث للكلاب والوحوش ويقال ان قتلى مدينة حلب بلغوا نحو من عشرين ألف نفس وكذا فعل بحماة ودمشق وأحرقها عن آخرها ولم أراد الرحيل عن دمشق فجعلوا له أطفال المدينة الذين أسر أهلهم وأكبرهم ابن خمس سنين ليرقاهم وكانوا نحو عشرة آلاف نفس فأمر تيمورلنك عساكره أن يسوقوا عليهم بالخيول فساقوا عليهم حتى أتوا على آخرهم كل ذلك والسلطان فرج في لهو وشربه وحظوظه مع الملاح والندماء وتوقف النيل وحل الوباء والغلاء بديار مصر حتى قيل ان أهل الصعيد باعوا أولادهم وقد سخط الأمر على السلطان وسخط عليهم فشارت الفستق في كل جهة وهاجت عرب الشرقية وكثر النهب واستمر ذلك إلى سنة ثمان وثمانمائة فقام بيبس على السلطان وأراد الفتك به فهرب ❸ وأقام بيبس بدله السلطان عز الدين عبد العزيز أخا الناصر فرج وعمره عشر سنين وتلقب بالملك المنصور ولم يبق في السلطنة الا نحو شهرين وفي مدته صار بيبس هو الابنكبة وبهذه الحال والعقد وليس للمنصور غير الاسم وانخفضت كلمة المعز السيفي بشتك الدوادار فعز عليه ذلك وحزب الأحزاب وكان الناصر فرج مخفيا فظهر واقتربت الأمراء والعساكر ففرقتين ووقع الحرب بينهما في الرملة وقراميدان وأطرافهما فقتل خلق كثير ونهمز بيبس ❹ ورجع السلطان الناصر

فرج للسلطنة ثانيا ورسم لآخيه عز الدين بالدخول في دور الحرم وعين المقر السيفي تغري بردي أتابك العسكر وقبض على أكثر الأمراء المتعصبين وعلى يبرس وأرسلهم إلى سجن الاسكندرية والتفت إلى عماليك أبيه فصار يذبح منهم بيده كل ليلة نحو العشرين وأكثر من الشرب والفسق فهرب أكثر عماليك أبيه ورفع الأمير شيخ المجودي لواء العصيان بالشام والتف عليه كثير من الناس وكان معهم الخليفة المستعين بالله العباسي والقضاة الأربعة فتوجه إليه السلطان الناصر فرج بجيش جرار فالتقى الجمعان في ضيعة من الشام تعرف باللجون ففارق الناصر من كان معه وخذلوه وخذلوا فهرب فلحقوا به وقبضوا عليه وحبس في برج بقلعة دمشق ثم دخل عليه جماعة من الفداوية وقتلوه بالخناجر فلما أصبح الصباح ألقى على منبله خارج البلد فيق على هذه الحالة ثلاثة أيام ثم دفن بمقبرة دمشق فكانت مدته بالبلاد المصرية والديار الشامية ثلاث عشرة سنة وشهور أوله من العمر نحو ست وعشرين سنة وخلف من الأولاد خمسة ذكور وأربع إناث وكان شجاعا مقداما غير أنه كان سفاكا لا دما مسرفا على نفسه ومنهم من كان على شرب الخمر وسماع الزمر كثير الجهل قليل الدين وله من المباني بالقاهرة مدرسة تجاه باب زويلة عرفت بالدهيشة وعمر الجامع الذي في داخل الحوش السلطاني بالقلعة وجد بالدهيشة التي في القلعة أشياء كثيرة وعمر الربعين للذين بقرب جامع الصالح خارج باب زويلة وغير ذلك من المباني وفي أيامه احترق نحو الثلث من الحرم الشريف بمكة المعظمة وأنت النار على أكثر من مائة وثلاثين عمودا وعلى باب العمرة فبعث بعشرة آلاف دينار صرفت على عمارة وعملت العمدة من الأجر الأسود عوضا عن الرخام لتعذر وجود الرخام وقتئذ وكان المتولى أمورا المملكة الأمير سعد الدين إبراهيم ابن عبد الرزاق بن غراب الاسكندراني واستولى على كثير من الوظائف فكان ناظر الخاص وناظر الجيوش واستادار السلطان وكاتب السر وأحد أمراء الألوف الأكبر فتصرف في الأمور أسوأ تصرف وهو ممن تسبب في تخريب اقليم مصر فانه ما زال يرفع قيمة الذهب حتى بلغ صرف الدينار مائتين وخمسين درهما من الفلوس بعدما كان صرفه خمسة وعشرين درهما منهم ففسدت بذلك معاملة الأقليم وقلت النقود وغلّت الأسعار فساءت أحوال الناس وزالت البهجة وانطوى بساط الرقة وانقطعت رواتب اللحم وغيرها حتى عن عماليك الطباق مع قتلهم ورتب للواحد منهم عشرة دراهم من الفلوس فصار غذاؤهم غالبا الفول المصالحق يحجز عن شراء اللحم ونحو ذلك مات سعد الدين المذكور في مدة الناصر فرج سنة ثمان وثمانمائة وكانت جنازته مافلة شهدها كثير من الأمراء والاعيان وأرباب الوظائف حتى استأجر الناس السقائف والحوانيت لما شهدتم انزل السلطان للصلاة عليه ولما قتل السلطان الناصر فرج سنة أربع عشرة وثمانمائة كما مر كان في إمكان الأمير شيخ المجودي أن يتسلطن لكنه أخر نفسه وقدم الخليفة العباسي للسلطنة حتى لا يكون عرضة لهام الفتن فان الأحوال كانت مضطربة والفتن قائمة في جميع أنحاء المملكة من مصر والشام وتداعى للخراب كثير من المحلات بالقاهرة وغيرها من المدن والبلدوا أكثر الصعيد وأسفل الأرض حتى صار كثير من الأماكن تلالا وقلات موحشة وخلت الخزائن من الأموال فتأخر شيخ عن الاستيلاء على تخت السلطنة بما يتمكن من عهد الأمور وتقرير الأحوال وولى السلطنة أمير المؤمنين الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس بن محمد العباسي فاقام به ستة أشهر وولى النيابة المؤيد شيخ فشاركه المؤيد في الخطبة وصار الأمر للمؤيد فتغلب على السلطنة وصار الخليفة معه في غاية الضنك محجورا عليه لا يتمكن من كتب منشورا ومرسوم حتى يعرضه على الأتابك فلم يكن له في السلطنة مع الأتابك غير مجرد الاسم وكل الأمر بيد الأتابك شيخ إلى أن بدلاتك أن يخلع الخليفة ويتسلطن فاحضر القضاة الأربعة وسائر الأمراء وخلصوا من السلطنة ولم يخلصوا من الخلافة وأبواه في القلعة تحت الحجر ثم خلعه من الخلافة أيضا وأرسله مسجونا إلى الاسكندرية فاستقر بالسجن إلى زمن الملك الأشرف برسباي فأخرج من السجن وأسكن هناك إلى أن مات في الوفاة الذي وقع في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ودفن هناك وفي أثر خلع الخليفة المذكور من السلطنة سنة خمس عشرة وثمانمائة جلس على تخت المملكة السلطان أبو النصر شيخ المجودي الظاهري أحد عماليك الظاهر برقوق في شهر شعبان من تلك السنة وتلقب بالملك المؤيد وما وصل إلى نوروز نائب الشام أخبار خلع الخليفة وتسلطن المؤيد شيخ وكان نوروز هو القائم مع شيخ والمعتمد له لم يذعن بالطاعة واستمر بخطاب باسم الخليفة فسار إليه المؤيد وجاربه حتى قبض عليه وقتله وعاد إلى القاهرة وولى من كل بغا الشمشي محسبا

بالقاهرة وهو أول من تولى الحسبة من أولاد الترك وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة خلع نواب الشام بقعة الطاعة
 ثانياً فسار إليهم فهر يوا منه واستبدلهم بغيرهم ممن يثق بهم ومن البلاد الشامية وعاد إلى القاهرة وصفاله الوقت
 وأطمأنت البلاد ولما صفا السلطان الوقت أكثر من شراء المماليك وأخذ في اللهو والقصف وصار أغلب أقامته
 بيولا في وقوع في زمنه وباء وغلام من ابتداء سنة ثمان عشرة إلى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة حتى حصل للناس
 من ذلك ضرر كثير ولما مات ابنه إبراهيم وجد عليه وجداً شديداً مع أنه هو الذي قتله بالسهم فيما يقال لما بلغه أنه متطلع
 إلى انتزاع السلطنة منه ثم دفنه في قبة الجامع المؤيد الذي أنشأه في داخل باب زويلة ثم مات عوف دفن معه وكان
 مقدماً خبيراً بالأمور يحب العلم والعلماء وله شعر ومعرفته لكانه كان سناً كالدماء قتل كثير من النواب وكان كثير
 المصادر وأحدث كثير من المظالم وأخذ من جامع من البيوت والمساجد وأخذ باب جامع السلطان حسن
 وعمودي سماق من قبله جامع قوصون ووزع الأخشاب ودهانها على المباشرين وكانت وفاته سنة أربع وعشرين
 وثمانمائة وتولى المملكة بعده ابنه أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ ولقب بالملك المظنر وعمره دون سنتين تعصب له
 مماليك أبيه وكانوا خمسة آلاف مملوك فسلطوه ورضيعاً وجعلوا التصرف في المملكة للأمر بطر بسبب أنه لما مات
 السلطان المؤيد تزوج زوجته أم ابنه السلطان أبي السعادات المذكور فأخذ بزمام الأحكام وأغدى على المماليك
 فأنضموا إليه وكانت الأمور مضطربة في البلاد الشامية لقيام النواب ورفع التابك الأمير طنبغا الواعصيان
 فجهاز طر العساكر وسافر إلى الشام واستعجب معه السلطان برضعته فغلب العصابة وقتل منهم عدداً وافراً
 ورجع إلى مصر ظافراً وصفاله الوقت فسوت له نفسه خلع السلطان فخلعه وأرسله إلى سجن الإسكندرية مع
 مرضعته ودادته وبقي محبوساً إلى أن بلغ سنه إحدى عشرة سنة ومات وهو في السجن فنقل إلى القاهرة ودفن مع أبيه
 وفي سنة أربع وعشرين وثمانمائة المذكورة زاد النيل زيادة مفرطة واستمرت الزيادة إلى آخرها تورول بعهد
 ذلك قط في الإسلام فحصل للناس الضرر الشامل واستجرت الأراضي وغرق أكثر البساتين وفات أوان الزرع
 وانقطعت الطرق لكثرة المما فكان ما حصل للناس بأسباب هذه الحادثة من الضرر والكآبة مع ما هم فيه من المحن
 والفتن جرحاً على جرح ولما خلع أحمد بن المؤيد تولى السلطنة الملك سيف الدين أبو الفتح ططر الظاهري الجركسي
 المذكور في سنة أربع وعشرين وثمانمائة وتلقب بالملك الظاهر فلم يلبث أن مرض ومات ولم يمكث في السلطنة غير
 ثلاثة أشهر ويومين ومع ذلك فقد أفي كثير من الأمراء وهو من مماليك الظاهر برقوق وكان كثير الحيلة والتدبير
 ولكن غلبته حيلة زوجته فانه يقال انه لما خلع ابنه اشغلت به بالسهم فكان سبب موته وانه طلقها قبل موته بقليل وقد
 عهد لابنه محمد فتولى الملك بعده وسنه عشر سنين ولقب بالملك الصالح أبي النصر فأقام في السلطنة أربعة أشهر
 وأربعة أيام ثم خلع وكانت أمور المملكة في أيامه بيد المعز الاتابكي جان بيك العوفي فلم يكن للسلطان معه إلا مجرد الاسم
 فعز ذلك على الأمراء فتنصبوا مع الأمير برسبای الدقاق وقبضوا على الاتابكي وبعثوا به إلى سجن الإسكندرية
 وخلعوا السلطان الصالح وسلطوا برسبای وبقي الصالح مع أمه خوندبركة بنت الأمير سودون القبة في القلعة ثم
 أذن له في النزول من القلعة والركوب إلى زيارة ولده فلم يزل على ذلك إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ودفن
 مع أبيه ططر عند قبر الإمام الليث رضى الله عنه وبعد موته أمر بنزول ذرية الملوك السالفة من القلعة فنزلوا وسكنوا
 المدينة وكان يقال لهم أولاد الأسياذ ولما تولى السلطنة السلطان سيف الدين أبو النصر برسبای الدقاق في سنة خمس
 وعشرين وثمانمائة لقب بالملك الأشرف وبولايته سكنت النتن واستقرت الأحوال وجعل جان بيك اتابكاً ثم رأى
 منه الغدر فشغله في حلوى وولى بدله جقمق العلافي وحصل في زمنه طاعون وحارب ملك قبرس وأحضره إلى مصر
 أسيراً وعلق خودته على باب مدرسته الأشرفية التي بناها في سلطنته عند الوراقين بقرب الغورية وأثبت وقفه في
 جدرانها بكتابة بارزة من بدن الحجر داخل المقصورة حرصاً على بقاء أوقافها ومع هذا لم يند ذلك فائدة فقد لحقها ما لحق
 غيرها من الاضمحلال وبني أيضاً مدرسة بخانقاه سر ياقوس لم ير أحسن منها وله وكالة بالصليبية عليها ريعان وله عمارات
 كثيرة بمصر ومكة والشام وقد تغيرت تلك الآثار بعده بتداول الأيام وزوال بعضها بالكلية وأقام الأشرف برسبای
 في السلطنة ست عشرة سنة ومرض فاشتد به المرض واعتريته ما ليخوليا وخذه في العقل فرسم بأمور منها أن لا يخرج

امراة من بين مطلقا فكانت الغاسلة اذا خرجت الى ميتة تأخذ ورقة من الخشب فتجعلها على رأسها حتى تمشي في السوق ونادى أن لا يلبس فلاح زناطام مطلقا ورسم بتوسيط اثنين من الحكماء فوسطا وهما الرئيس خضر والرئيس شمس الدين بن العفيف واستمر على ذلك حتى مات في شهر ذي الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة ودفن بترتبه التي أنشأها عند البروقية بالحجر وكان له من العمر نحو خمسة وسبعين سنة وكان ذا سكنة وقار ومهابة مع لين جانب ذامعرفة باحوال السلطنة كثير البر والصدقات لم يكن له كثير الطمع في تحصيل الأموال مجبا لجمعها من المباشرين وغيرهم ومن محاسنه ابطال عادة تقبيل الارض وكان ذلك معتادا من زمن من قبله من الملوك حتى أبطله اكتفاء بتقبيل اليد وحسن النقود حتى كانت نقوده من أجود الذهب والفضة وكان الناس يرغبون فيها ثم تولى ابنه السلطان جمال الدين يوسف بعهد من أبيه وسنه نحو خمس عشرة سنة ولقب بالملك العزيز فقام ثلاثة أشهر وخلع وبقى الى أن مات بالاسكندرية في أيام الظاهر خشف قدم وسبب خلعه ان المماليك الاشرفية لما رأوا تصرف الاتابكي جقمق العلاني واستقلاله واحتقاره لسيدهم قاموا عليه وأرادوا قتله فتعصب معه بعض الامراء والمماليك وأوقعوا بمماليك الاشرف فقتل من قتل منهم وفتر من فتر وخلعوا السلطان ثم تولى بعده الاتابك ابوسعيد جقمق المذكور أحد مماليك الظاهر برقوق ولقب بالملك الظاهر سيف الدين ثم جاءت الاخبار بخروج نائب حلب ونائب دمشق عن طاعته فقتلها ما وعلق رؤسهما على باب زويلة فصدمه الوقت وعمر في سلطنته جوامع ومساجد وقناطر وغيرها وكان كثير الاحسان وغزا قبرس واستولى منها على كثير من الأموال والانفس وفي مدته قام العبيد سنة ست وأربعين وثمانمائة وتعصبوا في الجزيرة وجعلوا لهم سلطانا وزرأه فوجه اليهم جلد من المماليك فقتلوا كثيرهم ثم قبض على باقيهم ووضع فيهم القيود وباعهم في المملحة العثمانية وأخلى منهم الديار المصرية وفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة وقع طاعون عظيم مات به كثير من الاغراب وجاء بعده غلاء بيع فيه الاربع من القمح بخمسة اشرفيات الى سبعة وغلا سعر كل شئ وعم الغلاء سائر البلاد وشرق أكثر الارض وماتت البساتين والبهائم وفي سنة سبع وخمسين وثمانمائة مرض السلطان جقمق فلما اشتد به المرض فوض السلطنة الى ولده عثمان ثم مات وعمره احدى وثمانون سنة وكانت مدة سلطنته أربع عشرة سنة وكان ملكا جليلا محسنا الى الامراء السراة مكرما مظلما لهم فصيح اللسان بالعربية وكان عنده حدة زائدة وصادر كثير من الناس وكان اذا سمع بأن أحد ايسكر قطع جامكته ونفاه وهدم كثيرا من كنائس النصارى وأراق الخمر وولما تولى السلطنة ابنه السلطان أبو السعادات عثمان لقب بالملك المنصور ولم يكن اذذاك في الخزانة أموال تصرف على العساكر فأشار عليه القاضي جمال الدين ناظر الخاص بضرب دنانير تنقص عن الاشرفية قيراطين فضر بها وسمها بالمناصرة وصرف منها على العسكر فلم تظمئن العسكر لذلك واتفق الاشرفية مع السيفية والمؤيدية على خلع السلطان واقامة الاتابكي اينال مقامه وجعلوا اينال على ان قام وحاصر القلعة وقطع الماء عن السلطان ومن انحاز اليه واستمر ذلك أياما حتى اضطر السلطان للتسليم فقبض عليه وعلى جملة من الامراء وأرسلوا الى سجن الاسكندرية فكانت مدته أربعين يوما وبقى في سجن الاسكندرية الى أيام الملك الظاهر خوشقدم فرسم باطلاقه فسكن المدينة ثم انتقل الى دمياط في أيام الملك الاشرف قايتباي ثم أذن له في الحج وعاد الى مصر فأقام في القاهرة محترما معززا الى أن عاد الى دمياط ومات بها ثم نقل الى مصر ودفن مع والده وعمره أربع وخمسون سنة وبعد خلعه تولى السلطنة السلطان أبو النصر اينال العلاني الظاهري ولقب بالملك الاشرف وهو جركسي كان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق ثم صار بعد موته الى ابنه الناصر فرج فاعتنته وأخرج له خيلا وقشا وجعله جدارا ثم صار أمير عشرة في دولة الملك المنصور أحمد بن المؤيد شيخ ثم رقى الى رتبة مير طبلخانا رأس نوبة ثان في دولة الملك الاشرف برسباي ثم لما توجه الاشرف برسباي الى آمد جعله نائب غزة وفي سنة ست وثلاثين وثمانمائة جعله نائب الرها ثم أحضره الى القاهرة وأنعم عليه بتقدمة ألف مع بقايا بابه الرهاية ثم نقله سنة أربعين وثمانمائة الى نيابة صندوف في مدة الظاهر جقمق صار اتابكيا بعد موت الاتابكي يشبك السعدوني وذلك سنة تسع وأربعين وثمانمائة ثم لما وثبت العساكر على الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق وقامت الحرب على ساقيها سبعة أيام واهلك العسكر السلطان وخلع تولى السلطنة بدله كما ذكر سنة سبع وخمسين وثمانمائة فقام فيها ثمان سنين وشهرين

وخلع نفسه في مرض موته سنة خمس وستين وثمانمائة بعد ان عهد به لولده وكانت مما ليكه قد ساءت سيرتهم عند
 الناس ولولا ذلك لكان خير ملوك الجراكسة فانه كان ليناهينا قليل الاذى وكان يعرف باينال الاجر ودخلة عارضيه
 وكان لا يحسن الكتابة والقراءة وكانت أيامه أقل فتناً من غيرها وانما كثرة وقوع الحروب في أيامه بالقاهرة مدة ولم يعلم
 له سبب فتخرب بذلك وبما تقدمه من الفتن والحروب أما كن كثيرة من القاهرة وغيرها ووقع الطاعون في أيامه سنة
 ثلاث وستين وثمانمائة فاقام ثلاثة أشهر ثم تولى المملكة بعده ابنه الملك المؤيد أحمد أبو الفتح وكان قد عهد به اليه
 فاقام بها أربعة أشهر ثم خلع بتمام الامر عليه وكان أتابك العسكر اذ ذاك خوشقدم فلم يرض غير قليل ودبت
 عقارب الفتن فتعصب العسكر وحاصروا القلعة ووقع بينهم وبين الملك ما أدى الى القبض عليه وخلعه ومجنته ثم
 تولاها الظاهر أبو سعيد خوشقدم الناصري ثم المؤيد سنة خمس وستين وثمانمائة واقب بالملك الظاهر وهو السلطان
 الاول من الروم ان لم يكن منهم أيك ولا لاجين وفي سنة ست وستين وثمانمائة تمثيل على الامر حتى جمعهم بالقاعة
 وقبض على جماعة من الاشرفية وأرسلهم الى سجن الاسكندرية فقام عليهم باقيهم وسلطوا جرباش الاتبكي
 بالعصب والقوة ولقبوه بالناصر فحصلت وقعة بينهم وبين عصابة السلطان خوشقدم بالرمله انتصر فيها عليهم ونفي
 جماعة وفي السنة المذكورة توقف النيل وغلت الاسعار الى أن بلغ الاردب القمح ألف دهم وفي سنة اثنتين وسبعين
 وثمانمائة توفي السلطان خوشقدم بمرض كان قد أصابه ودفن في تربته التي أنشأها بالصحراء وكانت مدته ست سنين
 ونصف سنة ولم يحصل فيها تجاريد ولا طاعون وسكنت فيها الفتن وكان كسلاً للسلطنة طاهر الذيل لكنه كان سربع
 العزل للقضاة والمباشرين وأخذ أموالهم بغير حق وهو آخر من مشى على النظام القديم من الملوك ثم تولى
 بعده السلطان أبو النصر سيف الدين بلباي المؤيد الجركسي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة واقب بالملك
 الظاهر فاقام بها شهر اوسمة وعشرين يوماً وهو آخر المؤيدية وكان قبل ذلك أتابكي المسا كرفلما تاسلطان جعل
 الاتبكية للمقر السيفي ثم ربا وكان السلطان بلباي عاجز الرأى قليل المعرفة وجعل تدبير الامور لخير بك الدوادار
 فأشار عليه بالقبض على جماعة من امراء الدولة وارسلهم الى سجن الاسكندرية فلما فعل ما أشار به خنق الامراء
 من ذلك وقاموا على السلطان فقبضوا عليه وخلعوه وأرسلوه الى سجن الاسكندرية وكان خشنا قليل المعرفة بامور
 السلطنة وكان يدعى بلباي الجمنون ثم تولى بعده السلطان أبو سعيد ثم ربا الظاهري سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة
 واقب بالملك الظاهر فاقام بها شهرين الا يوماً وخاع وذلك انه في تلك المدة القليلة له أراد مصادرة الامراء للنفقة على
 العسكر فقاموا عليه وخلعوه وسلطوا خير بك فاقام له في فرح وكان الاتبك قايتباي في الربيع فحضر وحاصر
 القلعة وبعد قليل اتصر وقبض على جملة من الامراء وأرسلهم الى ثغر الاسكندرية وقبض على السلطان وأرسله غير
 مقيد الى دمياط ثم تولى السلطنة بعده أبو النصر قايتباي الظاهري المجهودي المذكور سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة
 واقب بالملك الاشرف وهو خيار هذه الطائفة له مبرات وعمارات شتى في مصر والمدينة المنورة على سائر كنهها أفضل
 الصلاة والسلام في مكة المشرفة وغيرها فمن آثاره في مصر جامع بحزيرة الروضة وجامع بقلعة الكباش وجامع
 بباب القرافة ووجدت عمارات كثيرة بالقلعة في ذلك الاوان والمعمد الكبير ووجدت أيضاً عمارة الميدان الناصري
 بالناصرية بعد ان كان مهجوراً وأنشأ عدة قناطر وجسور في الاقاليم ووقف أوقافاً كثيرة على عماراته من بلاد
 وربع وغيرها وله في الصحراء والمدرسة التربة العظيمة التي لم يرمثلها وهو من عماليك الظاهر جتمق وفي أيامه كانت
 فتنة شاه سوار بن ذي النادر وهي فتنة هائلة أرسل فيها السلطان العساكر المرة بعد المرة وهي تنهزم وصرف عليها
 جميع ما في الخزائن وأخيراً أرسل تجريدة تحت امره الأمير يشبك الدوادار ففاق على سوار فأراد سوار اجراء الصلح
 فظهر له يشبك الميل الى ذلك ولما حضر بالعسكر علمت له الاكرامات حتى خدع ثم قبضوا عليه بعد ان قتلوا من معه
 وأرسل هو واخوته الى مصر فأمر السلطان بتسميرهم وادارتهم بالقاهرة ففعلوا بهم ذلك ثم شفقوهم على باب زويلة
 وبقوا كذلك يومين وفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة حج السلطان ولم يحج من السلاطين الجراكسة غير دورتب لاهل
 الحرم من ثمانية آلاف اردب فقالتهم الغنى والفتير والحرو والعبد والذكر والانثى وفي سنة سبع وثمانين وثمانمائة
 توجهت عساكر مصر تحت امره يشبك الى محاربة حسن الطويل ملك العراقيين فكانت بينهم وقعة عظيمة انهزمت

فيها عساكر مصر وأسرت أمراؤها ومات يشبك وهو صاحب القبة الموجودة الآن بالبلاد التي سميت بها قرب
 المطرية وتولى أتابكية العسكر بعده الأمير آق بردى صاحب الدار المعروفة بقاياها الآن بحوش بردى قبلى جامع
 السلطان حسن ثم عقب ذلك محاربته مع السلطان محمد ملك الروم من سلاطين الدولة العثمانية وسبب ذلك
 هدية أهدها بعض تجار الهند الى السلطان محمد فسمع بها قايتباى وفيها خبير مرصع فاستحوذ عليها قايتباى فثارت
 الحرب بهذا السبب وحصلت بينهما وقعة انتهت بنصرة العساكر المصرية وعودتهم الى مصر بالغنائم الا أن السلطان
 محمد الميزل على نية الحرب فقطع التجارة التي كانت ترد على مصر من بلاد الروم وكان يتجهز لمعاودة القتال وفي أثناء
 ذلك أحس قايتباى من بعض الامراء المصرية بالشرب لاسباب قطع نفقات العسكر عما كان يضطر اليه من كثرة
 المصروف فخلع نفسه من السلطنة بمحض من الامراء وغيرهم فتوقع عليه الحاضرون وأكثروا في الرجاء ثم حصل
 التراخي على ان السلطان قايتباى يتفق على كل واحد من العسكر خمسين دينارا ثم حصلت المبايعة له بالسلطنة ثانية
 وانتهى الامر على ذلك فشرع في تحصيل هذه النفقة ورسم بأن يؤخذ من أملاك القاهرة والاقاقاف أجرة شهرين
 كاملين فأخذ ذلك وصرفه على العسكر فكان فتح هذا الباب على يد قايتباى ثم جاءت الاخبار بانغارة العساكر العثمانية
 على بلاد الشام ثانية فجهز قايتباى العساكر لقتالهم وأرسلهم الى الشام فكان بين الفريقين وقعة عظيمة انتصرت
 فيها العساكر المصرية وعادوا الى مصر بأسارى كثيرة من أمراء وعسكر مع الأمير أربك صاحب الجامع الشهير
 الذي كان امام سراي العتبة الخضرية بجهة الازبكية وعرفت الازبكية باسمه ثم هدم هذا الجامع ولم يبق له أثر ومع
 تكرار النصر لقايتباى كما ذكرنا من حسم الفتنة وقطع اسباب الشر بينه وبين ملك الروم فأرسل الأمير جانبلاط
 ابن يشبك الى السلطان محمد ليسعي بينهما في الصلح فأكرمه السلطان محمد وتلطف معه وأرسل معه قاضيا من قضاة
 الروم وعلى يده مفااتيح قلعة كولا وكانت من أسباب الفتنة فأكرم قايتباى القاضي وخلع عليه وأقرطى الاحسان
 اليه وأطلق جميع الاسراء وخلع على الامراء منهم وأرسل الى السلطان محمد هدية جليلة وتقادم جيله فانهقد بينهما
 الصلح وحدثت الفتنة وفي سنة احدى وتسعمائة مرض السلطان وتعادى به المرض فلما كان اليوم السادس
 والعشرون من شهر ردى القعدة من تلك السنة أشرف على الموت فاجتمع الامراء والعساكر وأحضروا الخليفة العباسي
 وخلعوا قايتباى وهو في النزاع لا يعلم بشئ وبايعوا ابنه محمدا وفي ثاني يوم توفي السلطان قايتباى وعمره ست وثمانون
 سنة ودفن بترته التي في الصحراء وكانت مدة سلطنته تسعا وعشرين سنة وشهرا وكان الملك الأشرف قايتباى فارسا
 وافر العقل حازم الرأي غير عجول في الامور بطي العزل لارباب الوظائف محبا لجمع الاموال ثم تولى السلطنة ابنه
 السلطان محمد داود السعادات وعمره أربع عشرة سنة ولقب بالملك الناصر فخلع على المقر السيفي قانصوه المعروف
 بخمسمائة وجعله أتابك العساكر عوضا عن قراز الشمسي وكان الاتابك متطوعا الى السلطنة فحدث المماليك
 واستولى على باب السلطنة والسلطان وقتئذ بالقلعة وتعصب معه العصاة وولوه سلطانا ولقبوه بالأشرف قانصوه
 وبايعوه ومكث يدعي ساطانا بغير رسم أجرى له أحد عشر يوما وكان السلطان في القلعة فاراد قانصوه دخوله فلم
 يتمكن وجمع السلطان عبيده ومماليكه وهجم عليه فحصل بينهم مقتله عظيمة آلت الى انه زام قانصوه وجماعته
 وتفرقوا في طرق المدينة وتبعهم العبيد والمماليك بالقتل ومن نجوا منهم فرمى قانصوه الى البلاد الشامية وفي هذه
 الواقعة نهبت جهة الازبكية بسبب ان قانصوه بعد ان هزمه اختفى مدة ثم ظهر واستقر بيت الأمير أربك والتف
 عليه جماعة من الامراء فلما أحس بنزول المماليك والامراء السلطانية اليه تسحب وهرب فهرب العساكر جهة
 الازبكية وما يليها وعاثوا فيها بالخراب والنهب حتى نهبوا ما كان بجامع أربك من فرش وغيرها وفي تلك الايام كان
 آق بردى قادما من الشام باستدعاء السلطان له فتلاقى مع قانصوه المذكور وهو قاصدا الى الشام فحصلت بينهما عند
 خان يونس وقعة عظيمة انكسر فيها قانصوه وقتل كثير من كان في صحبته واستولى آق بردى على ما كان معه وأرسل
 الى مصر برؤس كثير من القتلى وفيها رأس قانصوه وقيل انه اختفى ولم يعلم له أثر فلما وصل آق بردى الى مصر لم تستقم
 له الحال بل حصل بينه وبين المماليك فتن وأمر يطول شررها حتى انه حاصر القلعة واستمر الحصار والقتال بينه وبين
 من كان في القاعة مع السلطان فوق ثلاثين يوما كانت فيها القاهرة مغلقة الاسواق مقفلة الدكاكين وامتنع فيها البيع

والشراء ولم يكن أحد سوى العسكر يجسر أن يعيش في طرقاتها ثم انتهى أمر ذلك بانكسار آق بردى وخروجه
متسجبا إلى الجبلات الشامية فنزلت المماليك والعبيد من القلعة وانتشرت في أنحاء القاهرة للبحث عنه وعن كان
معه وقتلوا من عثموا به منهم ونهبوا دورهم ونهبت حارة زو يلا بما فيها من الدور لأن آق بردى كان له بها حاصل
ونهب أيضا دور اليهود واستقر النهب والقتل ثلاثة أيام بلا مناع وفي خلال ذلك قتل عمراز الشمسي وكان السلطان
قد عينه في الاتابكية ثم انضم إلى آق بردى وبعد انقضاء هذه الحادثة أنعم السلطان على كثير من الأمراء وأخذ
في تدبير الأحكام مع طيش وخفة وقلة تبصر فكانت مدته كلها شر الجهل وقبح أفعاله ومعاشرته للعوام والراذل
فهتك حرمة المملكة وأخل نظامها وبلغ في الخنة والطيش ما لا يوصف فن ذلك أنه أهديت له **مركب** صغيرة
فجعلها في البحيرة ووضع بها مقدار من الحلوى والفواكهة والجبن المقلّى وصار ينزل بها ويبيع كالبياعين وأخرج
جماعة من السجن ووسطهم بيده والسياف يعلم كيف يوسط ويقطع الأيدي والآذان والاسن وهو يفعل ذلك
بيده إلى أمثال ذلك من أفاعيل الطيش والخفة وكثر شره وأذاه في الرعية وكان يؤديه طيشه إلى أفعال منكرة وأعمال
فظيحة فن ذلك أنه هجم على الدور التي حول بركة الرطلي هو وأولاده وأخذوا ما أعجبهم من النساء بالرغم عن
أهلهن فارتاب منه الناس وضجرت منه الأمراء وقصدوا له السوء وترقبوا الفرصة لذلك فاتفق أنه توجه مرة إلى
بر الحيزة وأقام بها أياما في اللهو واللعب وعند رجوعه أمكن له الأمير طمانباي كمينافقة له هو وأولاده بقر
قرية الطالبية من أعمال الحيزة ونقلت جثتهم إلى تربة قايتباي ودفن مع أبيه في سنة أربع وتسعمائة فكانت مدته
سنتين وثلاثة أشهر وأياما وعمره حين مات سبع عشرة سنة وكانت أيامه بمصر أيام عناء وبلاء كثيرة ما حصل فيها من
الفساد والاضطراب والغلاء والقناعات والمصادرات وجور السلطان وأذى المماليك وقد أصاب البلاد الشامية أيضا
نصيبها من ذلك فلما وصل إليها آق بردى به دخل خروجه من مصر كما مر آنفا أخذ في الفساد والعسف فيها بالنهب والقتل
والحريق والتخريب إلى أن مات سنة أربع وتسعمائة وكانت مصر والشام في تلك الأيام على أسوأ حال وانضاف إلى
تلك البلايا أن ظهر داء يقال له الحب الأفرنجي سنة ثلاث وتسعمائة فاعيا الأطباء أمره ولم يظهر بمصر قط إلا في ذلك
التاريخ وانضم لذلك أيضا فساد المعاملة وكثرة الفلوس الجدد بأيدي الناس حتى صارت البضائع تباع بسعرين
سعر بالفضة وسعر بالفلوس وأضر ذلك بالعام والخاص **❦** ولما هلك الناصر بن قايتباي تولى السلطنة بعده السلطان
أبو سعيد قانصوه بن قانصود الأشرفي خال الناصر محمد بن قايتباي المتقدم سنة أربع وتسعمائة فقامته أخته مقام
ولدها وعمره فوق العشرين وهو حركسي الجنس ولما حضر إلى مصر تبين أنه أخوخونداصل باي أم الملك الناصر
المذكور وكان في مدة السلطان قايتباي من جملة الجدارية ولما تولى ابنه جعله خازن دارا كبيرا وصار يدعي بحال
السلطان فعظم أمره وخلع عليه السلطان وظيفة دوا دار كبير ثم صار استادارا فلما قتل السلطان محمد بن قايتباي كما
مر وقع الاختيار عليه وتلقب بالسلطان الملك الظاهر ولم يتم بمصر قبل توقيعه السلطنة إلا ست سنين ولم يتفق ذلك
لحركسي قبله فعد ذلك من بعده فلذلك كانت الأمراء تحسده وتحقد عليه مع حسن تدبيره للأمور فكانت الفتن غير
منقطعة من القاهرة وزاد على ذلك قيام العرب في الصعيد والوجه البحري حتى وصل إلى أهالي الضرا شامل
فتفرقت العساكر في جهات مصر وبدت شمل العرب وأسرهم عددا وافر وفي أثناء ذلك قام طومانباي ومعه
جملة من الأمراء وحاصروا القلعة وجرت بينهم وبين السلطان قانصوه أمور انتهت بالقبض عليه وسجنه فكانت
مدته سنة وثمانية أشهر **❦** وتسلطن بعده السلطان أبو النصر جانبلاط الأشرفي سنة خمس وتسعمائة واقب بالملك
الأشرف فأقام بها نصف سنة وبني المدرسة الجانبلاطية خارج باب النصر وكانت الفتن كل يوم في ازدياد وقد أكثر
المصادرات للأمراء والمباشرين واليهود والنصارى للصرف على العساكر فكثرت الاضطراب والقال والقيمل وفي
أثناء ذلك وصلت الأخبار من الشام بأن جميع نوابها شقوا عصا الطاعة ورفعوا اللواء العصيان فجهز السلطان جيشا
ووجه تحت قيادة الأمير طومانباي فلما وصل قباله النواب وسلموا مقاليد الأمور إليه وسلمطونوه وبقبوه بالعادل
وأخذوا في أهبة السفر إلى مصر فلما بلغ السلطان جانبلاط ذلك حصن القلعة وجمع فيها الذخائر فلما وصلوا حاصروا
القلعة وحصل قتال شديد في الرمي له وجهه باب الوزير والصلبية واتخذ جامع السلطان حسن معقلا وكذا جامع

شبخون وحفرت الخنادق في الصليبية وحديقة البقر وهي شارع المظفر وباب الوزير فقتل كثير من الفريقين
 وخربت بيوت ثم أخذت العساكر تنضم إلى العادل حتى اضطروا جانبلاط إلى الفرار فقبض عليه وسجن في
 الاسكندرية حتى مات **ثم** تولى السلطنة بعده السلطان طومان باي الأشرف في سنة ست وتسعمائة وباعه القضاء وغيرهم
 وألقب بالملك العادل وهو مملوك الأشرف قايتباي فأقام به سبعة أشهر وبنى به مدرسته العادية وترتبته التي خارج
 باب النصر وكانت من أجل المباني ولم يبق منها إلا القبة التي على يسار الذهاب إلى العباسية وتعرف الآن بقبة
 القداوية وكان أخذوا حذرهم من الأمراء وهم آخذون حذرهم منه لما كان بينهم من البواطن فلما كان يوم العيد أراد
 القبض على بعضهم فاستشعروا بذلك فخرجوا الأحزاب وقاموا عليه قومة واحدة ومعهم الأمراء الذين كانوا مختلفين
 من مدة جانبلاط فلم يجدوا من الفرار وقيل أنه قتل **ثم** تولى المملكة بعده السلطان أبو النصر قانصوه الغوري سنة
 ست وتسعمائة وألقب بالملك الأشرف فأقام به خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وكان جبارا كثير القتل والسفك وله
 عدة مبان ومبارق الأمراء وأذل المعادين وأخاف المفسدين فامن السبيل وسكن الفتن ورتب للأزهر كل رمضان
 ستمائة وسبعين ديناراً ومائة فنطار عسلا وخمسمائة إردب قحاً وبني دائرة الحجر الشريف وبعض أروقة المسجد
 الحرام وباب إبراهيم وجعل علوه قصر شاهقا وقبحة ميفة وبني في طريق الحاج المصري عدة خانات وآبار وأنشأ
 بالقاهرة مدرسته بسوق الجبلون ومدفناً في مقابلهما على جانبي سوق الغورية وأنشأ المنارة المعتبرة بالأزهر والبستان
 تحت القلعة والسبع السواقي لجرى الماء من مصر العتيقة إلى القلعة وعمر بعض أبراج في الاسكندرية وغير ذلك من
 العمارات الكثيرة النافعة ومع ذلك كان كثير الطمع والظلم بصادق الناس ويأخذ أموال من يموت ومما ليك يظلمون
 الناس ووقعت بينه وبين السلطان سليم ملك الدولة العلية العثمانية فتنة والتقى جيشاهما بمرج دابق شمال حلب
 بمرحلة سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فانهزم عسكر الغوري بمكيدة خير بك والغزالي وفقد الغوري تحت أرجل الخيل
ثم تولى الملك بعده الملك الأشرف طومان باي الجركسي ابن أخيه وبه انتهت مدة الجراكسة بمصر وكانت مائة
 واحد وعشرين سنة وكانت القاهرة قبلهم بلغت حد في الانساع وبسبب ما كان يقع به من الحروب المتوالية
 والوباء والغلاء والحرق والنسب كانت تتقلب في أطوار العمارات والدمار فتستجد جهات وتخرب جهات فيصير العامر
 دارسا والدارس عامرا بحسب تغير الدول والاحوال وكان المعتنى بها كثيرا من مدة الدولة الأيوبية القاعة فبنيت
 فيها المباني الفاخرة والقصور الزاهرة وعمر ما حولها فانصلت بأسوارها العمارات بالحجر والرميلة وكانت مقر السلطنة
 وكانت بها خزانة كتب أحرقت سنة إحدى وتسعين وتسعمائة وكانت القلعة مسكن المماليك السلطانية وخواص
 الأمراء بنسائهم ومماليكهم ودواوينهم وطب خاناتهم وفرش خاناتهم وشرب خاناتهم ومطابخهم وسائر وظائفهم وكان
 بهم عدة أبراج لسجن الأمراء والمماليك وجب هائل مظلم كرهه الرائحة كثير الوطواط يطعمه لذلك أيضا قد عمره الملك
 المنصور قلاوون سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وأبطله الناصر محمد بن قلاوون سنة تسع وعشرين وسبعمائة واستجد في
 أيام الجراكسة عمائر ضخمة بالقاهرة وبولاق ومصر العتيقة وكثرت القصور والبساتين في ضواحي المدينة وكان نطاق
 العمارة آخذ في الاتساع مع كثرة التقلبات وتوالي المآثم كانوا يتنافسون ويتفاخرون في بناء الدور والمدارس
 والجوامع والربط والاسبلة والقصور وكان لهم خيرات جزيلة ورزق واسعة وكان أهل مصر ينتفعون بما في أيديهم من
 الرزق والدواوين وكان خدمهم يبيعون للناس ما يصل إلى أيديهم من اللحم والسمن والعسل وسائر أنواع المأكولات
 والملبوسات ونحو ذلك بأبخس الأثمان فكان أهم سوق يباع فيه الفاضل من الأطعمة التي أخذها الخدمة من
 الأمهات وبقوا على ذلك زمانا فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت المصادرات وغلبت سياستهم على حسناتهم ومالوا إلى
 الغواية والفساد وأخلوا بكثير من شعائر الدين فزقهم الله كل ممزق فسبحان من لا يزول ملكه **ثم** يحسن بنا قبل
 الكلام على ما آل إليه أمر مصر بعد تبعيتها للدولة العلية العثمانية أن تذكر بالابحار بعض مصنفات الملوك المتقدمين
 ذكرهم وطرفا من ترتيباتهم وعوائدهم وما حصل من التغيرات في المباني وغيرها ليقاس الحاضر على الماضي فنقول
 لم تكن دولة الأكراد أكثر من إحدى وعشرين سنة وسبعة عشر يوما وقام من بعدهم الأتراك وعقبهم مماليكهم
 ومماليك مماليكهم ومنهم دولتا البحرية والبرجية أقاموا في الملك مائتين وسبعة وخمسين سنة وسبعة أشهر وتسعة أيام

فقد الجميع من حين زوال دولة الفاطميين الى انقضاء دولة المماليك ثلثمائة وثمانية وثلاثون سنة ومائة
شهور وستة وعشرون يوما ومن وقت ان جلس السلطان صلاح الدين الايوبي اخذ يغير عوائد الفاطميين
في كل اول شيء اجراه من ذلك ابطال مذاهب الشيعة وعزل قضاتهم وترك رسومهم واجراء الخطبة باسم
الخليفة العباسي وشرع في اقامة السنة وامانة البدعة وتعزيز الشريعة واستحوذ على املاك الفاطميين ووفر
املاك امراءهم على امراء الاكراد واستبدل العسكر فبعد ان كان الجنود من العرب والعبيد والارمن والترك
صار جميعه من الجركس والروم والاكراد والترك ان ثم تغير من بعد الايوبيه حتى صار غالبه من ممالك
الشيراز ولما كثرت الوقائع بالمشرق بين التتار من جاورهم وبيع الكثير من الاسرى وتنة سلوا في الاقطار
اشترى الصالح نجم الدين منهم جماعة ومما هم بالبحرية فترقى الكثير منهم الى المراتب الرفيعة حتى تملك منهم
ناس اولهم المعزايك ومعهم كان لقطر الواقعة المشهورة بعين جالوت وهزمهم واسر الكثير منهم فكثر وابعصروا الشام
وفي زمن الظاهر بيبرس كثروا فادون من المغل وملوا مصر وانتشرت بها عاداتهم وطرقهم وكان الملوك مصر وقتئذ
عناية بالامماليك من جميع الاجناس واحتفال زائد بتربيتهم وكانوا يسكنونهم القلعة في طباق مخصوصة واذا اشتروا
الواحد منهم سلموا بطواني يعلمه القراءة والكتابة والحقوق واطانة من جنسه وكان لكل طائفة فقيه يعلمهم امور
الدين والآداب والقرآن فاذا شب وقوى سلم المعلم يعلمه انواع الحرب من رمي النشاب ولعب السيف والرمح وكانوا
اذا ركبوا للرمي لا يجسر جندي ان يكلمهم ولا يدنو منهم وكانوا يتلوهنهم في الخدم على حسب الاستعداد حتى يصير
منهم الامير والوزير ولم يزالوا كذلك الى ان كان زمن الناصر فرج قاسم لشأنهم وترك احوالهم فاصبحوا من أرذل
الناس وأذناهم واخسهم قدرا واشمهم نفسا وأجهلهم بأمر الدنيا وأكثرهم اعراضا عن الدين قال المقرري ما فهم
الامن هو أرفى من قردوا لص من فأرة وأفسد من ذئب في كان ذلك داعيا لفساد حال المملكة وخرابها وكان
للسلاطين أيضا اعتناء بأمر العسكر فبالغوا في مرتباتهم واقطاعات الامراء منهم حتى كان يبلغ مرتب بعض
الامراء الى عشرين ألف دينار الثلث للامير خاصة والثالثان للجنده وكان لا عيانهم غير ذلك كاللحم بتوابعه والخبز
وعليق الخيول والدواب ولا كبرهم السكر والشمع والزيت والكسوة في كل سنة والاضحية بحسب الدرجات وفي
رمضان السكر والخلاوا واذنشا لأحدهم ولد أطلق له الذنانير واللحم والخبز وعليق الدواب حتى يتأهل للاقطاع في
جملة الخلقة ثم ينقل الى امرة عشرة أو طبلخانة أو غيرها حسب حظه ولم تكن تلك الهبات قاصرة على طوائف
العسكر بل كانت متعددة الى أصحاب الاقلام والقضاة على طبقاتهم والعلماء والخطباء على اختلافاتهم وقد أطل
المقرري في شرح الانعامات الواصلة كل سنة لأكابر المئين ومن دونهم كما أطله من تقدم ذكرهم وكان ذلك يصرف
من الخزانة السلطانية ومحلها بالقلعة واهلها ناظر من القضاة الاعلام وكانت العادة ان الخلعة اذا خلقت أعيدت
للخزانة وصرف بدلها ومن نظر الى ما يكون به من الزركش والجوهر والذهب رأى ان الخلعة الواحدة تفوق الحد في
المصاريف وكانت خلعت أكابر المئين من الاطلس الاحمر الرومي وتحتاه الاطلس الاصفر الرومي وعليه اطار زركش
مذهب بكلايب من الذهب وشاش لانس رفيع موصول بطرفيه حريز أبيض مرقوم عليه ألقاب الساطان منقوش
بالحرير الملون النقوش الباهرة ومنطقة بالذهب مختلفة بحسب الرتبة فاعلاها به البلخش والزمر ذو اللؤلؤ وبيكارية
مرصعة وغير مرصعة ومن تقلد ولاية يعطى له سيف محلي بالذهب وفرس بسرجه وجامه وله كنشوش من الذهب
أيضا وكان لكل منهم علامة تميزه بحسب الدرجة والولاية وأما أمير أقل من مائة أقل منه فكل بحسبه وأجل خلعت
الكتاب الكمخ الابيض المطرز بالحرير الساذج والسنباب المقدس وتحتاه كمخ أخضر وبيضا مرقوم وطريحة
ودونه اعدم السنباب ويكون المقدس بدائر الكمين فقط ودونه تترك الطريحة وهكذا التبرجات وكانت
خلعت القضاة والعلماء من الصوف بغير طراز ولهم الطريحة وأجلها البيضاء ثم الخضراء ثم ما خلعت الخطباء
هي السوداء تحمّل الى الجامع من الخزينة وهي دلق مدقور وشاش اسود وطريحة سوداء وعلمان أسوان مكتوب
فيهم ما بالابيض أو بالذهب وثياب المبالغ مثل ذلك ما خلا الطريحة وكان للسلطان عادات في اعطاء الخلع كابتداء
جلوسه على الدست وتشمل الخلع حينئذ سائر رجال الدولة وقد خلع في يوم اقامة الاشرف بن حسين بن محمد بن قلاوون

ألف وما شاعلة وكوقت اللعب بالكرة فيخلع على الجوكندارية ومن له خدمة في ذلك وكأيام الاعياد وأوقات الصيد فإذا سرح أحد مصيده أو حضر غزالة أو نهامة خلع عليه بما يناسب قدره وكذا يخلع على البرذارية وحمل الجوارح ومن يجري مجراهم في كل سنة عند أو ان الصيد وكان ينعم على غلمان الطشتخانة والشرابخانة والفرشخانة ومن يجري مجراهم وكذا من يصل الى الباب من الاغراب زائراً أو مهاجراً من مملكة أخرى تدر عليه أنواع العطايا والارزاق والخلع على حسب حاله وكذا التجار الذين يبيعون من مناجرهم للسلطان يخلع عليهم فضلاً عما لهم من الرواتب الدائمة من الخبز والتوابل والخلو والعليق والمساحمات في نظير ما يباع من الرقيق مع ما يترك لهم من حقوق أخرى ولو باع أحدهم للسلطان ولو واحداً من الرقيق فله خلعة كاملة زائدة على اصل الثمن وله انعامات وسفارات تطلق على سبيل الاتجار وكان أمراء العسكر يلبسون أنواع الكمخ والخطائي والكنجبي والمخل والاسكندرانى والشرب والنصافي والاصواف الملوثة ثم بطل لبس الحرير في أيام الظاهر برقوق واقتصر على لبس الصوف الملوّن في الشتاء والنصافي المصقول في الصيف وكانت العادة ان السلطان يتولى بنفسه استخدام الجند فإذا وقف بين يديه كاتب الاقطاع المحلول ووقع اختياره على أحد أمر ناظر الجيش بالكتابة له فيكتب ورقة مختصرة تسمى المثال مضمون ما خبز فلان كذا ثم يكتب فوقها اسم المستقر له ويناوها السلطان فيكتب بخطه ويعطيها الحاجب لمن رسم له فيقبل الارض ثم يعاد المثال الى ديوان الجيش فيحفظ هناك ثم يكتب مربعة بخطوط وعلامات جميع المباشرين وترسل الى ديوان الانشاء فيكتب المنشور ويعلم عليه السلطان فن الجند من يقطع له بلاد يستغلها وينتفع بها كيف شاء ومن يقطع له نفود يتناولها من جهات كدفر رطرح القراريج والمكوس كساحل الغلة وكالسمرة ورسوم اولاية والاخراج وحمايات المراكب وغير ذلك مما ذكره المقرري حتى تملك المنصور لاجين فجعل أرض مصر أربعاً وعشرين قيراطاً اختص منها بأربعة وجعل للجند عشرة وللامراء عشرة فكان الامراء يأخذون كثيراً من اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شيء ويصير ذلك الاقطاع في دواوين الامراء فلما أفضت السلطنة الى الملائك الناصر محمد بن قلاوون رآه البلاد فصارت الاقطاعات كلها بلاداً وجعل لخاصته عدة نواح بلغت عشرة قراريط من الاقليم وصارت اقطاعات الامراء والاجناد وغيرهم أربعة عشر قيراطاً وبلغت عدة الجيوش في زمنه أربعة وعشرين ألف فارس وكانت لهم رسوم وعادات سرت لهم مع سير لزمان من عادات أهل البلاد والامراء فقبل اختلاطهم بالترك كانوا التريتهم بدار الاسلام يحفظون القرآن ويفقهون الاحكام ويتبعون السنة

(الجلوس بدار العدل)

كانت الملوك تجلس بدار العدل بكرة كل خميس واثنين طول السنة ما عدا شهر رمضان للنظر في المطام وتبجاس قضاة المذاهب الاربعة عن عيين الملائك يليه الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي ثم وكيل بيت المال وناظر الحسبة وعن يسار السلطان كاتب السروامادة ناظر الجيش وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب الدست وموقعي الدست على هيئة دائرة والامراء واقفون فلما صار أغلب رجال الدولة من التتر غلبت قوانين التتر على قوانين البلاد ودخلت شرائعهم هذه البلاد ومع باسم السياسة ومن وقتئذ خلط الحق بالباطل ومنحج الحسن بالقبيح وبعد ان كانت الاحكام تبت على مقتضى الشريعة المطهرة قسمت الى سياسية وشرعية فقوض القاضى الفضاة كل ما يتعلق بالامور الدينية من الصوم والصلاة وأمر الاوقاف والايام والنظر في الاقضية الشرعية كالديون والزوجية وجعلوا لانفسهم في اقصيتهم قوانين رجعوا فيها الى اصول جنكيز خان التي تسمى السياسة واقتدوا بحكمها فنصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه والاخذ على يد القوى وانصاف المظلوم على مقتضى ما في السياسة والياسة كلمة مغلية عرفها الناس فزادوا فيها سينا فقالوا السياسة وهي عبارة عن قوانين الاحكام التي وضعها جنكيز خان بعد ان صار ملكاً ونقشها على صفائح النولاد وجعلها شريعة لقومه فالتمذوها ومع هذا فقد جسد الكثير منهم في اتساع نطاق الثروة والرفاهة وكثرت فتوحاتهم وانتشر صيتهم واتسعت مصر بكثرة الوافدين وعمرت أطرافها وحدثت به ادروب وحارات وأسواق لبيع ما يحتاج اليه فحدثت سوق السلاح محل الخردجية الآن وسوق المهاميز وكان يباع بها المهاميز من الذهب والفضة والمكفت

والبدلات التي يرسم لحم الخيل وكان أغلبهم أحجراة بالمينا وسوق الشرابيين نسبة إلى الشرابوش وهو ما يوضع على الرأس شبه التاج مثلث الشكل يلبسه السلطان لم يرقه إمرة ومجمله الآن الثمر والجملون وكان يباع فيه أيضا الخلع التي يلبسها السلطان للأمراء والوزراء وغيرهم

(ذكر الملابس)

كان السلطان والعسكر يلبسون على رؤسهم الكاوتة بدل العمامة وكانت العادة أن تكون صفراء مضرية تضربا عريضا ولها كلاليب ويصفرون شعورهم ويرسلونهم ابين أكافهم موضوعة في كيس من الحرير أجرا أو أصفر ويشدون أو ساطهم ينود من قطن بعلم يكي مصبوغ عوض الحوائص والاقبية البيض أو المشجرة بالأحمر والأزرق الضيقة الأكام أشبه بملابس الأفرنج ومن فوق القباء كمران بخلق وإبريم وصالق بلغاري يسع أكبره أكثر من نصف ويصنع من الغلّة مغروز بمنديل طوله ثلاثة أذرع وله أخفاف من الجلد الأسود البلغاري ومن فوق الخف خف آخر يقال له السقاء ولم يزل هذا زيهم إلى سنة ثمانية وأربعين وستمئة فأدخل المنصور قلاوون فيه بعض تحسين ولما كان زمن الأشرف خليل صارت الكاوتة من الزركش والقباء من الأطلس واتخذت السروج والأكوار المرصعة وعرفت بالاشرفية ولما ملك الناصر محمد بن قلاوون أحدث العمامة الناصرية وكانت صغيرة وأحدث الأمير ياغا العمري الكاوتات الكبيرة وعرفت باليدغاوية وأحدث الأمير تارا القباء الذي عرف بالسلاوي وكان قبل يعرف بالغلطاق (وهو شبه المضربية) وفي زمن السلطان برقوق عملت الكاوتات الجركسية وهي كبيرة وفيها عوج وكثير لبس الحياصة وتأنق فيها الأمراء والعسكر وكان لها سوق مخصوص من أعظم أسواق القاهرة وفي زمن الناصر محمد وصلت قيمة الحياصة إلى ثلثمائة دينار عبارة عن مائة وخمسين جنينها في زماننا وعملت من خالص الذهب وكثيرا ما كانت ترصع بالجواهر وكان السلطان يفرق منها كل سنة عددا وافرًا ومما كثر استعماله في زمانهم العنبر حتى جعله النساء قلادة فلا توجد امرأة إلا ولها منه قلادة وعمل منه أهل الثروة الستور والمساند وكثيرا أيضا استعمال الفراء وكانت من أعز الأشياء مدة الترتك وفي دولة الجركس جعل لها سوق محل التبليطة من الغورية الآن وكان يباع فيه السمور والوشق والاقاقم والسنباب وكذا كثير لبس الطواق للصبيان والأجناد والنساء والحواري وكانت تصنع خضرا أو حرا أو زرقا وكانت تزيد عن الرأس أولا سدس ذراع ثم ارتفعت نحو ما من ثلاثة أرباع ذراع في زمن الناصر فرج وكانت مدورة من أعلاها وأسفلها بفرو من السمور وكانت من أشنع ما يرى وكانت تغيرت في زمانهم هيئة اللبس كذلك تغير المأكول والمسكن فاستجد من الأطعمة ما لم يكن معروف قبلهم وسموها بأسماء من لغتهم وتعالوا في الأماكن وبالغوا في زخرفتها وزينتها فبنى الناصر محمد بالقلعة عدة قصور بالجرا الأسود والأصفر من خارجها وفي داخلها الرخام المشجر بالصدف وأنواع الزينة مرصعة بفصوص الذهب وأبدع في سقوفها فكانت مدونة باللازورد ومجلاة بالذهب وجعل في جدرانها طاقات من الزجاج القبرسي الملقون كالجوهر والنور يحترق محالها من تلك الطاقات فيرى له منظر عجيب وجلب اليها من الاقطار البعيدة أنواع الرخام ففرش به أرضها وجعل فيها البساتين البهيجة وفيها محلات للحيوانات الغريبة وساحات للحيوانات الداجنة وأجرى إليها الماء من النيل بواسطة دواليب بعضها أعلى من بعض حسب ارتفاع الأرض على المسافات تديرها البقر يوصل كل ماء إلى الأعلى حتى يصل الماء إلى مقره من القصور ويوت الأمر فكان ذلك من أعجب الأعمال إذا ما يرتفع من النيل إلى القلعة في أزيد من خمسة مائة ذراع وكان من أعجبها القصر الباق محمل الطوبى بحانة الآن مشرفا على الاصطبل وسوق الخيل حيث الرميالة الآن أخذ في الارتفاع بحيث كانت ترى منه القاهرة وضواحيها والجيزة وقرائها

(ولائم اتمام الدور)

ولما تم بناء هذا القصر سنة أربع عشرة وسبعمائة عمل فيه السلطان وليمة حضرها جميع الأمراء وأهل الدولة فأفاض عليهم الخلع السنية وحمل إلى كل أمير من أمراء المؤمنين ومقدمي الألوف ألف دينار ولما بعدهم كل خمسة مائة دينار وبلغت النفقة عليهم ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وقد بنى أيضا قصرين محمل جامع السلطان حسن

لاميرين من اتباعه على نفقته بلغت النفقة على أحدهما أربعة ملايين وستين ألف درهم عبارة عن مائتي ألف جنيه
وثلاثة آلاف جنيه وبني غيره من الابنية ما يفوق الوصف ولو أطلق القلم في ذلك لاطال الحال فانظر الى ما كان
عليه هؤلاء من السعة والدعة وقد آبادهم الدهر وما صنعوا حتى لم يبق من آثارهم الا ما لا يدرك وكذا بني امرأهم
ما يقارب ابنتهم مثل الجياوي اليوسفي مملوك الناصر بن قلاوون فانه بنى دارا بقصره رضوان صرف على بوابتها فقط
مائة ألف درهم عبارة عن خمسة آلاف دينار ولم يات أسكنهم الا اضرابته وعرفت بالدار القردمية ومحالها الا ان يبت
رضوان كتحدا وكذا بكثر الساقى صرف على بناء قصره نحو من ألفي ألف درهم عبارة عن مائة ألف جنيه ومجمله الا ان
ورشة الحوض المرصود وكذا بكثر صرف على قصره الذي بناه مقابل قصر البساسيري بالنحاسين وبعضه باق الى
الآن ما لا يحصى وكان ارتفاعه نحو من أربعين ذراعا كما تقدم وكانت الامادة ان السلطان أو الأمير اذا أتم بناء دار
أولم ودعا الامراء والاعيان وخلع الخلع الغالية وفرق النقود رأيا كثر من الهبات كما فعل الناصر عند بناء القصر
الاباق كما قدمناه وكذا الاشرف خليل حين أتم قصره المعروف بالاشرفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة صنع مهمما
لم يصنع نظيره في الدولة التركية وختن أخاه الملك الناصر وابن أخيه الأمير موسى بن الصالح واحتفل في ذلك الختان
احتفالا رائدا وجمع كافة أرباب الملاهي والمغنين وأعطاهم ما يقصر عنه العطاء فأعطى البلبيل المغني وحده ألف
دينار ولما اجتمع الامراء وقاموا للرقص وكانت تلك عادة فيهم من عادات المغول أمر السلطان الخازندار وكان واقفا
وبين يديه أكياس الذهب بأن يثر على رؤسهم الذهب فلم يزل كذلك كلما قام واحد يثر على رأسه حتى فرغ الختان وانعم
على كل أمير بفرس كامل القماش وألبسه خلعة عظيمة وأعطى كثير منهم كل واحد ألف دينار وفرنساو أعطى ثلاثين
من الخاص كية كل واحد خمسة آلاف دينار وبلغ ما ذبح من الغنم ثلاثة آلاف ومن البقر ستمائة ومن الخيل خمسة مائة
وصرف من السمك برسم المشروب ألف وثمانمائة قنطار وبرسم الحلوا مائة وستون قنطارا وبلغت النفقة على
الاسمطة والمشروبات والاقبية والطرز والسروج وديار النساء ثلثمائة ألف دينار وهكذا كانت احتفالاتهم في
التزويج والختان فقد ذكر وأن الملك الناصر حين تزوج ابنه أنول بانبنة بكتر الساقى عمل مهمما من أعجب ما يرى وحمل
الشوار على ثمانمائة رجل بين المقرري كلاً وما حمل وكان من عادات السلاطين ان يمدوا الاسمطة طرفي النهار لعامة
الامراء فمدوا لاسمط لاياً كل منه السلطان ثم يدنان ويسمى الخاص فتارة يأكل منه وتارة لا ثم ثالث ويسمى
الطارى ومنه مأكل السلطان هذا أول النهار وأما آخره فيمد سلطاناً دائماً واذا دعا بالثالث حضر والا فلا ويؤكل
جميع ما عليها ويفرق نوات ثم يفرق بعده الاقسام المصنوعة من السكر والافاويه المطيبين بماء الورد المبردة بالثلج
وكان يجلب الثلج من السواحل الشامية وكانت العادة ان يبيت في كل ليلة بالقرب من السلطان أطباق فيها أنواع من
المطبخات والوارد والفطير والقشطرة والجبن المقل والموزو السكر والسكباج وأطباق فيه امن الاقسام والماء البارد برسم
أرباب النوبة في الدهر حول السلطان ليمتشاغلوا بالأكول والمشروب عن النوم ويكون الليل مقسوما بينهم ساعات
فاذا انتهت نوبة جماعة نهبت التي تليها ثم ذهبت هي فماتت الى الصباح هكذا أبداً سفر او حضرا وبلغ مصروف سماء
عيد الفطر زمن الناصر خمسين ألف درهم عبارة عن ألفين وخمسة مائة دينار وكان يعمل في سماء الظاهر برقوق كل يوم
خمسة آلاف رطل لحم سوى الاوز والدجاج وكان راتب المؤيد شيخ كل يوم ثمانمائة رطل وسماء الاشرف برسباى
بكورة وعشيرة ستمائة رطل ولا يخفى أن بين كل مملكة وعاصمتها ارتباطا ونسبة فعلى قدر ما يكون حال المملكة سعة
وثروة يكون أمر عاصمتها عارة وبهجة ونظاما وحال أهلها غنى ورفاهية وقد علم انه من وقت ان جلس السلطان صلاح
الدين على تخت مصر أخذ في توسعة نطاقها فألحق بها اليمن والنوبة وغيرهما وبما كان له من السطوة والهيبة وعلو
الشأن عظمه ملوك الافرنج وعابوه بجلالهم عن أرض القدس وسواحل الشام وانتصر عليهم بعزماته في غزواته
ورأس له خلنساء بنى العباس وهما داه ملوك الاطراف فانتسعت اذ ذلك دائرة الديار المصرية ووليله الى العدل وحب الخير
عمر الاقليم وانتظم معاش أهله وانتشر الامن في انحاءه فحجبه أصحاب الاغراض وقصده العلماء وأرباب الحرف
والصنائع وجلب اليها التجار ما غلام البلاد القاصية والدانية فبلغت النهاية في الغنى والعمارة حتى لم يبق من
الرحاب التي كانت زمن الفاطميين على سعتها شئ الا بنيت فيه الدور وغيره من الابنية ثم أخذ الناس يبنون خارجها

بجهة الحج والصلبة وباب الخرق وشاطئ الخليج بل أوسعوا المدى الى مصر العتيقة وجزيرة الروضة ودير الطين
 والاثرو كذا بنوا في الرمال التي حدثت بعد بستان التكة وبستان المقس ولم تزل تمتد الى أن زالت دولة الأكراد
 وقامت بعدهم دولة الاتراك وأولهم ايلك التركاني فلم يترسيرا العمارة فتور بل لم تزل تزداد حتى عمرت جهة الحسينية
 وباب اللوق وحكمت بعض البساتين وكذا استمر سير العمارة في دولة الجراكسة بعدهم وحصل بها كثير من
 الروفة والتحسين وحدثت القباب الحجر كسبية العظيمة والقاعات المصرية فبنى السلطان حسن قاعة البيسرية
 وأتمها سنة تسعين وسبعمائة وكان ارتفاعها عن وجه الأرض ثمانية وعثمانين ذراعا وعمل بها برج الميمنة من العاج
 والابنوس المطعم وبابا ينزل منه الى الأرض كذلك وقبة بعقد ممر نص قطعة واحدة يكاد الناظر اليها أن يدهش حسنا
 وجعل شبابيكه ودرابزينه وشرافاته من الذهب الخالص وأما ما جعل في هذه القاعة من نحو الفرش والانية فشيء
 لا يحصره القلم فن ذلك تسعة وأربعون ثريا برسم وقود القناديل جملتها من النضة المضروبة مائتان وعشرون ألف
 درهم وكلها مطلية بالذهب وعمر الصالح عاد الدين اسمعيل بن محمد بن قلاوون الدهيشة سنة خمس وأربعين وسبعمائة
 لما بلغه ان الملك المؤيد صاحب حماة عمر بها دهيشة لم يبين مثلها فقصدها كانه وبعث بجي المهندسين مع بعض الامراء
 للنظر في دهيشة حماة وكتب لنائب حلب ردمشق ان يحملا على الجمال ألفي حجر أبيض ومثلها أحر فأرسلت الى قلعة
 الجبل وصرف على كل حجر من دمشق ثمانية دراهم ومن حلب اثني عشر واستدعى لها الرخام العجيب وأحضر له برعة
 الصناع وبلغ مصر وفها خمسة مائة ألف درهم سوى ما جاب من الجهات المتقدمة وغيرها وفرشها بما يجمل وصفه من
 أنواع الفرش وكذا عمر الناصر بن قلاوون سبع قاعات تشرف على الميدان وباب القرافة أسكنها سرارية وكن ألف
 وصيفة ومائتين من المولدات ومن غيرهن كثير وكذا بنى الاشرف خليل الرفرف مشرفا على الجزيرة كلها وبنيته وجعل
 فيه صور الامراء والخواص وعقد له قبة على العمود زخرفها بأنواع الزينة وجعل مجلسا له وجلس فيه من بعده من
 السلاطين الى أن هدمه الناصر بن قلاوون ولما تغيرت هيئة المباني الخاصة كما علمت تغيرت هيئة المباني العامة
 كالمساجد والمدارس فان المسجد أولا انما كان عبارة عن مكان مفروش مبنيا بالطوب جابلا منارة ولا منبر ولا محراب
 مفروش بالحصباء والرمل فجعلوه من أنعم الابنية وأرفعها وبنيها بالاحجار الضخمة وزينوه بأنواع الزينة داخلها وخارجا
 وجعلوا له الشرافات والمنارات البديعة وأحدثوا القباب الرفيعة وتعالوا في نظامها وزينوها خصوصا أيام الناصر
 وأحدثوا المحارب المطعمة بالصدف والعاج والابنوس والاعمدة الممنطة بالنضة واللواوين الواسعة وقد كان
 المؤذن سابقا ينادي بالاذان على سطح المسجد ثم ينبت له غرفة يؤذن فيها ثم اخذوا في تحسينها حتى جاءت كهيئة منئذنة
 ابن طولون سلمها شيطها من خارج ثم جعلت زمن الاكراد كالهئية التي بجامع الجاولي والمدرسة المسعودية التي
 هي الآن تسمية المولوية ويسمها الناس المبخرة ثم كانت في زمن المماليك من أنخر المبانى على الهيئات التي تراها
 في مسجد السلطان حسن وبرقوق وكذلك اعتنوا ببناء المدارس والمدافن والخانات وذلك لعلو شأنهم وسعة نطاق
 ملكهم وبالجمله فقد كانت همهم مصر ووفة الى العمارة وتوسعة دائرة المملكة وقد أفرد الناصر ديوانا للابنية وجعل
 مقره كل يوم اثني عشر ألف درهم فخذوا هذه الامراء والتجار حتى ازدحم خارج مصر بالمبانى وكثرت المدارس
 والمكاتب واستلأت بطلاب العلوم ولا تفتات السلطان والامراء الى العلماء والاغداق عليهم بالهبات وتقليد هم
 الوظائف السامية والرتب العالية كالوزارة ونظارة بيت المال ونظارة الخاوص وكاتب السر والتضاء والشهادة وغير
 ذلك اجتمعوا في توسعة المعارف وتفتشوا في العلوم حتى كانت مصر من أوسع الكثرة الارضية ذكرافي ذلك ولما
 اتخذ الناصر ميديانا بقرية منية الشيرج يسرح اليه في أيام معلومة كان يعنى بها الامراء وأرباب الدولة فنه منع بها
 ما لا يوصف وزرع بها البساتين المعجبة وأحضر اليها البساتينية من الشام حتى عادت كأحسن مدينة عامرة وصنع
 بقر بها الخانات عند قرية أبي زعبل وخصص لها الرواتب الزائدة واعتنى بأمر الفتراء الذين بها وصارت بعد قليل
 قريتها من أعمار الاماكن وبنيت بها المدارس والمساجد وكثرت بها الاسواق وشجنت بالمتاجر وكان النيل انحسر عن
 أرض اللوق والتكة ولحق الناس ضيق لبعده عن القاهرة فأمر بحفر الخليج الناصري لينتفع به أهل القاهرة وليحمل
 فيه الغلال الى منية الشيرج والخانات وأوصله بالخليج الكبير كما مروى في توضيح ما ذكره عمر الناس جوانبه وصارت

من أجمع الأماكن وكذا عمر الناس بولاق وجزيرة أروى وقد قدمنا محامها واتصلت بمباني تلك الجهات بعضهم ببعض
 فعمّمت القاهرة وزادت سعتها إلى غاية عظيمة وأنشأ أيضاً بصير الميدان الكبير وبعضه باق أمام القصر العالي وكان
 يعرف في أول زمانها بميدان النشاب وأنشأ أيضاً بميدان المهارة محل جنيّة المرحوم محمد باشا وهي تربية المهارة لشغفه
 بالخيل فتدّكر المقرري أنهم مات عن ثمانمائة وأربعة آلاف فرس وخمسة آلاف هجين ونوق أصائل مهرجات
 وقرشيات وكان أكثر ميله إلى الخيل العربية عكس أبيه فإنه كان يفضل عليها خيول برقة وجلبت إليه التجار الخيول
 من البحرين والحسا والقطيف والحجاز والعراق وغيرها وكان يعطي في النرس الواحد من عشرة آلاف درهم إلى
 ثلاثين ألفاً ويدفع في الواحد من خيول آل مهناستين ألف درهم وأكثر إلى مائة ألف ولم ينقطع في زمنه السباق فلما
 مات بطل إلى أن أعاده السلطان برقوق وكان له أيضاً رغبة في الخيل حتى مات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف
 جبل وهجين وكان جلّبه الخلع والرواتب والمساكنات وكان يشتري الفرس باعلى من قيمته إلى عشر مرات غير العطايا
 وكانت الخيول السلطانية تشرق على الأمرين في السنة الأولى عند خروج السلطان إلى مرابط الخيل عند تمام
 الربيع والثانية عند لعبه بالكرة في الميدان وكان للخاصة المزاي من ذلك فرجما وصل إلى أحدهم في السنة مائة فرس
 ويفرق على الممالك في أوقات أخرى بل كان يهب السلطان للخاصة القصور والبيوت العالية وكان لهم مع المالك عادات
 في الحضور بين يديه فمنهم من إذا حضروا للخدمة بالديوان أو القصر وقف كل أمير في مكان خاص به ولا يجسر أحد
 أن يتكلم مع غيره بل لا يلتفت إليه وكانوا أيضاً لا يجتمعون مع بعض في أوقات الترفيه أو رعى النشاب وإذا بلغ السلطان
 أن أحداً منهم خالف تلك العادة عاقبه بالنفي أو القبض وبقوا على عاداتهم ورسومهم صارفين همهم إلى توسيع
 دائرة العمارة واليسار آخذين في أسباب بقاء ملكهم حتى دبت فيهم عقارب الحسد وجرّت بينهم مياه الضغائن وأثر
 في قلوبهم حب الطمع والتعالى فابطل كل ما أحكمه الآخرون ونقض ما أبرمه فتفرقت كلمتهم ونقضت عهودهم وساءت
 سيرتهم وصاروا أحراراً رأس كل فريق صاحب غاية ذاتية يفضلها على المنفعة الحقيقية التي هي المنفعة العامة
 من حفظ الحقوق ورعاية الواجبات واتباع الشرائع والسير مع حدود الشرع والقانون المعتبر واقعفاً أثر الملوك
 السابقين فمياسنوا من طريقة كانت سبباً للعلو شأنهم وانتشار صيتهم وخوف من جاورهم من الملوك منهم والاحقاء
 بجماعاتهم فلهذا نضاهم الذاقيات على الحقائق وانخرافهم عن طرق الاستقامة انكسف نور سعادتهم وتورطوا في
 أحوال شقاءهم وهوت بهم رياح الجهالة فأصبحوا بلا عتد تحفظهم ولا قوة تمنعهم ولا قانون يردعهم فطمع
 في ملكهم من كان يفرغ من اسمهم ونطلع إلى ابتلاعهم من كان يموت من هيبتهم فدسوا الدسائس
 في عصبياهم وأشعلوا نار الفتنة في رؤسهم فبغى بعضهم على بعض وثار بينهم الحروب المتفاقمة وتقاتلوا في حارات
 القاهرة وضواحيها وعم الفساد في البلاد قاصيها ودانيها فخرموا الذات وساءت بعد الحسن منهم الحالات
 ولم ير الوا على ذلك أن هدوا عامات قاموا أعواماً حتى عم الضرر جميع القطر وفاق بأهله ما لا يوصف من الفقر
 والضرر وبوالت الغلات والأمراض وتعاقب الوباء وأهمل أمر الري وتوزيع المياه فطمت الترع والخجان فلم
 تصل المياه إلى المزارع وخيفت السبل وسلب الأمن وبلغ الغاية في الشدة زمن السلطان فرج فذهبت ثروة البلاد
 بالكلية فهاجر الكثير من سكان القطر إلى الشام والحجاز والمغرب وغيرها وتركوا دورهم ومستقرهم فعادت مساكن
 يوم وغربان بعد أن كانت رياض أنس ومراتع غزلان وآلت إلى ما ترى في أنحاء القطر من الكيمان ولم يقدر من
 أتى بعدهم على إرجاعها لأصلها بل لا يستطيع نقلها من مكانها لما سبى على عليك بعد

(حال القاهرة في أيام الدولة العلية العثمانية)

لما انقرضت دولة المماليك بموت السلطان الغوري ثم السلطان طومان باي واستولت على مصر الدولة العلية
 العثمانية كانت القاهرة مع ما كان قد أصابها من التدمير والحوادث على جانب من الاتساع والعمارة بسبب أنها
 كانت عاصمة مملكة عظيمة تمتد أطرافها إلى الجهات الشامية والاقطار الحجازية وجزء عظيم من بلاد سواحل البحر
 الأحمر كصوع وسواكن وجميع بلاد النوبة وبرقة على البحر المتوسط فكانت المتاجر ترد إليها من كل جهة وتصدر

عنها الى جهات كثيرة وكذلك الصنائع والعلوم وذلك من دولة الفاطميين الى آخر دولة المماليك ولم تعقها الفتن
 والحوادث المهمة عن الاتساع والتقدم بل كان ما يتخرب بالفتن ونحوها يته ووض فكانت العمارة ترفى تلك الازمان من
 ضواحي المطرية ومدينة الشيرج الى دير الطيز ومن شاطئ النيل الى الصحراء كما سبق بيانه فلما زال عنها الاستقلال
 وتوالي عليها من كان بها الاضطراب والفتن والاختلال وأورثها ذلك نقصا في عزها ووهنا في ثروتها وسرى هذا الحال
 الى باقي بلاد القطر بسوء تصرف العمال وسيركل منهم على حسب ما سوت لنفسه فكان كل ذي صولة يجتدي في تحصيل
 أطماعه من غير النفقات الى ما به عمارة البلاد وسعادة الاهالي ومن كثرة الحروب وتعاقب الاهوال لم يتمكن الفلاحون
 من زراعة الارض ولا من اعمال الطرق التي بهارهم من احكام الترع والقناطر والجسور فكانت الارض تارة
 تبور وتارة تظمأ وفسد كثير منها فصار غير صالح للزراع وبسبب ذلك كثرة الغلاء والقحط والوباء والامراض وانه قل
 كثير من سكان العاصمة وغيرها ولتعاقب ذلك بحيث لا تنضى أربع سنين أو خمسة الا بشي من تلك الاهوال تخرب جزء
 عظيم من العاصمة ومن مدن الارياف وليس الغرض الآن تفاصيل تلك الحوادث ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه
 بما أسهب به العلامة الجبرتي وغيره في هذا الشأن وانما القصد ذكر بعض مهمات الحوادث ليعلم القارئ كيف
 كانت سياسة العمال للرعايا ليعرف أسباب العمارة والدمار **وأول** حادثة تستحق الذكر هي حادثة دخول العساكر
 العثمانية في مصر بعد موت السلطان الغوري وذلك انما اتولى المملكة السلطان طومانباي والفتن قائمة بين
 مصر والدولة العلية لم يبق غير قليل وحضرت العساكر العثمانية سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة واشتعلت نيران
 الحرب بينهم وبين عساكر طومانباي فكانت في جهة العباسية ثم صارت في بولاق ثم جهة القصر العالي وباب اللوق
 وجهة السيدة زينب رضى الله عنها وفي مصر العتيقة والصلبية وقرى ميدان الرميحة وحديقة البقر فخر بذلك كثير
 من المساكن والقصور الفاخرة والساكنين المنصرة وجامع شيخون وجامع طولون وعدة جوامع ومساجد وزوايا
 وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والشوارع والحارات من العباسية الى بولاق الى مصر العتيقة الى الصليبية الى
 القاعة ولم تحمد نيران الحرب الا بعد هروب طومانباي وكانت مدتها أربعة أيام قتل فيها نحو من عشرة آلاف نفس
 ولما تم الامر للعثمانيين واستولوا على مصر أخذوا يفتشون على أمراء الجراكسة فكل من وجدوه منهم قتلوه ونهبوا
 منزله حتى فنيت عدة من أمراء البلد وتخربت منازلهم رمكت السلطان سليم بالديار المصرية ثمانية شهور يرتب
 أمورها ويجهد قوا عدها ثم رحل عنها الى القسطنطينية بغنائم كثيرة وعدد عديد من أرباب الصنائع وغيرهم
 واستحب معه أيضا المتوكل على الله العباسي الذي كان خليفة بمصر حين ذلك بعد أن استنزل عن الخلافة فخلع نفسه
 منها وتنازل عن حقوقها وفوض أمورها الى السلطانين من آل عثمان وأبقى السلطان ما كان مقررا للحرمين
 الشريفين والمساجد والامرحمة والارامل والايام والفقراء وغيرهم من الاوقاف والارزاق والخيرات بل زاد في ذلك
 ورخص باستخدام من بقي من المماليك وقرر من القوانين والنظامات ما رأى انه يترتب عليه استمرار التبعية للسلطنة
 واستقرار الامن والراحة والرفاهية للرعية لوبقى ذلك مري الا جرا لکن لم يرض غير تسع سنين حتى قامت العساكر
 على أحمد باشا الوالي اذذاك ومن معه بسبب انه رغب في الاستقلال وتجاهر بالعصيان فحصل بينه وبينهم مقتلة عظيمة
 في الرميحة وما جاورها وحاصروه في القاعة حتى قتلوه وانقضت تلك الحادثة بخراب بعض ما جاور الرميحة ثم تولى
 بعد عدة ولاة اهتم بعضهم في عمارة بعض الجوامع وبني بعضهم وكاثل في القاهرة وبولاق وبني داود باشا مدرسة في
 سويقة اللالاسنة خمس وخمسين وتسعمائة وبني اسكندر باشا جامعاً وأنشأ عمارة عظيمة في باب الخرق وقد زال كل ذلك
 وصار ميدانا كما قدمنا وكذا سنان باشا أنشأ جامعاً وعمارة جليلة في بولاق وفي غيرها ووقف كل منهم أمواً وقادراً على
 عمارته لاجل بقائها عامرة لکن كان عاداتهم ان كل من أراد وقف شيء أخذ من وقف غيره ووقفه باسمه أو نهب ما بأيدي
 الناس ووقفه فلذلك لم تستمر بعددهم بل أخذت تلك الاوقاف في التقهقر والخراب حتى صارت بعضا من كل وقف
 ايرادها فاختل لذلك بعض تلك العمار ولا يخلل عرى الضبط والسياسة اختل حال الرعية وقل الامن وكثرت
 اللصوص وقطاع الطريق وأهل الفساد في سائر جهات القطر حتى صاروا يدخلون البلاد للنهب جهارا ليلا ونهارا بلا
 مبالاة لانهاء رؤسائهم الى الامراء وكانت الاحكام تكثرت من الاوامر والتشديدات بلا ثمرة ولا تأثير في ردع المفسدين

الى أن تولى مصر مسيح باشا في سنة سبع وثمانين وتسعمائة فتصدى لكسح المفسدين وازالة أهل الشرف قبض على نحو عشرة آلاف منهم وقتلهم وفي زمن حسن باشا الخادم كثرت الرشوة للحكام واتسع نطاقها حتى صارت أمرا معتادا يستحصل عليه بدون مبالاة وجعل همه في جمع المال فكان يحتال بكل حيلة لتحصيله لا يراعى حلا ولا حرمة ولم يكن له أثر قط يد كربه الا تغير زى اليهود والنصارى فألبس اليهود الطراطين السود وألبس النصارى البرانيط السود وكان زى النصارى قبل ذلك العمام السود وزى اليهود العمام الزرق وفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة قامت العساكر على الوالي عدة مرات وعارضوه في أوامرهم ورفضوا طاعته وأوقعوا السلب والنهب بالتجار والاهالي واستمرت الفتن وفي زمن محمد باشا الشريف سنة أربع بعد الالف حصلت محاربات في الرملة وباب الوزير وكذا في زمن خضر باشا سنة سبع بعد الالف وفي زمن علي باشا فشرب الدخان بمصر ولم يكن معروفا قبل ذلك وفي سنة اثنتى عشرة بعد الالف قتلت العساكر ابراهيم باشا الوالي وصارت الحكومة فوضى لا رئيس لها فغل بالناس كل مكروه وتعطل السفر برا وبحرا القيام الاشقياء من العرب والفلانيين وحل بالناس مرة من القبط والغلاء والوباء ما تسبب عنه خراب كثير منها وازداد الفساد في ست وستة عشرة بعد الالف وحصلت في بركة الحاج حروب بين عساكر الوالي والعساكر القائمة مع الامراء العصاة وفي كل وقعة تغتم العرب فرصة النهب والسلب وبعضهم يغرق في جهات الارياف والبعض ينتمى ظاهرا الى احدى الطائفتين واتسع نطاق فسادهم وتقاسموا الاقاليم القبلية والبحرية وفي سنة سبع وعشرين وألف حضر من الاسبانية أربعة آلاف عسكرى أبعدتهم الدولة عن مقر الحكومة لانهم كانوا أثار واهمال الفتن وأنفذت لوالي مصر أن يبعث بهم الى اليمن عند حلولهم بديارهم صر فلما أراد الباشا إرسالهم الى تلك الجهة وشرع في تجهيزهم قاموا على قدم العصيان وقتلوا باب الفتوح وباب النصر وعلموا متاريس بالطرق والشوارع واستولوا على كثير من المناركة ووصلوا بعضها ببعض فوجه اليهم الباشا العساكر المصرية ووقع بين الفريقين القتال عدة أيام حتى انتهى بخراب جهة الجمالية والخرنفس وباب الشعرية والحسينية وما جاور ذلك واستمرت الفتن بين العساكر الى سنة خمس وثلاثين بعد الالف بما يتخلل ذلك من الغلاء كالعلاء الفاحش الذي حصل في زمن ابراهيم باشا السيلاجدار فقد اقي الناس فيه هولا شديدا وفي سنة سبع وثلاثين وألف زمن الوزير محمد باشا عين العساكر للسفر الى بلاد الحبشة صحبة الامير قانصوه فعسكروا بالعباسية وجعلوا يخطفون الاولاد والبنات ويفتكون بالمارين ويسلبون وينهبون حتى انقطعت الطرق وضاق ذرع الناس وحل بهم الكرب من كل مكان ولم يجدوا مغشا ولم تكن المصائب قاصرة على ما يحصل من العسكر والعرب بل كثير من الامراء كان لا فكرة له الا فيما يجلب به الضرر للناس وجمع أموالهم كما فعل أحمد باشا الذي كان يلقب براعى الخماس فانه جلب نخاسا كثيرا وأراد عمله فلو سافنا نشأ بحوش بردق الوجاقات ووضع المسابك وجمع الصنائع فلم يتحصل على ما كان يؤمل منه من الفائدة فرماه على التجار وسائر ارباب الحرف والطوائف فلحق الناس من ذلك ما لا مزيد عليه من الضنك والشدة ثم قامت عاينه العساكر وعزلوه وكان أكثر الحكام يقرر الرشوة على الناس ثم يستعملها من بعده حتى تصير كأنها حقوق ثابتة ولما تولى منصور باشا كما على مصر سنة اثنتين وخمسين وألف كانت عدة أنواع القرض والبصا اثنى وثلاثين نوعا منها عشر البصا وثمانون على البغايا وأولاد الهوى وما هو على المغنيات ونحو ذلك واستمر هذا الحال الى ان دخلت سنة احدى وسبعين وألف شخصات وقعة الصناجق وهي وقعة عائلته انقسمت فيها الامراء أحزابا واشتعلت نيران الحرب في شوارع القاهرة وضواحيها وامتد ذلك الى الاقاليم القبلية وجهاز فيها الباشا الوالي عدة تجاريد حتى انتهت بقتل أغلب الامراء الفقارية نسبة الى رئيسهم ذى الفقار وذهبت صواتهم وفي اثر ذلك سنة أربع وسبعين كان والى مصر عمر باشا فاهتم بجمع السلاح من كافة البلاد وكانت الضعائن كمنتهى نفوس من بقى من الفقارية وفي كل وقت يرتقبون انتهاز فرصة الانتقام من أخصائهم طمعا في رجوع صواتهم وما كانوا عليه من النعم فلم يمض غير قليل حتى حصلت وقعة الزرب وهزم قوم حضروا من الشام أغلبهم أروام ودروز فأنخرطوا في سلك العسكرة ووصل بعضهم الى المناصب السامية وانضموا الى محمد بيك حاكم جرجا وصاروا أنصاره وأخذوا في الظلم والايقاع بالناس وأكثروا من النهب والسلب وكانوا يقتلون النفس على أقل سبب فرفع الناس شكواهم الى

الوالى فزجرهم فلم ينزجروا بل زادوا فى الطغيان وفتكوا بالناس وتجاوزوا حدود الله وخرجوا عن طاعة الله ورسوله
 وأولى الامر فاضطر الوالى لمحاربتهم فأعد لهم ما استطاع من القوة ووجه عليهم المدافع وكانوا قد تحصنوا بجامع
 المؤيد فحاصرهم فيه وقتلهم قتالا شديدا مات فيه خلق كثير ونحرت عمائر كثيرة فى السكينة والداودية
 وقصبة رضوان والدرب الاحمر وتحت الربع وما جاور ذلك ثم بعد معاناة شديدة أخذوا وقتلوا واكتفى الناس شرهم ثم
 تسع ذلك فى سنة احدى وعشرين بعد الالف حريق هائل فى جهة باب زويلة واستمر اياما حتى مات فيه خلق كثير ونحرت
 وتخرّب فيه غالب عمائر تلك الجهة ولما دخلت سنة اثنتين بعد المائة والالف كان الفساد قد بلغ منتهاه وانتشرت
 العرب للفساد فى كل جهة وكان الحاكما اذذاك على باشا قلع فحجز عن ردع المفسدين وتأمين الرعايا وتسبب عن ذلك
 انقطاع ورود الغلال الى الشئون السلطانية وقلت الخزينة من الاموال فلم يتمكن من صرف مرتبات الحرمين
 ولا غيرها وما كجهايات الاوقاف والعلماء والاشراف والايام والارامل وكان قد انتسح نطاق الحمايات وكانت عادة
 اتخذها العسكر من قديم فكثرت فى تلك المدة فكان كل طائفة من العسكر تأخذ فى حمايتها اجسلة من التجار
 أو المزارعين أو الملاحين فى البحر فيقتسمون مع الناس ارباحهم ويمنعونهم من اداء حقوق الحكومة ولا يتمكن
 الحاكما من التعرض لاحد منهم فلما تولى الحكم على باشا قلع بذل جهده فى ابطال الحمايات حتى ابطها وحارب العرب
 حتى قمعهم وأقنى منهم الكثير فهدأت الامور وأمن الناس على أنفسهم وأموالهم لكن حصل من الغلاء والوباء
 ما فاقت شدته على تلك الحالة وفى سنة تسع عشرة ومائة وألف كان الحاكما بمصر حسين باشا الوزير وكان قد حجّر
 على العساكر ومنعهم مما كانوا يفعله لونه فضجوا من ذلك وقاموا على قومة واحدة وحاصروا بالقلعة ونهبت البلد
 وأغلقت الخوانيت والخانات وتعطلت الاسواق وفى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف حصلت من العسكر قومة
 أعظم من تلك القومة وحاصروا الوزير خليل باشا وانقطع المرور من طريق الحجر وعرب اليسار والرميلة والصليبة
 والدروب الموصلة الى القلعة واستمرت هذه الحادثة سبعين يوما وخرّب بسببها الدرب الاحمر والحجر وعن قوصون
 وسوق السلاخ وخط الداودية والصليبة والسيوفية والخليفة والعمارات التى كانت جهة القصر العيني وبركة
 الناصرية وما جاور ذلك الى مصر العتيقة وخط السيد زينب رضى الله عنها وفى سنة خمس وعشرين ومائة وألف
 فى زمن عابدين باشا كانت وقعة القاسمية وسببها ان الباشا تحزب لهم وأخذ فى اعمال الخيلة على قتل غيطاس بيك وكان
 غيطاس بيك صاحب الحل والعقد يومئذ وكانت العادة فى يوم العيد أن تعمل جمعية فى قريسيديان فلما كان يوم عيد
 وحصلت الجمعية وحضر غيطاس بيك أغرى عابدين باشا بعض اتباعه من العسكر على قتله فقتلوه وقتلوا معه من
 أمرائه واتباعه وتسامع الناس بذلك فقام بقية حزبه ووقعت معركة خرب لاجلها حارات ودروب ومات فيها عالم
 كثيرون وصار بعدها الحل والعقد بيد القاسمية بعد ان كان بيد النقارية ولم تنقطع الضغائن فلما كان سنة ثلاث وثلاثين
 ومائة وألف كان الوالى على مصر محمد باشا البستانجي فأخذ فى تعصيد النقارية الى ان كان يوم فيه جمعية بالقلعة
 فاغرى العساكر على القتلى بأمراء القاسمية فوقع القتال بين الفريقين ونزلوا الى الرملة وامتد الى جهة الصليبة
 ودرب الحصر والحجر وعرب اليسار وخط الدخيرة والدرب الاحمر ثم وقع الصلح بين الفريقين على تقسيم الوظائف
 نصفين وعزلوا الباشا وفى سنة اثنتين وأربعين حضر عبد الله باشا واليا والضغائن لم تزل كاشنة فى الصدور فقام
 الفريقان يقتتلان فانتصرت القاسمية على الفقارية فقتلوا الفقارية فى الانحاء وخرجوا من القاهرة واستولى الامراء
 على منازلهم عائلاتهم من حريم وعيال وأمتعة وفى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف قام الامراء على الباشا وحصنوا
 بجامع السلطان حسن وفى سنة احدى وستين قامت فتنة بين الدمياطية وكان رئيسهم على بيك الدمياطى وبين
 القطامشة ورئيسهم ابراهيم بيك قطامش وبعد حروب انتصرت الدمياطية على اخصامهم فاحتاطوا بعمالهم من
 الارض والعقار والاثاث وغيره وامرهم بالمال هكذا فى حروب وقتل ونهب الى سنة تسع وسبعين ومائة وألف فاستقل
 على بيك الكبير بأمور مصر وعزل الباشا وخلع طاعة الدولة وقويت شوكة وملاك الحجاز والشام وضربت السكة
 باسمه ونفى الأمير عبد الرحمن لتخدا صاحب العمارات الكثيرة الباقية عند الازهر وغيره الى الآن وكان هو صاحب
 الحل والعقد قبل على بيك الكبير فمضى الوقت لعل على بيك الى ان ثار عليه مملوكه محمد بيك أبو الذهب صاحب المدرسة

الباقية أمام الأزهري الآن فقام على سيدة واجتمع عليه أعداؤه فوقع بين علي بك وبينهم محاربات آلت إلى فرار علي
 بك إلى الشام وصار الأمر لمحمد بك أبي الذهب فحزب مع علي بك كثير من أهل الشام وانضم اليه جمع عظيم من
 المصريين الفارين والعرب وساروا لمحاربة محمد بك أبي الذهب فوقع بينهم القتال جهة الصالحية وانتهى بقتل علي
 بك وانتهت الرئاسة لمحمد بك أبي الذهب لكن لم تطل حياته ٥ ولما مات الأمير محمد بك أبو الذهب انفرد مراد بك
 وأبراهيم بك بالحل والعقد ونصرف في أمور البلد وأخذ في التعدي على الأمراء وغيرهم وتبين الغدر لبعض الأمراء
 ومن جملتهم اسمعيل بك وكان صاحب عز ووسطوة وله مماليك وأتباع كثيرة وظهر ذلك من سوء معاملتهم وخشونة
 كلامهم فتبين للأمراء ما يراد بهم فقاموا وقصدوا الخروج من المدينة فلما علم بذلك إبراهيم بك ومراد بك جمعا
 مما اليكهما وحزبهما بالرميلة وقرهم ميدان واستولوا على أبواب القلعة والبلد وحصل بينهم وبين الأمراء الفارين
 مناوشات انتهت بهزيمة رجل إبراهيم بك ومراد بك فدخلوا القلعة وحصنوا أبوابها فحاصروهم الأمراء وضابطوهم
 أشد المضايقة حتى أبلجواهم إلى الفرار ففروا إلى الأقاليم القبلية وتمكن اسمعيل بك من البلد وتسلم زمام الحل والعقد
 وعينه محمد باشا عزت الكبير الوالي من حين ذلك شيخا للبلد فقام من وقته ونهب بيوت الأمراء الفارين هو وأمرأؤه
 وأتباعه وجهز التجار يدلمحاربتهم فلما التقى الجمعان بالصعيد وقع بينه وبينهم وقعات آلت إلى انهزام عساكره فولوا
 مدبرين وعادت الأمراء القبلية في أثرهم وزحفوا إلى القاهرة ففرا اسمعيل بك عن معه إلى الشام ودخل البلد من كانوا
 في الجهات القبلية واستولوا على بيوت الأمراء المنهزمين ودورهم وقسموا من وجدوه منهم قتلوا ونفيا وحبسوا خلا
 الجول مراد بك وإبراهيم بك فتصرفا في البلد كيف شاء وزاد في التعدي والظلم فأنقست أمراء مصر إلى قسمين قسم
 يقال لهم الحمدي نسبة لمحمد بك أبي الذهب وقسم علوية نسبة لعل علي بك الكبير وكل قسم يحقد على الآخر ويتمنى هلاكه
 ويتربص به ريب المنون ووقع بينهم التحاسد والعدوان وتسبب عن ذلك فتن وحروب دمرت البلاد وأفسدت أحوال
 القطر وعطلت أرزاق أهله وأحس العلوية من مراد بك بالغدر فتجمعوا وتحصنوا في حوش الشرفاوى وصنعوا
 متاريس في جهة بابي زويلة والخرق وجهة السروجية فدخل إبراهيم بك القلعة وتحصن بها ووجه المدافع على
 جهات العلوية وتماذى يضرب عليهم بها اثنين وعشرين يوما وعساكره تتناقل على عساكرهم في الحارات والدروب
 وكل منهم يوصل البيوت بعضها ببعض لئلا يتمكن من قتل عدوه وانتهت تلك الحادثة بخراب هذه الجهات ولهروب
 العلويين إلى الشرقية وغيرها اقتنى الحمدي ثروة منهم ونسلط عليهم العرب فقتلواهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا القليل
 ففر إلى الشام ومن بقي أودع السجن وعزل محمد باشا وتولى مكانه اسمعيل باشا ولم تنقطع الفتن وتجهيز التجاريد
 والمصادرات وكثر الظلم والتعدي ففر كثير من الأمراء والتحق باسمعيل بك بالجهات القبلية وبعد حروب طويلة
 حصل الصلح على أن يعطى اسمعيل بك أخيم وأعمالها وحسن بك قناو أعمالها ورضوان بك أسناو أعمالها فسلم كل
 ما استقر عليه الرأي ولم يمس غير قليل حتى انتقض الصلح ورجعت الأمور إلى ما كانت عليه وفي سنة سبع وتسعين
 ومائة وألف اهتم إبراهيم بك في مصالحة القبالي وكان ذلك في زمن محمد باشا السلحدار فرجع أغلبهم وأقام عنزله وكان
 ذلك على غير مراد مراد بك فقام بعزوته وخرج إلى بني سويف وقطع الوارد عن القاهرة فلحق الناس ما لا مزيد عليه
 من الضنك والغلاء المفرط وضاق ذرع الفقراء وازداد ذلك أضعافا لما حضر مراد بك بجموعه إلى الجزيرة وعسكر
 إبراهيم بك بجيوشه في مصر العتيقة مقابلا لها واستمر هذا الحال بهم عشرين يوما وكان ضرب المدافع متراشلا بينهم
 في تلك الأيام جميعها واشتد الكرب بأهل المدينة وخد الرقع والاشوان من الغلال وحق الناس كل مكروه وأخيرا
 حصل الصلح بين إبراهيم بك ومراد بك تخاف أمراء حزب اسمعيل بك عاقبة هذا الصلح لما تبين لهم من خيانة
 إبراهيم بك فهاجروا من مصر فسايتهم عسكر إبراهيم بك ومراد بك والعرب من خلف الجبل فقطعوا طريقهم
 وقتلوا منهم ما لا يحصى وشتتوهم ثم رجعوا فاحتاطوا بأهملهم واستولوا على عيالهم وأموالهم ومنذ خلا الجو من
 اسمعيل بك وعائلته لم يحصل اتفاق بين إبراهيم بك ومراد بك بل زاد ظلم مراد بك وتعديه هو وجماعته وكثر منهم
 الناب والسلب والقتل فقام إبراهيم بك بعزوته إلى الصعيد فعزل مراد بك الوالي وتصرف في أمور البلد بصفة
 قائم مقام وأعطى رجاله ومماليكه المناصب السامية وفرق عليهم أملاك الفارين وجرت بينه وبين إبراهيم بك أمور

لاخير فيها فسعى بينهم المشايخ والامراء في الصلح حتى تم ذلك ٥ وفي سنة تسع وتسعين ومائة وألف عمت البلوى بمصر
من الطاعون فكانت هذه الايام ايسر ايام في الشدايد لما حصل فيها من الغلاء والقضاء والفتن وقصور النيل وتواتر
المصادرات والمظالم وتعدى الامراء وانتشار اتباعهم في النواحي لطلب الاموال من القرى والبلدان واحداث انواع
المظالم لاى نوع كان من تسمية البعض مال الجهات والبعض رفع المظالم وغير ذلك حتى اهلكوا الحرث والنسل وقل
الزرع وضاع الذرع واشتد الكرب وتشدت الفلاحون من بلادهم فخربت أغلب بلاد الارياض ومذروا وانه
لا فائدة في الفلاح حولوا الطلب على الملتزمين وبعثوا اليهم في بيوتهم فاحتاج مساكين الناس ليسع أمتعتهم ودورهم
ومواشيهم وحواشيهم مع ما هم فيه من المصادرات الخارجة عن الحد وتبعوا من يشم فيه رائحة الغنى أيضا فأخذوه
وحبسوه وكافوه فوق طاقتهم أضاعوا قاروا واطاب السلف أيضا من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة وطمع
ابراهيم في الموارد فكانوا اذا مات الميت يحيطون بخلفائه سواء كان له وارث أم لا حتى صار بيت المال من جملة
المناصب التي يتولاهن اشرار الناس بجملة من المال يدفعها في كل شهر واذ لا يعارض فيما يفعل من الجزئيات وأما
الكليات فيختصر بها الامير فيجمل بالناس ما لا يوصف من انواع العناء حتى خرب الاقليم بأسره وانقطعت الطرق
وعربدت أولاد الحرام وفقد الأمن ومنعت السبل الا بالخرقة وركوب العرب وانتشر الفلاحون في المدينة بنسائهم
وأولادهم يضحكون من الجوع ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من قشر البطيخ وأوراق الشجر حتى لا يجد الزبال شياً
يكنسه من ذلك واشتد الكرب حتى أكلوا الميتة من الخيل والحمير والبغال والجمال فكان اذا خرج حمار ميت
تراجوا عليه وقطعوه فمنهم من يأكل ما أخذه نيئاً من شدة الجوع ومنهم من هو على خلاف ذلك ومات الكثير جوعاً
هذا والغلاء مستمر والسعار في غمق الدرهم والدينار عزيز من أيدي الناس والتعامل قليل الا فيما يؤكل الى آخر ما قاله
الجبرتي ومع ذلك كانت الامراء تنهب في المدينة ورجالهم تنهب في بلاد الارياض وما من محبة وتشتكي الناس الى
ابراهيم بيك فلم يجدوا منصفاً ٥ ولما اشتد الامر وعمت البلوى وكثر التعدي على التجار من الافرنج وغيرهم وانتشر خبر
ذلك في الآفاق أرسلت الدولة في سنة اثنتين ومائتين وألف حسن باشا القبطان ومعه العساكر ليرجع هؤلاء العساكر
عما هم فيه فلما وصل غر الاسكندرية وبلغ الخبر الامراء عاجت المدينة وماجت وأخذ كل يحرق أمواله ويستعد
للخروج وجرت الخبايا بين الامراء وحسن باشا القبطان فلم تغد شيئاً ٥ فتوجه مراد بيك بعسكره الى فوة ووقع
بينه وبين عساكر الدولة محاربة كانت الدائرة فيها عليه فانهزم ورجع الى مصر وأراد ابراهيم بيك أن يدخل القلعة
فسبقه الباشا اليها فلم يجد بدا من مفارقة مصر هو ومن معه من الامراء ففروا الى الجهات القبلية وحضر قبطان باشا
في اثرهم ودخل مصر وأخذ في الاستيلاء على بيوتهم وتبع أموالهم وجهز طائفة من العسكر وأمر عليهم عابدين باشا
وأرسلها لاقتناء آثار الفسارين فوقع بينهم جملة من المناوشات مات فيها خلق كثير من الطائفتين وتعطلت أسباب
الارزاق وفي كل هذا الاوقات كانت العرب تنهب وتسلب وتقتل في جميع أنحاء لتطروا لمانع يمنع ولا حاكم يردع
٥ وفي تلك السنة أعنى سنة اثنتين ومائتين وألف تولى اسماعيل باشا كخدا حسن باشا بعد انصال عابدين باشا والامور
على ما هي عليه الى سنة خمس ومائتين وألف وفيها انزل سيل كثير من ناحية الجبل الاحمر وامتد في جهة الجالية وجامع
الحاكم الى آمد بعيد في الحارات المجاورة لذلك وخرب بسببه أكثر خطا الحسينية وما جاورها وعقب ذلك طاعون أقام
ثلاثة أشهر مات فيه اسماعيل بيك شيخ البلاد وأقام خلفه مملوك عثمان بيك طبل فقال الى الامراء القبلية سرا فدخلوا
مصر بجموعهم فلم يسع من به من الامراء الا الفرار فاحتاط بهم العرب والعسكر فقتل من قتل وفر من فر ورجع
مراد بيك وابراهيم بيك وأخذوا فيما كانوا عليه من السلب والنهب والغدر وفي سنة سبع ومائتين وألف في زمن محمد
باشا عزت الثاني لم يبق النيل أذرعه فصل القمح فأكلوا الميتة والاطفال ومات الكثير من الخلائق جوعاً وفي سنة
تسع ومائتين وألف تولى صالح باشا والامور على حالها وعقبه بكر باشا سنة عشر ومائتين وألف والظلم متسلطن
والخلال عام للكبير والصغير والقريب والغريب من حوادث أملاها الجبرتي فكان آخرها حضور الدونامة الفرنسية
ودخولهم أرض مصر وحصول ما يستلزم عليك ان شاء الله تعالى

(حال القاهرة في مدة الفرنسية)

لم تمكث افرنساوية بالديار المصرية زمنا طويلا فان مدتهم لا تزيد على ثلاث سنين ومع ذلك حصل فيها حوادث شتى
 خرب بسببها كثير من بلاد الاقليم وهدم كثير من دور القاهرة وفارقها كثير من السكان وقد تكلم الجبرتي على
 هذه الحادثة وأسهب في شرح ماجرى فن يروم كمال الوقوف على افعليه ان يراجع ما كتبه رحمه الله وسند كركلا
 بالاختصار ما يتعلق بالقاهرة خصوصا وبما تبقى النطر عوما حتى لا يتخلو قدم متناعن هذه القائدة فنقول ان دخولهم
 الى ثغر الاسكندرية كان في المحرم سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وبعد مناوشات حصلت بينهم وبين مراد بيك عند
 قرية الرحانية من مديرية البحيرة انهم مراد بيك وحضر الى انبابة وعمل بهم امتاريس وحضرت الفرنساوية في
 أثره فاجتمعوا على تلك المتاريس وأخذوها بعد ثلاثة اربع ساعة وانهم مراد بيك ومن معه الى الصعيد ولم تنفع
 جوع العرب ولا القلا حين بشئ وكذلك فارق ابراهيم بيك القاهرة وفر الى جهات بحري بمن لحق به وتشتت الامراء
 الى الجهتين وكانت العرب ثلاث تلك الجهات فتعرضت للنارين بالسلب والقتل والنهب وجميع الرذائل وصار
 القطر فوضى وتعدى الناس بعضهم على بعض ودخل الافرنج القاهرة ثانيا يوم انهم زام الامراء وسكنوا بيوتهم
 فسكن بونا بارت بيت محمد بيك الانفي بالازبكية وسكن كل أمير منهم فيما أنجب من بيوت الامراء ورثوا مجلسا من
 العلماء فاطمأن الناس لذلك ورجع الكثير الى داره ثم ان الافرنج أخذوا في الكشف على بيوت الامراء والاعيان
 وتبعوا الاوباش الذين ثاروا في البلد ونهبوا البيوت الخالية فاخذوا منهم عددا وافرا وعاقبواهم أشد العقاب وقتلوا
 البعض بالرصاص في جنينة الازبكية وقتلوا بيوتهم وأخذوا ما وجدوه فيها من المنهوبات وضربوا على تجار المسلمين
 خمسة مائة ألف ريال فرنساوى ثم جعلوا مبلغا على كل حرفة وقالوا انهم اسلفوا بدخول بذلك للفقراء أشد المضايقة
 وشددوا عليهم في الطلب فكثرت لغط الناس وكانت العساكر تدخل البيوت وتنهب ما فيها من غير مبالاة فحاق بالناس
 الكرب والخوف فلا يأمن الانسان الا بتعليق بنديرة (أى راية) على بابه أو ياصق ورقة من طرف الفرنساوية
 وأخذت الامراء المخفيات في الظهور وصالحوا على أنفسهم بمبالغ دفعها على نسبة حال كل منهن فدفع زوجة
 مراد بيك ١٢٥٠٠٠ ريال فرنساوى ودفع غيرها أقل من ذلك وصار الناس يتوجهون الى الافرنج ويخبرون عن
 ودائع الامراء وخباياهم فكثرت الهجوم على البيوت ونهب الارض وهدم الحيطان واتسع نطاق الفتن خارج البلد
 وداخلها وتحير الناس في أمرهم فانهم ان خرجوا عن المدينة كانوا عرضة لقبائح العرب وعساكرهم ادوا ابراهيم وان
 أقاموا بها كانوا هدموا فالتسهم فتن الافرنج غير آمنين مكايدهم وفي خلال ذلك ظهر الطاعون فنع الافرنج الدفن في
 المقابر الموحدة داخل البلد كقبرة الازبكية والرومي وغيرهما وشددوا في تطافة البلد وكنس الازقة والحارات
 والتفتيش على ذلك ورفعوا أبواب الدروب والعطشات جميعها وأمروا بتعليق قناديل على أبواب البيوت طول الليل
 وعاقبوا من خالف أشد العقاب ثم وضعوا مجلسا من كبار من تجار المسلمين ومثلهم من تجار النصارى لتحقيق
 حجج الاملاك وقرروا ما بالغ تؤخذ من الموارث والرزق والهبات والمبايعات والدعاوى فلحق بالناس من هذه
 الغرامات ما لحقهم وكثروا يلهم وشكواهم ولا معين ولا نصير والتقت عساكرهم بعساكر مراد بيك في الجهات
 القبلية فوقع بينهم مناوشات وسافر من عساكر الافرنج أيضا جماعة الى الجهات البحرية لتسكين الفتن وضبط تلك
 الجهات فكانت العرب تعارضهم ولكن على غير طائل وأخذ من بقي في القاهرة منهم في الاحتياطات خوفا مما
 عساه ان يحصل من الاهالى فهدموا أبنية كثيرة من حول القاعة وزادوا على بدناات باب العزب بالرميلة وغيره واما معالما
 ومحواما كان بهما من آثار الحكماء والعلماء ومعال السلاطين وما كان في الابواب من الاسلحة والدرق والبلط والحراب
 الهندية وهدموا من داخل القلعة قصر يوسف صلاح الدين وطلب النقود من البلاد لم يزل متواليا وتوابع الفرض
 مستمرا فلم يلحق باهالى القطر أشد ولا أعظم مما لحقهم في هذه المدة لان العرب كانت تهجم على البلاد وتستحوذ على
 ما وجدت من أموال الاهالى ويعقبهم الغز يسلبون وينهبون ويلتهم الافرنج يقتلون ويهجون ففجز الناس عن
 رد هذه الاحوال خصوصا أهل القاهرة فقاموا وتحشدوا بين القصرين وعملوا متاريس في بعض الحارات وحصل
 بينهم وبين الفرنساوى بين مناوشات فكانت المدافع من القلعة تضرب على هذه الجهات وعلى الجامع الازهر فتخرب
 بهذا السبب جملة من البيوت وتشتت كثير من الناس ومات كثير منهم وشددت الفرنساوى على الاهالى زيادة على

ما كان وضربوا عليهم فرضة مستجدة واخذوا يجمعون بها نوع من الطرق وزادوا في احتياطهم فعملوا قلاعاً فوق التلال المحيطة بالقاهرة من جهاتهم الأربع وكذا بصرا العتيقة وشبى والجيزة ووضعوا بهم المدافع وشددوا في جمع الأسلحة وأخلوا بيوت الأربكية من أهلها وأسكنوا بها رجالهم ومن انتمى إليهم من نصارى الشام والقيبط وفي عقب ذلك حضرت المراكب العثمانية وخرجت عساكرها في أبي قبر وتحصنوا وشاع خبرهم في القاهرة فكثرت لغط الناس وأظهروا العداوة للفرنساويين وفرحوا بظنهم بأن الخلاص ولكن كان الأمر خلاف ما ظنوا فان يونان بارت توجه لحرب العثمانيين فالتقوا في تلك الجهات فانهم زعم العثمانيون ورجع إلى مصر معه أسرى كثيرة من جملتهم الوزير فدهش الخلق وزاد وجلهم وكانت فرنساويون تشاهد عداوة الأهالي وكراهتهم لهم فأكثروا من التشديد وزادوا في الاحتياط ثم حضرت عساكر عثمانية من جهة العربيش وشاع بين الناس التسكلم في أمر الصلح وبالفعل توجه مندوبون من طرف فرنساوية ودخل عساكر الترك ووصلوا المطرية وانتشروا في الجهات ودخلوا المدينة بعد عقد الاتفاق على الشروط اللازمة وبالفعل أخذ الفرنسيون في أهبة السفر وأخلوا القلاع لكن لما قدر في علم الله لم يدخلها العثمانيون واكتفوا بدخولهم المدينة واشتغلوا بالنهب والسلب وحصل بين بعض فرنساويين والأتراك بعض مناوشات تجر إلى القتل لولا ان تداركها الأمر فحصل الاتفاق على خروج العثمانيين وأقامتهم خارج البلد حتى تتم المدة المتفق عليها وتم الأمر على ذلك ولكن لم يمض غير قليل حتى وصل الخبر للفرنساويين بعدم رضا الإنكليز بهذه الشروط وبلغ ذلك العثمانيين ولكن لم يستعدوا المانع مما يحدث أما فرنساويون فرجعوا بالتدريج إلى القاهرة وقاموا برجالهم إلى قبة النصر وهجموا على الأتراك وهم في غفلتهم فقتلوا منهم كثيراً ورجع الباقون إلى جهة الصالحية وهم يسوقونهم وكان نصوصاً داخل المدينة من خلف الجبل مع كثير من الأتراك والعرب وهجم الناس وحرصهم على القيام على فرنساويين فانضم اليه كثير وهجموا على من بقى من فرنساوية في جهة الأربكية وغيرها وانتصب القتال بينهم فبقيهم على ذلك أذرجع العساكر الذين سافروا خلف العثمانيين فحاصروا القاهرة وبولاق ونهبوا أغلب دورا الحسينية وهدموا وكذا قرية الدمر داش وما حولها ومنعوا الاتصال بين المدينة والخارج ووجهوا المدافع عليها وصار الهجوم منهم على أخطاط البلد واستمر ذلك عشرة أيام وبعد ذلك نصب فرنساويون بريق الصلح في الأربكية وتوجه عندهم بعض المشايخ ففهموهم ان هذا الحرب سبني على غير اسباب موجبة ومضربهم وطالبوا منهم نصيحة الأهالي ورجوعهم للطاعة والتمسوا بهم بالعدو العام فلما رجع المشايخ وتكلموا بذلك لم يسمع قوالهم واستمر الحرب ولم ينته الا بعد سبعة وثلاثين يوماً خرب فيها خرب في الأربكية وخط الساكت إلى بيت الألقى وخط القوالة وخط الرويعي إلى حارة النصارى وخربت أغلب طارات بولاق أيضاً من الحرق والهدم وجهة بركة الرطل وباب البحر وانتهت هذه النازلة بتقرير مبلغ مليونين من الريالات لفرنساوية على الأهالي فحصل لهم غاية المضايق في تحصيلها وأهانوا الأعيان والمشايخ وضرب السادات وحبسوا وأخذت منه أموال جمعة ونهبت عدة بيوت من بيوت الأمراء وصودر كثير منهم فكانت هذه المدة أشنع مما قبلها ففيها انقطع السفر براً وبحراً ومنعت الإنكليز الصادر والوارد عن جهات القطر وانقطع الحج ووقف العرب وقطاع الطريق بجميع الجهات وتسلبوا على القرى والفلاحين وقصر مد النيل واشتد الغلاء وحصل القحط والوباء فمات فيه كثير من الخلق وفي خلال ذلك سافر يونان بارت إلى بلاده واستخلف على الجنود فرنساوية بمصر قائداً من زعمائهم اسمه كليبر فاعتماله رجل شامى حضر من بلاده لهذا القصد يقال له سليمان الحلبي وقتله واختفى فاشتد غيظ فرنساوية وحقدتهم على أهل مصر وأرادوا بهم سوء فراموا حرق المدينة لولا أن الله تعالى رفق بوجود القاتل فقتلوه وقتلوا معه عدة من أتهموا بمساعدته وبعد قليل تم الصلح وخرجوا من مصر وأعقبهم العثمانيون فيها واستقروا بها فحصل ما سبى عليك

(القاهرة بعد خروج فرنساوية)

لم يهدأ لمصر حال بعد مفارقة فرنساوية بل ازداد التعب وعم الاضطراب جميع الخلق وتخرب الكثير من منازل القاهرة وضواحيها وقاسى الناس خصوصاً التجار والمستورين من الغرامات والكلف ما لا يمكن وصفه إلى أن صدر

الامر بتولية المغفور له محمد علي باشا عليه سنة ١٢٢٠ وكان قد تولى عليها قبله أناس أولهم محمد باشا
 المعروف بأبي مرق قد دخلها بموكب حافل وفرح الناس بقدمه ظناً أن ينالوا الراحة والامن فخاب ظنهم وانعكس
 مآولهم لعدم قيامه برعاية المصالح فان النصارى الاروام الذين كانوا مع الفرنسيات وحصل منهم الاذى للمسلمين
 اندر جوامع الارنؤد والعسكريين بالبلد من الاتراك وجعلوا يعيثون ويعربدون في أنحاء القاهرة وينهبون الاهالي
 ويطردونهم من منازلهم ويسكنونها واستعملوا في السلب أنواع الخيل فيما لم يجدوا اليه سبيلا فربما جلس
 العسكري على دكان بدوى الاستراحة أو شراشي ثم يقوم ويعود بعد قليل قائلاً انه نسي كسبه أو فقد دراهمه
 ويجعل ذلك سبباً لاهانة صاحب الخانوت ونهب ما عنده وعم منهم الفساد وشاركوا الباعة فيما يبيعون وساهموا
 التجار فيما يرهبون وضاق خناق الخلق واتسع ميدان الكرب خصوصاً في جهات الارياف فان العسكري صاروا
 يقتلون ويختطفون المردان والبنات ويفتضون العذارى ومن ممانع عن عرضه قتله ولا معارض ولا مغيب ونضاعف
 الكرب وعم الهرج أكثر مما كان حين قال قاضي العسكري بان الاملاك كافة صارت ملكاً للدولة لان انتصارها على
 الفرنسيات بعد فتحها جديداً وعارضة في ذلك العلماء وضع أصحاب الاملاك وأكثروا الشكوى حتى لم ينقذ ما قاله
 والكن الباشا أكثر صادرات من شتم فيه رائحة الثروة وتفريد القرض على التجار وغيرهم حتى تجرد الناس من
 أنفسهم واستمر الحال على ما هو عليه زمن محمد باشا خسرو وكثرت احسين باشا قبودان الذي عقبه سنة ١٢١٦
 وكان قد اتحد مع قبطان باشا على الغدر بالامراء المصريين اذ انزلوا بالغليون في الاسكندرية للاقائه فلما حضر
 الامراء وأحسوا بما يرايدهم من القتل ناروا فخلصت مقتله عظيمة وتخلص الامراء والحقوا بالانكليز الذين كانوا
 بشعر الاسكندرية وبلغ ذلك محمد بك الانفي وهو بالاقليم القباية فآظهر العصيان فتبع الباشا مماليكاً واتباعه
 وكذا مماليك الامراء واتباعهم بالقتل والنهب ونهب بيوت الامراء وسبي حريمهم ونشأ عن ذلك ما نشأ من المناسد
 المعتادة لهم * ولما تولى بعده محمد باشا أخذ في قمع مفساد العسكريين وشد في عقابهم وكان يطوف الحارات ليلا بنفسه
 ومعه طاهر باشا ويقتل على أقل ذنب ويجرد على الامراء القبلية عدة تجاريد احداها تحت رئاسة المرحوم محمد
 علي سر حشمة فغلهم التبليدية وشد في امر الحسبة حتى خرم أنوف الخبازين وعلق فيهم الخبز الناقص وكذا
 الجزارون فحسن الحال نوعاً من الناس بعض الامن وأبطل الرطل الزياتي الذي كان يكال به الادهان وكان وزنه
 أربع عشرة أوقية واستعوضه برطل وزنه اثنتا عشرة أوقية وبقي للآن واتخذ جلة من العبيد والتكرور وأسكنهم
 بقاعة الظاهروسمهم بالنظام الجديد واهتم بعمارة مسجد السيدة زينب رضى الله عنها ومع ذلك كان غشوماً
 جهولاً عجولاً في أموره محباً للسفك الدماء ولم تسكن نائرة الاضطراب فان الامراء في الجهة القبلية كانوا دائماً يشنون
 الغارة على البلاد حتى نهبوا القيوم وقتلوا كثيراً من أهله ونهبوا بلادها وكذا الجزيرة بنوسوف وقطعوا الجسر
 الاسود وتقابلوا مع العساكر العثمانية في دمنهور فحصل بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها العسكريون فكان الحرب عاماً
 لجميع أنحاء القطر والقرى والغارات تطلب من التجار وقت دوائر الخراب حين قام العسكري بالقاهرة بسبب منع
 جوامعهم وهجموا بيت الدفتر دارو بيت المحروفي وهو بيت الشيخ البكري القديم وصار الباشا يضرب عليهم بالمدافع
 من القلعة حتى خرب خط الازبكية ونهب ما فيه وعملت متاريس عند رأس الوراقين والعقادين والمشهد الحسيني
 وربت العساكر بجامع ازبك وبيت الدفتر دارو بيت محمد علي وكوم الشيخ سلامة وقام طاهر باشا وحضر مدافع
 من القلعة وانتشب الحرب بين العساكر العثمانية وعساكر الارنؤد بالقاهرة وبولاق وقصر العينى وانهمز الباشا
 بعسكره الى جزيرة بدران ومنها توجه الى المنصورة وضرب على أهلها تسعين ألف ريال فرانساً ثم توجه الى دمياط
 فكانت مدته كلها حروب ونهب وقتل وتخريب فيها تخربت حارات القاهرة وضواحيها الا القليل وقام بعده بصفته
 طاهر باشا فاقام فأكثرت من مصادرة الناس من المسلمين وغيرهم وأغدق على الارنؤد وصرف جوامعهم ولم يعط
 الانكشارية فقاموا عليه وقتلوه فكانت مدته ستة وعشرين يوماً وعند هذه الحادثة كان بمصر أحمد باشا متوجهاً
 الى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام واليامن قبل الدولة فعينه العساكر واليالى مصر فلم يرض
 بذلك محمد علي وقام بملك القلعة وحضر اليه أكثر الامراء القبلية وانضموا اليه وتفرقوا في حارات القاهرة وملكوا

بابي النصر والفتوح وضربت المدافع على بيت أحمد باشا بالداوودية فتفرق عنه الانكشارية وأمر بالخروج من
مصر فامتل ومذخر ج نهبت العساكر بيته ولما فارق باب الفتوح رأى نفسه قد وقع في وسط العسكر فلم يسعه الا
الالتجاء الى قلعة الظاهر فدخلها محتميا ما وصفه الوقت حينئذ لمحمد علي وعساكر الارنؤد فتسلطوا على الانكشارية
ونهبوا بيوتهم وقتلوا اعيانهم فاجتمعوا بصرا العتيقة وأرادوا التوجه الى الشام من طريق الصحراء فهاجم عليهم
الارنؤدوا وقمعوا بهم فقتلوه عن آخرهم ولم يبق الا من اختفى فنتشوا عليهم البيوت والمساجد ثم مدوا أيديهم الى
أذى الاهالي والتعدي عليهم وتفرقوا في النواحي وأكثروا من السلب خصوصاً بلاد القليوبية والغربية والمنوفية
واتخذ سليم كاشف المخرجي قلعة الظاهر مستقرا وفرد على كل بلد من بلاد القليوبية ألف ريال فرانس وسبعين من كل
صنف أي سبعين خروفا وسبعين رطل من سبعين رطل عسل وهكذا خلاف حق الطريق وهو خمسة وعشرون ألف
نصف فضة ولذلك الخين كان محمد باشا مقبلا بمياط يقرر على أهلها ومن جاورهم الفرد الباهظة فتوجه اليه محمد علي
وعثمان بك البرديسي فقاتلاه وهزما من معه وأسرادوا رسلاهم الى مصر ونهبت دمياط وفعل الارنؤد كل شنيعة ثم توجه
البرديسي الى رشيد لقاتله العثمانيين وكانوا ببرج مغيزل فلما اتقى الجمعان انهزم العثمانيون وأسرع على باشا القبطان
وأرسل الى مصر وحصل برشيد من النهب والسلب والسبي ما حصل بدمياط وأدهى خلاف ثمانين ألف ريال فرانسا
ضربت على أهلها وصالت منهم وفي سنة ثمان عشرة ومائتين وألف حضر الوزير على باشا الطرابطسي وأقام
بالاسكندرية وقطع جسر أبي قير لمنع وصول البرديسي اليه فعند هار جع البرديسي الى مصر وجعلت عساكره
كلما مرت ببلد منهم حتى وصل للناس منهم من الضرر ما لا مزيد عليه واشتد الغلاء تلك السنة بسبب قصور النيل
وعدم الري وعريدت الطغاة وأصبح القصر بلا حاكم وفي أثناء ذلك أيضا رفع العساكر لواء المعصيان بسبب منع
الصرف فاتفق الرأي على توزيعها على الطوائف والتجار وجعلها درجات أعلاها خمسة وكنيسا وأدناها خمسة أكاس
فوزعت كذلك وشددت في طلبها فغلقت الحوانيت وتعطلت الاسواق وبطل البيع والشراء ونهب العسكر بيوت
الافرنج فحصل بينهم مقتلة عظيمة قتل وجرح فيها من النريقيين ناس واشتد الخوف بالناس وشكت القناصل للدولة
فلم يجد شيئا وعلى باشا لم يبارح اسكندرية لذلك الخين مشغلا بجمع العساكر وترتيبهم على هيئة عساكر الافرنج
فتراءى للامراء انه يدبر عليهم أمرا فاحتالوا عليه من باب تعش بفلان قبل أن يتغدي بك فاطهروا له الطاعة وطلبوا
منه الحضور اليهم ليكنوه فقام بعسكره قاصدا مصر فلما وصل الى شلقان خرج عليه عسكر الارنؤد فلم يجد بدا من
المدافعة فاشتد القتال بين الفريقين وقتل خاق كثير منهم ما وقت بهزيمة العساكر العثمانيين وأسرا الباشا وارساله الى
مصر ثم توجه الاقاي الى القليوبية فنهبا وقتلوا ناسا كثيرا من أهلها وكذا فعل بعرب بلبي محتجا أنهم كانوا مائنين للباشا
ظلموا واقتراء ثم اتفق الامراء على اخراج على باشا الى الشام فاصحبه وبعده من العسكر فلما وصل القرين قام عليه العسكر
وقتلوه فلما وصل الخبر الى الامراء أظهر وأعدم الرضا وسكتوا وكان مع كل ذلك يرغب كل أمير أن تكون له الساطة
ويعمل فيما يوقى أمره ويضعف غيره وعقارب الحق تدب بينهم ومحمد علي سياسته لا يظهر ما في نفسه لاحد بل كل
من رآه قويا مال اليه وأظهر له أنه معه ولم يهمل أمره يرهب بل يواسيه وهو يترقب الفرصة ويسير بعقل وسياسة
واذ كان البرديسي اذذاك هو المتبين فيهم تحالف معه وجرح كل منهم ما ننسه وشرب الا آخر من دمه كمينالاخوة
على زعمهما وانكسرها كان يرى من سوء سيرتهم وطيش عقولهم يعلم أنهم مخذولون وأن أمرهم لا يتم فكان
يراعى الاهالي ويواسي العلماء ويتواضع لهم ويتأدب مع وجوه الناس ويعاونهم بما في وسعه فقالوا اليه وأجبه
ثم ان الامراء اتفقوا فيما بينهم على اضممار العداوة للاقاي الكبير لما رأوا من فوقانه عليهم فخافوا على أنفسهم
منه فسد البرديسي لما كبر رشيد أن يقتله فاستشعر الاقاي فاحتال حتى قرب من مصر واستطلع حقيقة الخبر
فذهبت عنه دمه توجه الى الجهات القبلية وكذا الاقاي الصغير فانه لما بلغه ما يراى بقرية لم يسعه الا اللجأ به فنهب
الامراء بيوتهم ما وبيوت أتباعهم ما وحواشيهم ما ولما رأى الامراء كثرة حربه بالجهة القبلية خافوا فاتفقوا ثم شره
فجردوا الحربه تجريدة وجعلوا بعض مصر وفها على التجار وفرضوا الباقي على الاملاك فجعلوا نصف ما فرض
على كل منزل على المالك والنصف الاخر على المستأجر ووزعوا على القرى الغرامات الباهظة فكان هولاء هائلا

في جميع أنحاء القطر المصري حتى قامت النساء يندبن وصنغن وجوههن وأيديهن بالنيلة وشكوا الناس الى محمد علي لما كانوا يرون منه من الميل اليهم فماتواهم بالبشر ووعدهم عساكرهم وكثرت بينهم قبايح البرديسي حتى قام عليه العسكر والزعر فساو سعة الانحروج الى قبلي ونهب بيته وبيت ابراهيم بيك بالدارودية وحصل بين العسكر ومالك المذكور قتال شديد وطلع محمد علي الى القاعة وأقامها ووجه المدافع الى الدارودية فحرب أكثر منازلها وانتهت هذه الحادثة بخروج الامراء الى قبلي ونهب بيوتهم وسبي نسايتهم وأولادهم ثم حضر أحمد باشا سنة تسع عشرة ومائتين وألف واليساعلى مصر وكان الغلاء قد بلغ منتهاه حتى وصل ثمن الارنب من القمح خمسة عشر ربالا فرانس والاضطراب مستمر والعسكر قائم والامراء القباالى يعينون فى البلاد واحتاطوا بالقاهرة وخربوا ضواحيها كبولاق والشيخ قرو العبدوى والويلية فخرج اليهم محمد علي وهم بمجبهة طرافيكبهم وهم غافلون وأوسع فيهم القتل فانهم زموا ونشتتوا فى الجهات وحصل بينهم وبين العسكر التفرقة وقعت بمجبهة شبرى وأبي زعل والخانقاه أعقبت خراب تلك الجهات ولم تزل العسكر مع ذلك تقوم لطاب الجوامك ويحصل منهم مالا خيرفيه والوالى كل مرة يضرب على الاهالى مبالغ يحصلها بأنواع الظلم ثم ان محمد علي بيناهم تجهيز للخروج بعسكره اثر الامراء القباالى اذ حضر فرقة من عساكر الدلا من جهة الشام فأراد محمد علي أن يكونوا معه فامتنع الوالى من ذلك وحصل بينهم ما كلام فأمره الوالى بالخروج من البلد فامتنع وهاجت الارنود وخاف كل فريق من الآخر وبيناهم على ذلك اذ ورد فرمان بتولية محمد علي على جدة فأظهر الاستئصال وأخذ فى الاستعداد فاضرب العسكر والاهالى اعدم رضاهم بفارقتهم البلاد وفى أثناء ذلك طلب منه العسكر مر تباتهم فأحالهم على الوالى ولم يكن يدهشئ فأغلظوا له فى القول واسوء تدبيره قال لهم عليكم بنهب القليوية فتفرقوا فى بلاد شاونهم وبوهاوسهم والنساء وباعوا الاولاد فأوغرت صدور الاهالى وحصل فى قلوبهم بغض الوالى والميل الى محمد علي لما يرون منه من الحزم والمساعدة فكان عاقبة ذلك ان كتبوا للدولة بانهم رضوه واليا فأجابتهم الدولة لذلك وصدر له الامر بولاية مصر فى شهر رجب سنة ألف ومائتين وعشرين وانقرضت به دولة الغزو وحصل منه معهم ما سبى علىك الى أن انقضى نحبهم والله يؤتى ملكه من يشاء

(حال القاهرة فى مدة الخديوى الاعظم محمد علي)

لما صدر الامر له بولاية مصر فى صفر سنة عشرين ومائتين وألف طبقه المرغوب أعيانها وسلسلة الفتن محكمة حلقةها وعقد الحوادث صعب حلها والاضطراب عام فى جميع الأنحاء والعقول غاب عليها حب الاهواء والعرب تعزبد فى النواحي والمناسير تقطع الطرق وتنهب الضواحي والعسكر تجاب على الاهل كل داهية والامراء المصرية تعيث فى البلاد وتخرب القاصية والدانية واذا أرسل اقاتلهم عسكر زادوا عنهم اضعافا فى الفساد مع ما بين فرقهم من العداوة والعناد فالارنود تخالف الانكشارية وتقاتلها والدلا تعادى كل فرقة ونصاوا لها والكل معاد لاهالى عاصى للوالى أخذ الباشا بالحد والحزم وتصدى لى تلك المشكلات المعضلة والفتن المتطاولة فشرع فى استمالة قلوب المشايخ أصحاب الحكمة كالسيد عمر مكرم والشيخ الشرفاوى والدواخلى حتى صار وادعه فجعل يحل عقد المشاكل بهم ويستعين برأيهم على مهمات النوازل ولم يزل يعانى الامور به قتل ثابت وسياسة تامة حتى تفرد بالامر كما سبى علىك ولما صدر الامر بالبعوه لاجد باشا الوالى فلم ياتفت اليه بل تحصن بالقلعة فتقام اليه الخديوى محمد علي وحاصره بها وحفظ أبوابها ساكرا لارنود فلم يكن غيرا قايلا حتى جاهره بالعصيان لعدم صرف جوامكهم وتفرقوا عنه وانتشروا فى القاهرة ينهبون ويسلبون فاتخذ الباشا مع المشايخ ورتب من الاهالى بدلهم بالسلاح والمساق والنبات وفى أثناء ذلك حضر قايوى من الدولة وبعه أوامر لاجد باشا بعزله فلم يتقبل مرسومها واستقر على عناده وبعد قليل حضر قبطان باشا أوامر تعاضد مسبق فلم يصغ لها فظنا ان ذلك كله شيك حيل تنصب له وراسل الامراء القباالى وطلبهم لمساعدته فوقع بعض المكاتبات فى يد الخديوى محمد علي فأخذ حذرهم فبعد قليل حضروا الى الجيزة وعدى بعضهم الى البر الشرقى واحتاطوا بالبلد ودخلها الكثير منهم من باب الفتوح والحسينية وتوجه بعض كبارهم الى السيد عمر مكرم والشيخ الشرفاوى وغيرهما يدعونهم الى تجديدهم والقيام بنصرتهم فلم يقبلوا منهم فخرجوا خائبين

وكان الجناح الخديوي سديقه خبرهم أنهم أرسل جنود الضبطهم فأدركوا بعضهم قد خرج من البلد فأوتوا عن أدركه منهم بالسكينة والدرب الآخر وهرب بعضهم إلى جامع البرقوقية فاختفى به وبعضهم تسلق فوق السور من خلف الجامع فنجوا من اختفى بالمسجد دل عليه وكانوا نحو من خمسين رجلا فلما أحضرهم بالآلية إلى داره وكان يريد الركب فرح بالظفر وأمر لمن أحضرهم بالعطايا وأحضر الجزارين وأمر بقتلهم وشاع ذكر هذه الواقعة في سائر الأطراف فهابه الأعداء وكان يظن أن هذه الحادثة تفسد عليه مآثره فكانت على خلاف ما ظن إذا دخلت على أعدائه الرعب فخرج أحمد باشا وخرج عسكر الدلالة العصاة على وجوههم وانتشروا بالجهات البحرية ينهبون ويسلبون فوجسه خلقة هم حسن باشا الأرثوذي ومحمد بك المبدول وعمر بك الأشقر بمساكرهم فأجلوهم من البلاد واحتماطوا على جميع ما سلبوه وذهب أولئك إلى الشام مدحورين وأما الأهالي فأنهم في هذه المدة كانوا متعلمين على جرات الملايا غارقين في بحار الشدائد فالارنؤد تهب البيوت وتخطف ما يرد من البضائع ويبيعونه بأعلى الأثمان حتى انعدم اللحم والسمن بعد شدة غلائهم ما وتعرض لنساء الأمراء الغنيات بقصد تزوجهن والعسكر تقوم بسبب الجواهر فلا يجد بدا من توزيعها على الطوائف والتجار ثم توجه فذكره إلى الالتزامات فتكلم مع العلماء في ذلك فاتفق الرأي على أخذ ثلث الفائض منها وكل ما يتحصل بصرف في شؤون التجار يد وطلبات العسكر وليس بالكافي مع ما ضرب على النواحي وطلب من المديريات أموال سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف مقدما وتعين الكشاف للتصنيف فكان الكشاف يعين من طرفه المأمورين ومعهم قوائم بالمطوب من كل بلد مع ما يتبع ذلك كقوائم البشارات وأوراق تقييل اليد وحق الطريق ولبس القفطان مع طلب العرب العلائق والكاف * وفي محرم سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف حصل بين القبالي والعسكر مقتلة هائلة قتل فيها كثير من الفريقين وانهم زعم العسكر ووصل الأمراء إلى انبابة صحبة شاهين بك الألفي ثم تحول بهم إلى دمنهور ومنها عدى إلى المنوفية فتخربت تلك الجهات ونشتت أهلها وكان الحرب منتشرا بالجهات القبلية وانهم زعمت العساكر أيضا بالمنية وكان الجناح الخديوي مع ورود هذه الأخبار لا يتزعزع عن عزيمته ولا يترك تلافى الشدائد بالحزم ويوجه ما أمكنه من العساكر ولا يصرف النظر عن استمالة الأهالي بل لم يزل ساعيا في مراضيتهم لا يصدر إلا عن رأي المشايخ فجعلوا يبذلون الجهد في مساعدته حتى بلغ ما أراد فانه لما حضر الأمر برفقة قبطان باشا في هذه السنة بعزله عن مصر وتولية سلايك وجعل موسى باشا واليا بدله كتب العلماء والوجوه وأمرهم العسكر محضرا إلى الدولة وأرسله صحبة إبراهيم بك نجدة الأكبر يترجون أن يبقى واليا لما وأمن حسن إدارته فبعد قليل حضر الأمر ببقائه وتعيين ابنه إبراهيم بك دفتر دارا وكان الذي حسن للدولة عزله عن مصر هي الدولة الانكليزية ليقهدها الأمر الألفي ويتسنى لهم مساعدته وكان الألفي قد سافر إلى بلاد الانكليز مصاحبا لهم حين خرجوا من مصر واتفق معهم على أن يساعده فلذلك حسنوا للدولة ما حسبوا وأرسلوا إلى الألفي بحوش عيسى فكاتب الأمراء القبالي يخبرهم بما تم لهم من العقوبة بمساعدة الانكليز لهم وحضور الوالي الجديد ويحثهم على الاتحاد واعتناء الفرصة ويعلمهم أن قبطان باشا ساعدهم أيضا على بعض مطالب عينها وان يحضروا حتى يتروى معهم فيما يلزم اتباعه فتشبتوا في رأيهم وامتنعوا من اجابته وأبوا الحضور وكذا كاتب قبطان باشا الانكليز والامراء فوقعت بعض مكاتباته في يد الباشا فوقف منها على ما يرام فراسل قبطان باشا واستماله فرأى أن الميسل إلى الباشا أوفق مع تباطئ الأمراء عن اجابته فأخذ يدبر بنفسه لمحمد علي باشا التدابير وأمر بمعاملة المحضر السابق وتصاله معه على مبلغ يدفعه للدولة فخطب الباشا العلماء فبادروا إلى ما أمر وتم له ما تم ولما حضر الأمر بر جوعه واليانمض إلى تجريد التجار يدوا أخذ في حرب الأمراء بجهة قبلي والألفي بجهة بحري لانه كان حاضرا دمنهور والأهالي تمانعه عنهم وكان الباشا يخشاه لجسارته واقدامه ودهائه وذكائه ويذل الهمة في استمالته إلى أن اخترمته المنية عقب هذه الحادثة بغتة بجهة المحرقة ففرح الباشا بموته وأعقب ذلك موت عثمان بك البرديسي فتكامل السرور وقال الباشا في محفل من أجبائه لشدة فرحه الآن ملك مصر وكان كما قال فانه بعد موتهم ما انحلت عرا اتحاد الأمراء المصريين وتشعبت آراؤهم وجعل كل واحد منهم يرى نفسه أنه أحق بالأمر فرأى الباشا أن اطفا نيران فتهم بجعله متفرغا للنظر في مصالح القطر وعلم تشعب كلمتهم فراسل البعض فحضر اليه فأعقد عليهم وزوجهم فأنجاز إليه الكثير وتمزق حزب القبالي ومن بقي لم يزل

مصر على العناد فطلب صلحهم لانه الاقرب الى السلام لتدبير القطر وتنظيم احواله وترتيب احكامه واحفظ
من تطرق الخلال اليه لان البلاد الاور وباوية حينئذ كانت مضطربة والحرب بمقائسة ونايليون بانوارت يحوس
بجيوشه خلاها ويدمرهم جماته مما لكها فقتل على النمسا والموسكو وكذا دولة الروس أعلنت الحرب مع الدولة
العالية لانضمامها مع فرنسا وصدرت الاوامر من الدولة لمحجدي باشا بالاحتياط وحفظ الثغور خوفا من أن تدهمه
دولة الانكليز على غزة فان مراكمهم أخذت تجول في البحر الايض ولا يعلم ماذا قصد ولما أبطأ عليه خبر الصلح قام
الى الجهات القبلية ووعدهم بما يرضيهم فتشاوروا بينهم فبعضهم لم يقبل كبراهيم بيك الكبير وقال أنا لا آمن غدره
وبعضهم مال الى الصلح فلم يرل مجتهدا في استمالهم حتى تم الصلح فترك القتال وكانوا يحضرون الى القاهرة وحضر جاهين
بيك وأقام بالجيزة وعمل لقدومه شسكا ولبلة حافلة وأعطاه الباشا اقليم الفيوم وثلاثين بلدا من اقليم اليمن وسوا عشرة
من الجيزة وأعطاه كسوفية هذه الاقاليم مع كسوفية البحيرة وثغر الاسكندرية واهتم بشانه زيادة عن غيره
وزوجه من جواريه ثم حضر بعده نعمان بيك فاكرمه أيضا وزوجه من جواريه وأعطاه بيت المهدي بدرب الدليل
وهكذا كل من حضر كعمر بيك ثم بعد ذلك حضر ابراهيم بيك الكبير فولد ماجرا وفي أثناء ذلك في محرم سنة اثنتين
وعشرين ومائتين وألف ورد الخبر اليه بوصول الدونمة الانكليزية وأخذها ثغري الاسكندرية ورشيد وان الانكليز
راسلوا القبلى لينضموا اليهم وأفهموهم أنهم ما حضروا الانصرتهم فاخذ في الاستعداد وبنى الاستحكام الذي كان
بانمابة وساعد على ذلك قنصل دولة فرنسا الما بين دولته ودولة الانكليز من العداوة اذ ذلك وأرسل بانو يارتو
الخازن داروحد بن باشا الارنودى واسم عيل كاشف التحصيل المال من البلاد ووزع مصروفات ما يصنع بالقاهرة
من طواحي وخنادق على أهله وأهله بجمع العساكر والنظر فيما يلزمهم فبينما هو كذلك اذ حضر البشير بهروب
الانكليز من رشيد وقتل الكثير منهم وان العسكر قد أسر منهم خلقا كثيرا ففرح الباشا والناس ودقت الطبول
وزينت البلدو بعد قليل حضر الاسارى فادخلوهم البلد وكان لدخولهم يوم مشهودوا من الباشا بعاملتهم
بالحسن ورتب لهم ما يكفيهم ثم توجه الى الرحانية ثم قصد دمنهور وكاتبه الانكليز في الصلح فلم يمنع فقاموا وتركوا
المدينة وكانوا قد قطعو اجسر أبي قير لقطع المواصلات بين ثغر الاسكندرية وداخل القطر فم المائت أغلب بلاد البحيرة
وأخرب بلادها وأتلف أرضها وكرومها وأعد دمنهور من الفخا من مائة وأربعين بلدا بقيت الى الآن وهى ماتراه حول
اتسكو وبحيرة الممدية الى المحمودية وما جاور بحيرة مريوط ممتدا الى القرب من دمنهور ولما انقضى أمر الانكليز التفت
الباشا الى إعادة ما اختل من نظام أمر العسكر فأنهم كانوا اقياما على قدم العصيان بخصوص منع جوامكهم واحتاطوا
بيته بالازبكية ورأى منهم عين الغدر فركب ليلا الى القلعة وتحصن بها وبقيت المدينة مضطربة أياما وجعل يرسل
أمرهم ويواسيهم ووزع ضريبة على قبيته ورجله وأرباب التجارة والصناعة وصرفها في بعض الجوامك وتحقيق
لديه ان الباث لروح الفتن في العسكر هور جب اغافأراد نفيه فتعصب له جماعة من العسكر وعلموا متاريس بقنطرة
باب الخرق فأرسل الباشا اليه حسن اغاسر جيشه فعمل متاريسه جهة المدايح وزحف الفريقان وخرقوا جدران
البيوت لينوصل كل فريق الى الآخر وليتمكن كل من عدوه وسعى في هدم ما يابو به فتخرب لذلك غالب بيوت تلك الخطة
وحصل لاهلها من الشقاء ما لا يوصف وتعدى الشقاء لباقي أهل البلد وغلقت الحوانيت وتعطلت الارزاق فلما طال
الحال ورأى الباشا ان هذه الفتنة ان دامت دمرت ما دبره وربما أفسدت ما لا يمكن اصلاحه وجهه صالح خوجه وعمر
بيك الكبير وجعل اليهما أمر الاصلاح فبعد محاورات تم الأمر على ان يعطوا الرجب أنعاما غامعا عنه وأن يخرج الى
بلادهم فكان وخرج الى بلاده من طريق دمياط ثم طرد جميع العسكر الدلاوة وألبس فرقة من الاتراك الطراطين بدلهم
ورأس عليهم من أقاربهم مصطفى بيك وكذا وجه عسكر الحاربة أولاد على من عرب البحيرة لما حصل منهم من كثرة
الفتك بالاهالى فاوقعوا بهم وقهرهم على الطاعة ثم وجههم الى قع ياسين بيك وحزبه فانه كان قد خرج من مصر
واجتمع عليه جماعة من الاوباش فسافروا بهم الى قبلى وانضم اليه بعض المفسدين من الامراء والعرب وكثر التهب
والسلب والاخرق فأرسل اليه الباشا جعالتى معه بالمنية وانتشب القتال بين الجمعين وبعد قتال شديد انهزم ياسين
بيك وتفرق جمعه وفارقه أكثر أصحابه ثم راسلوا في الصلح على أن يحضر الى القاهرة فاجاب وحضر ولما كان طبعه عيل

الى انارة الفتن والبالا شايدها استقر الامر على ثقي ياسين بيك قطع الاسباب الشرف فسفروا الى قبرس وهذا القطر
بجروجه ووجود القبالي بمصر بعض الهدى ولكن الباشا لم يزل متفكرا في امر الامراء لما يراه من ثقل بساتهم وعدم
رضاهم بما يصل اليهم من هباته ومربياتهم واطهار كل منهم انه الاحق بالاكثر من السواه وطلبه الزيادة على ما اعطاه
وجريانهم مع قبيح تصورهم وطموحهم في ميدان تهوؤهم ولما كان مضطرا الى مواساتهم الى أن يتخاص متى سئحت
الفرصة من شرهم كان لا يمنعهم مطلوبوا ولا يكف عنهم مكروها له ولا محبوبا فاحتاج لذلك الى المال فوجه فحله
ابراهيم بيك الى جهة بحري مع كشاف وكتاب ووزع على كل فدان يروي بالنيل أربعة مائة وخمسين فضة وبعد قليل
سافر بنفسه وقرر على قرار يربط البلد كل قيراط سبعة آلاف وسبعمائة نصف فضة وسميت هذه كافة الذخيرة وبطل
مسموح مشايخ البلاد ولما دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف شرع في بناء سراى بجهة شبرى على النيل في
متسع من الارض يمتد الى بركة الحاج وغرس بها البساتين والشجار وأمر ببناء العيون وكانت متخربة منذ عشرين
سنة مهجورا استعملها فشد في عمارتها وحشرت لها الصنائع وجلبت اليها المهمات حتى تمت وفي سنة أربع
وعشرين ومائتين وألف احتاج الى أموال يصرف منها مرتبات العسكر لازاحة عنهم وقطع أسباب فتنتهم فطلب من
القبالي ثلث المطلوب من الغلال وقدره مائة ألف اردب وسبعة آلاف اردب وطلب على الاطيان زيادة عن عام الشراق
الثلث ومن الملتزمين نصف مال الالتزام وجعل المال على الرزق وأطيان الأوسية وحدثت النفقة على المنسوجات
من الاقشنة والحصر والمصوغات من الاواني والحلى وأمر الروزناجى بتحرير قوائم البلاد فقال ان أكثر البلاد
خرب فامر به بفرز الحرب من العامر فخر القوائم وجعل في ضمن الحرب بلدة عامرة كانت له ولا حبابه فلما عرضها
على الباشا فرقها على الامراء بحسب درجاتهم وأخرج لهم بها التقاسيط وكان عدتها مائة وستين بلدا وتسنى له بذلك
أن يدفع الى العسكر مرتبهم ويطفى لهب فتنتهم ولكنه مع ذلك كان ساعيا في ابعادهم ليكنى الاهالى شرهم لانه مامن
يوم ير الا ويحصل فيه قتل وسلب في الحارات والضواحي ولا يستطيع أحد أن يخرج من بيته ولا الى أقرب منزل له
بعد العشاء ولا يمكن لانسان ان يذهب وحده أو مع جمع قليل الى شبرى أو بولاق وقبل ان يخرج يسأل عن أمن
الطريق فكان الباشا يبعد العسكر عن البلد ما أمكنه فيرسلهم خلف العرب والحمار بقايا الامراء بالجهات القبالية
ويتربص الفرص لراحتهم ثم لما رأى ان بعض المشايخ بما لا يلائم الحال خصوصاً السيد عمر مكرم لمعارضته
له في جميع مشروعاته وتهيج الافكار عليه شكك منه الى المشايخ فهو تواله أمره وصاروا يعدون له معاييب وهنات
حتى نفروا الناس عن السيد عمر مكرم وتباعده عنه أصحابه وفي خلال تلك الاحوال طلبت الدولة مبلغ أربعة آلاف
كيس كانت باقية مما خصه قبطان باشا فعد لذلك مجلس كتب فيه محضرو كرفيه خاوا الخزينة من الاموال مع كثرة
النفقات على الاعمال النافعة كسد ترعة الشرعونية وبناء العيون وترميم بعض القناطر وغير ذلك وختم عليه المشايخ
ولم يحضر السيد عمر مكرم كراهة فيما فعل فاغتاط الباشا وطلبه الى الحضور فلم يجب وترددت الرسل بينهم فقال السيد
عمر ان كان ولا بد من الحضور ففي بيت السادات فزاد غيظ الباشا ونزل بيت ولده ابراهيم بيك وأرسل خلف المشايخ
والامراء فحضر واعنده وأحضر القاضي وأمر ان يرسل الى السيد عمر مكرم فارسل اليه القاضي رسولا ليتذاكر
معه فامتنع واعتلا بالمرض فقرر المجلس رفعه من نقابة الاشراف ونفيه الى دمياط ونزع ما به من النظارات وتولية
السادات وظيفة النقابة فألبس الفرو في المجلس ولما وصل الامر الى السيد عمر أقام السيد المحروقي وكيل اعلى اولاده
وسافر الى دمياط فتجاروا على أخذ ما كان بيده وأكثروا التودد والرجاء فطلب الشيخ المهدي من الباشا أن يعطيه
نظارة وقف الامام الشافعي رضى الله عنه وسنان باشا فاعطاها اياه ثم طلب صرف ما هو متأخر لهما فصرف له وهو مبلغ
قدره ثلاثة وعشرون كيساً ثم غفوا محضرا ذكروا فيه أسباب عزله ونفيه وختم عليه المشايخ سوى مدنى الحنفية
الشيخ الطحطاوى فنشروا منه وابتنى على ذلك انفصاله من منصب الافتاء وتعيين الشيخ منصور بدله ثم رأى الامراء
انهم ان داموا على حالهم بمصر ضعفت ساططهم فانفقوا على الخروج من مصر فخرجوا الى قبلى واتحدوا مع جاهين بيك
وغیره وجعلوا يغرون العرب والمفسدين حتى كبر حزبهم وخافهم الباشا فقام بنفسه وأخذ عساكره وخرج اليهم
في شعبان من تلك السنة وجعل نائبه في البلد ككتخداية وهو محمد بيك لازوعلى فلما قرب منهم راسلهم في الصلح وكان

الكثير خرج على غير خاطره لما ذاق من حلاوة الراحة ورفاهية المعيشة فمجن ع غصص الكرب في ميدان الحرب فاصدق ان سمع بأمر الصلح فطار فؤاده فرحا وانضم الى الباشا فأغدى عليهم وأظهر لهم البشاشة واللين وتدرع الصبر على مضض ما يقاسيه منهم لانه كان على يقين من أنهم ماداموا في مصر لا يصفو عيش ولا يستريح بال لكنه كان يتربس سنوح الفرصة فيستريح وأول من جاءه منهم محمد بك المنفوخ فأعطاه جرك بولاق ثم عوضه عنه ستين كيسا ثم تلاه جاهين بك ونعمان بك وأمين بك ويحيى بك فأنعم على كل منهم بعشرين كيسا وشرعوا في شراء بيوت وبناءها لهم الباشا على مصروفه وألحق تلك العطايا بسبعة آلاف ريال لكل منهم فاطمأنوا خواطرهم واشتغلوا بتنعماتهم والباشا يلين لهم جانبه ويتلطف بهم حتى خضعوا له ولم يبق مخالفا لهم الا ابراهيم بك الكبير فانه لما حضر وقت الصلح الى الجيزة ولم تضرب المدافع لقدومه تغير خاطره ونقر طبعه ونقض الصلح ورجع الى قلى مع جماعة ممن كان على رأيه وانضم اليهم بعض قبائل العرب ولكن لم يجد نفعا فانهم فروا عنه عند مارأوا عسكر الباشا تقفوا اثرهم وقد ملكت المنية وأيضا فان غالب رؤساء العصبية انضم الى الباشا ولم يزل صالح قوجه مصعدا خلف ابراهيم بك وجاعته الى ان أجلاهم عن الاقليم فدخلوا بلاد النوبة وأقاموا بها وفي خلال ذلك كانت الفتنة قائمة في الاقطار الحجازية بسبب ما فعله الوهاى بتلك الجهة لانه عاث فيها كالذئب في الغنم وقتل وسلب وسبي ونهب وهتك حرمة الحرمين الشريفين ونال أهل البلدين من ضرره ما لا مزيد عليه حتى هاجر كثير منهم الى مصر والشام وماجاورهما من البلاد وتعتل الحج وخيف الطريق فكتب أهل الحجاز يستغيثون بالدولة فكتبت للحمد على بارسال العسكر لاختاد تلك الفتنة وحشه على السرعة فأخذ يجهز العسكر واتخذ صناعة في بولاق لعمل المراكب وأمر بقطع الاشجار بالغلة في أنحاء القطر وجلب اليها ففصلت منها عدة مراكب وأرسلت على الجمال الى السويس فتركبت هنالك ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين وألف فتوجه الباشا بنفسه الى السويس وأمر بضبط ما بها من المراكب وكذا ما بغيرها من سواحل البحر الاحمر وعاد الى مصر وأخذ في تشييل الجسرة وقلم دوله طوسون سر عسكرها فخرج الجيش وعسكر بقرية العزب وكان نحو ألفي مقاتل وحدث على احضار اللوازم فوقع ذلك لدى الدولة العلية موقع الاستحسان ورأى السلطان ان فعله ذلك من أجل الخدم الدينية وأرفع التقارير الى الدولة العلية فاصدر أمره الى خورشيد باشا ومن معه بالرجوع الى الاستانة فكان كتنقير جديدي من الحضرة السلطانية للباشا بتولية الديار المصرية فأهدى ذلك الامر السرور والقلب فرانسا وموافقة دولة الانكليز وأبلغت دولة فرانسا الباشا على يدقنص لها أنهم امنون بمكارتة من اقتداره على نشر اعلام التمدن في البلاد الشرقية وكان الباشا قد غنى اليه ان جماعة من المماليك تواطوا على الفتنة به في عودته من السويس فقام على غير ميعاد وتسربل ظلام الليل حتى دخل مصر من ليلته ورأى انه لا يأمن من فتنة المماليك خصوصا اذا خلت البلاد من العسكر فدبر في قطع دابرهم فابدى اهتمامه بأمر يوسف باشا الذي كان واليا على الشام وعزله عنها وأجد باشا الجزار فحضر مستعينا بالباشا فسكره الباشا الاختياره ووعدته المساعدة وان يكون أعز انصاره فأمر بتجهيز تجريدة لنصرة المذكور وعين جاهين بك الانقري رئيسا لها ثم حضر التججين وطالب منهم تعيين ساعة يكون الطالع فيها سعيدا حتى يلبس ابنه طوسون السيف والخلمة اللذين حضر ابراهيم من طرف السلطنة السنية حين تعين رئيسا للجيش المسافر للعجاز فاختروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة الخامس من صفر سنة ست وعشرين ومائتين وألف فلما كان يوم الخميس الرابع منه طاف الجاويش في الاسواق يعلنون بالموكب على حسب عوائد تلك الايام وطافوا بيوت الامراء وكبار العسكر وزعماء المماليك على طبقاتهم بنشورات الحضور الى القلعة متجهين ليسيروا في الموكب في اليوم المقرر فأخذ كل في الاستعداد وفي الوقت المعين وافوا القلعة ولم يتأخر منهم انسان وكان الباشا قد رفق نفسه الفتنة بالامراء ومحو آثارهم فدبر تلك الحيلة لاجتماعهم كي يستريح من شرهم ولم يظهر ذلك لاحد حتى كانت ليلة الجمعة فأسر ما صدم عليه الى حسن باشا الارنؤدي وصالح قوجه وكتخذ ابيك فاستصوبوا مارا وبات كل واحد يدبر أمره فلما كان صباح الجمعة أسروا ذلك الى ابراهيم أغا أعاد الباب وانفقوا معه على ما يكون اجر اؤه كي لا يحبط عملهم فيتم وافيا لا يقدرون على الخلاص منه فرتبوا على حافتي المضييق الذي بين باب العزب والباب الاعلى ما يلزم من اتباعهم فلما انتظم الموكب تقدم عسكر الدلاة ثم واهم والى والمحتسب ثم الاغا والوجاقية والالدشات ومن تزايد بهم

ثم الامراء المصريين ثم عسكر الرجالة والخيالة ثم أصحاب المناصب فلما سار الموكب وجازت الالاشات من باب العزب وانحصر الامراء بين باب العزب والباب الاعلى في المضيق امر صالح قوجه بغلق الباب الاسفل وعرف طائفة من جماعته بالمراد فارسا لوارصاص بنادقهم على الامراء وكذا أطلق عليهم من بجافى الطريق فدهشوا وأرادوا الهرب فلم يتمكنوا الغلق الابواب والرجوع فلم يقدر والضيق المسكان وصعوبة المرنق فسلموا أنفسهم للقضاء وبقوا متخيرين الى أن مات أغلبهم - ثم في المضيق كجاهين بيك وسامين بيك البواب وبعضهم تجرد من ثقله ورجع فخذوا في الساحة الوسطى أدركه بها حاميهم ونزل بعض العساكر فاحتز رأس جاهين بيك وغيره وأتى بها الى الباشا فأعطى عليها البقاشيش ثم داروا على من اختفى بجهات القلعة فن عثروا عليه قتلوه وكذا قتلوا من كان جالسا مع كتخدائيك كيجي بيك الالفى وعلى كاشف الكبير واجد بيك الكلا رجي واسعة القتل من ضحوة النهار الى العشاء ولما حصل لمن كان بالقلعة من الامراء ما حصل تتبع العسكر من كان منهم بالقاهرة والارياض فقتلواهم الامن فرالى السودان أو استترحت حتى مات ونهبت دورهم وامتلكت الارنود أموالهم وفي يومها أرسل محزم بيك الى طاهر باشا وكان حاكم الجزيرة لجمع مال المقتولين من كافة الجهات فجمعت وكانت شيئا يفوق الحصر من خيل وحمير وجمال وبغال وأبقار وغير ذلك من الغلال ونودي بالامان للنساء المقتولين وان يرجعن الى بيوتهن وكن قد تشنتن وأنعم الباشا ببيوت الامراء بما فيها على خواصه فسكنوها وجددوا فرشها مما سبوه والبسوا النساء الخواتم مما سبوه ولما رأى العسكر قد كثرت من النهب وتعدوا على بيوت الاهالى نزل وطاف بالبلد وأمسك بعض المتعدين وأمر بقتله وكذا أمر ابنه طوسون ان يطوف بجمارات القاهرة وان يقتل كل من وجدته على هذا الحال ففعل ولولا ذلك لنهبت البلدة عن آخرها وانتهت هذه الحادثة على وفق مراده وأطلق تصرفه بعد التقييد ثم ان الباشا بعد ما أخلى الديار من انفسهم أخذ في النظر الى حال البلد وما يلزم من الترتيبات والتنظيمات وشرع في تخليص القطر من الاحوال التي ورطه فيها سوء من تقدم من الحكام اذ الباشا وان كان متوليا عليه لكن لم يكن قادرا على تعديلاته لما كان حاصله من معاساتهم مع انه كان غير غافل عن النظر في كل حادثة معمول فكره في حل كل مشكلة الى ان أطلق تصرفه وزال معاكسوه فشرع في الاصلاح على نهج مستقيم وقوانين معتدلة وجلب لقطره تجارات السعادة وفعل ما أحيا ذكره وأوجب شكره وأسس بيت محجده وجذب بزمام العدل رواحل سعده فرأى ان النظر للدولة العلمية أول واجب لتتيم مراده لانها كانت تودعزله عن مصر فنظر اليها بعين الاعتبار وسعى في تنفيذ اغراضها وبادر الى امتثال مرسوماتها فوجه العسكر الى الجاز صهبة ابنه كما اشارت وجعل بصحبته بعض العلماء كالشيخ المهدي وكاف السيد المحروقي بتجهيز طلبات العسكر ونزل فرقة منهم بالمراب لسرعة الذهاب فسبقوا العساكر البرية فوصلوا الى ينبع البحر وتلاقى هناك بجيش الوهاية فلم يكن الا قليل وانهمز العرب شرهزية واستحوذت العساكر المصرية على متاعهم ودخلوا البلد واستولوا عليه ما ورد البشير بذلك الى القاهرة فزينت وأرسل الباشا بخبر النصر الى الدولة العلية فدب السرور في انحاءها وعملت الزينة هناك وأقامت العساكر بينبع حتى أدركتها عساكر البر فصارا جميعا الى الصفراء والجديدة وكان العرب قد تجتمعوا هناك فحصل بين الجيشين مقتلة عظيمة انفصلت بانهمزام العساكر المذكورة فرجعوا الى بلوى بعضهم على بعض الى أن وصلوا الى البحر ومنهم من أخذ على وجهه على طريق القصير راجعا الى مصر مشل صالح قوجه وغيره فسبقهم الخبر من طوسون باشا بعدم ثباتهم وانه تفرق كلمتهم وعدم امتثالهم فخنق الباشا وأضر بهم السوء حين ما وصلوا الى القاهرة أرسل لهم بالخروج من بلاده ولم يقابلهم فتحولوا برجالهم الى بولاق مظهرين الامتثال ومتربصين بحضور عساكر قنا فأنهم عند عودتهم حين ما مروا بها اتحدوا مع أحمد دأغا لاطحا كما على حضوره اليهم بعساكره ان رأوا من الباشا عين الغدر فلما أمروا بالخروج اباعوه الخبر فإرسال أمين اسراره الى الباشا يعلمه انه يرغب في مفارقة مصر مثل اخوانه فتبين للباشا ما ربه فإطله وأرسل بطبيب خاطره وأضره ما أضره وأخذ في تشهيل الآخرين وصرف اياهم جميعا مطلوباتهم وأتمان بيوتهم حتى ما صرفه صالح قوجه على الجامع الذي بناه قرب بيته به بولاق على ساحل البحر فقاموا وتوجهوا ثم عين الباشا ولده ابراهيم والبا على الصعيد وطلب أحمد دأغا لاط الى الحضور فحضر فذوقعت عين الباشا عليه قتله واستحوذ على أملاكه ودوره وخلص القطر من شروره وكذا همم الرجال في التخلص من أحوال

الاحوال ثم أخذ في تدبير أمر الحجاز واتخاذ الطرق الموصلة لتتوجه فيه العساكر وعين لها الكشاف وأرسلها
 صحبة بانو بركت الحجاز في أسرع وقت ونفى اليه ان يساعد للوهابية هو شيخ قبيلة حرب وأنه اذا انفصل بعريه عنهم ثم
 للباشا ما يريد فليس اليه من يحسن له الا انضمام الى عسكر الباشا وأصبح أمير الجردة النقود الوافرة والهدايا وأخبره
 بالاعداق عليهم فأخذ الامير يرسلهم وأعطى شيخ القبيلة مائتي ألف ريال فرنساوى وأعطى كل رئيس ما يناسبه من
 النقود وكل نفس خمس ريات وغرامة عدس ومثلهما بقسمها طر زيادة عما أعطى المشايخ من الكشامير وما خصصهم
 به من المرتبات فتحالفوا على نصرته وبهذا تسنى له الاستيلاء على المدينة ومكة وجدة بلا كثير مشقة وورد البشير بذلك
 ومعه مفاتيح المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فدخلت الطبول وزينت البلد ووجه الباشا لطيف بك
 بالمنافحة الى القسطنطينية فكان يوم مقبلة اليها عيداً وعمل موكب حافل مشى فيه العلماء والامراء من أرباب
 الدولة وغمر بالانعامات وشاع بذلك ذكر الباشا في الآفاق وانتشر صيته في جميع الانحاء وهابه القريب والبعيد
 ووقع في نفس الدولة من علوه أشياء فقليل انها أسرت الى لطيف بك أمر او منته الاماني فلما رجع الى مصر وجد الباشا
 قد بارحها الى الاقطار الحجازية وخلفه محوياً بك بجماعة وكذا الدالى حسين فاعتنقها فرصة على زعمه وجعل يغري
 المماليك ومن بقي من شيعتهم فشهريه الكتخدافا احتال حتى أوقع به ومن معه وأطفأ هذه الثائرة بموتهم وأما سبب
 سفر الباشا الى الحجاز فانه لما تمت له الغلبة على تلك الجهة أخذ في تسوية أمورها فأرأى انه لا يتسنى له ذلك الا بعزل
 الشريف غالب وعزل المذكور محفوف بصعوبات لا يقوم بدفعها سواء لانه ان كاف غيره بجهلها ربحاً خطأ أو أفشى
 سره فضاقت ثغرة نصرته فقام بنفسه في شوال سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف متوجه الى مكة فلما وصلها اجتمع
 بالشريف ولطفه فاطمة أن لذلك الشريف وصار يذهب الى الباشا ويرجع مطمئناً وكذا يذهب الى بيت ابنه الى أن
 تم للباشا ما دبر فأسر لابنه القبض عليه فقبض عليه وعلى عائلته وارسل الى مصر وجعل مكانه ابن أخيه الشريف
 يحيى بن سرور ومكث الباشا بالحجاز الى جمادى الثانية سنة ١٢٣٠ الى ان تم له أمره كما تم له أمر مصر فرجع اليها
 في رجب من عامه فكانت اقامته بالاراضي الحجازية اثنين وعشرين شهراً ودخل تحت سلطته غالب تلك البلاد
 كالطائف ومكة والمدينة وقنفذة وجدة وأطاعه أكثر القبائل وحصل هناك أمور لم يمس الغرض بتفصيلها وانما
 سردنا ما سردنا لارتباط الحوادث بعضها ببعض وتلج الما كان عليه هذا الشهم من الخزم والصبر للذين أوصلاه
 بقوتهم الى أقصى المراد مما لا يصل اليه غيره بجمع العساكر وحشد الاجناد فانه مع ما كان مشغولاً به من الحروب
 الخارجية لم يهمل أمر الداخلية خصوصاً أمر المصاريف الباهظة لاجل التجاريد فأخذ في تقرير الاحوال وترتيب
 الاموال كتحصيل الموازين والصنح فانه أنشأ ديواناً لذلك ورتب خدماً للتفتيش على الصنح فكل ما وجدوه تاماً مدغوه
 بمقرر وما وجدوه ناقصاً كسرروه وعوضوه بغيره مدغواً على الصنحة وزن نصف اوقية ثلاثة انصاف فضة والاوقية
 ستة ونصف الرطل خمسون والرطل مائة وكضم الالتزامات الى بيت المال وتعويض أربابها دراهم من الخزينة وغير
 ذلك فبهذا تسنى له جمع المال الذي كان يصرفه في التجاريد وبناء الحصون بالاسكندرية ورشيد ودمياط وسد أبي قير
 وترعة القروينية مع اهتمامه بتأمين الطرق ومساعدة التجار من الافرنج وغيرهم حتى اطمأؤا بعد الخوف وسكنوا
 نغرا الاسكندرية وجلبوا الى مصر أنواع التجارات ولما صدر أمر الدولة بارسال الشريف غالب الى القسطنطينية
 ورد جميع ما أخذ منه صالحه الباشا على سبع مائة كيس فقبها وطيب خاطره وأرسله اليها مكرماً ثم ان الباشا أراد
 أن يجعل عسكر مصر نظاماً كهيئة عسكر الافرنج فلما أشيع ذلك شنع كبار العساكر وأمرؤهم على هذا المشروع
 وقبحوه وتحادوا بينهم فيه فاتفقوا على المعارضة فيه متى استشيروا وتجمعوا على الهجوم على الباشا بمنزله وكان من
 جملتهم م عابدين بك فأخبر الباشا بما دار بينهم وتبين لهم من عابدين الغدر فغريه ليلاً وطلع الى القلعة مع من يلذبه
 وتحصن بها فلما بلغ ذلك العسكر قاموا واحتاطوا بالقلعة ولما رأوا ذلك غرهم فيدهم شيئاً تفرقوا في شوارع المدينة
 ينهبون ما وجدوه ويكسرون الابواب المغلقة حتى أتوا على جميعها ولم يدافعهم أحد الا أهل خان الخليلي من الاتراك
 والارنؤد وأهل الكعكيين والفحامين من المغاربة وأغلقت البيوت وتعطلت الاسواق وامتنع الوارد للمدينة واستمر
 ذلك ثلاثة أيام فاستدعى الباشا العلماء وبعض الامراء وأظهر رأسه فنه على ما حصل وشنع على ذلك وأمر السيد

المحروق بتحرير قوائمه من جانب حتى يقوم بدفعه لا ربا به لما أن ذلك لم يقع الاسببه وأمر بينا ما هدم على طرفه ورد
 ما كسر من الابواب ففرحت الاهالي بذلك رمد حوه وأنشوا عليه الثناء الجليل ومالوا اليه بعد النذرة ولما أ حضرت
 القوائم أمر لكل واحد جزء من ماله ووعد باعطاء الباقي عند ما تنصل ل نقود وكان الذي ظهر لتجار الغورية مائة
 وثمانون كيسا ولاهل الجزاوى ثلاثة آلاف كيس ولاهل السكرية سبعون ولاهل مرجوش أربع مائة وخمسون
 كيسا كل ذلك في مقابلة عروض التجارة وأما النقود فلم يسمع فيها دعوى وهذما المادئة وان كانت أولا ليست على
 مراد الباشا لكنها آخرها كانت من أحد من مافصده فانهم باقوت حزبه وأوغرت صدور الناس على أعدائه وأنعم على
 البراءة من هذه المادئة ومن برأ نفسه وأنعم على عابدين بك بألف كيس وجعل محويك كبير الدلالة وألبسه الخلع
 بذلك وهو لاء الدلالة كان أكثرهم من الدروز والشوام والمتاوله يلبسون الطرا طير الطويلة من الجلد طول الواحد
 ذراع وقد عبد الله صاري كوالى اليكشارية وألبسه الطربوش الطويل المرخى وفي شوال من هذه السنة نزل الباشا
 من القلعة وكان لم يبارحها مذ طلعوا مستخفيا وتوجه الى الأثر ومنه عدى البحر الى الجزيرة وبات بقصر هناك فلما أصبح
 ذهب الى شبرى فبات بها ليلة أيضا ثم نزل الى قصره بالازبكية ثم طلع القلعة وأكثرت الاجتماع بالمشايخ والامراء
 وتكلم معهم في رد الالتزامات لاربابها وغرضه بذلك ان يشاع بين الناس قطع ثمن خواطر الامراء لان أغلب الالتزامات
 كانت بأيديهم وكانوا هم المحركين للعسكر فاراد بذلك تسكينهم وكان مع ما هو فيه به بيت عيون بالاسنة ثمانية قصص الى
 الاخبار وروى الى الدولة واعيانهم وبيادير لاظهار ما يحبونه فيه من الزينة متى بلغه أمر فيه سرورهم كنصرة أو ولادة
 فكانت القرمانات تتوالى اليه مقوية لسلطته ماحدة ما يفعله فتنتشر في الانحاء فازدادت مكانته وقويت شوكمته
 ولما حضر ابنه طوسون باشا من الحجاز عمل له موكب فاخر وزينت البلد وضواحيها أياما وهرعت نساء الامراء الى
 بيته مهئين والدته بعودته ثم توجه الى الاسكندرية ليتقابل مع أبيه بها فلما التقتا وتذاكرا في أمر العسكر وتجمعهم
 تم التدبير على تفريقهم عن القاهرة فجعل ابنه طوسون باشا بالحاد وأبي مندور وحسين بك ومحويك ساري كوالى
 ومحويك بالبحيرة وغيرهم بدمياط ولما استقر طوسون باشا بعسكره أخذ يوافى قلوب العسكر اليه حتى استمال
 أغابهم خصوصا جماعة محويك فانه كان معه انداءهم وتوراف قصده قصر ريشه ليتعشى به فلما رأى محويك نفسه في
 قلة وعسكره قد انحازوا الى طوسون باشا وعرف عين الغدر من أحواله وتحتق ذلك اذ طاب منه الحضور عنده
 توقع على اسمعيل باشا ومصطفى بك كبير الدلالة فتوسطوا له عند الباشا ونشفعوا فيه فقبل شفاعتهم ومن وقتئذ
 انكسرت حدة محويك وأمسى في قبضة الباشا حينئذ شاء وجهه فلما رأى ذلك باقى الامراء بسطوا الكف الذل
 وخضعوا فقصنا الوقت للباشا راخذني تصرف بالتؤدة في أمور القطر ولم يبق من ينتقد أفعاله الا أفراد قليلون منهم الشيخ
 الدواخلى فانه بعد ان ولا نقابة الاشراف داخله الغرور وصار يندد على أفعال الباشا ويقدر في أموره وتجبر على
 ابراهيم باشا في مجلسه بما لا يليق في حق أبيه وكان يتم تور على الاقباط فأكثروا الشكوى منه وتقدم من المشايخ فيه
 محضرا فأرسله الى الدولة وعزله من نقابة الاشراف وأشار بها على السيد المحروق فاستقاله منها فأقاله واختار أن يكون
 فيها البكرى لاستحقاقه اياها فولاه الباشا وألبسه العباءة كما كانت عادتهم والتفت لضعاف كل من شتم فيه رائحة
 القرد فشنت الارنود في الحروب وقتل المتردة ودخل تحت طاعته من كان يرى نفسه أعلى منه كن بقى من أتباع
 الامراء المصريين بعد ان ذاقوا ألم الفاقة فرضوا أن يتوطنوا مصر راضين أن يفعل بهم ما أراد فقبلهم على أن
 يستخدم من يليق ويرتب لمن لا قدر له على الخدمة ما يختارون لا يعطوا ارضا فرضوا وأجلى طوائف الدلالة وبالجملة
 عز تمام العز بعد انتصار ابنه المرحوم سرع كرك على الوهابية واحضاره عبد الله بن مسعود أميرهم سنة أربع وثلاثين
 ومائتين وألف وقد قتل المذكور بالاسنة ثمانية فكان افتتاح الحرمين الشريفين من أعظم البواعث على علق قدره ثم
 التفت الى تنظيم القطر فقتل الاشقياء وأمن السبل وسرا التجارة برا وبحرا وأمر بحذر ترعة الاشرافية وهى المجرودية
 لتسهيل التجارة وجلب المياه العذبة الى نجر الاسكندرية والاستراحة من طريق رشيد لكثرة الخطر بها وعين اعمالها
 مهندسين من فرنسا ودين وهما كوستا ومامى وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف كانت الفرضة على المواشى
 وأخذ في تطهير الترغ وإنشاء الجسور وترميم القناطر ولكن لما احتاجه من الاموال وعلمه بأن الحوادث قد أعمت

حال القطار ولوطالب من الاهالي شيئا مع تعطيل زراعتهم لعدم الاعتناء بتطهير الترع أو غرض دورهم رأى أن يسح
 أرض القطار ويربط على كل جهة بحسبها فعين لذلك ولده ابراهيم باشا فقمه في سنة ست وثلاثين ومائتين وألف وقرر
 على كل فدان مبلغا معينة فعرف الناس ما عليهم بعد ان كان غير معلوم فاستراح السلاخون نوعا وجعل المشايخ البلاد
 على كل مائة فدان خمسة أفدنة وسموها صموح المشايخ وأبطل عمل الشع الزفر بالبيوت وجعل له معملا وأبطل
 الذبح بالبيوت أيضا وجعل المذبح ميريا ورب على كل رأس تذبح مبلغا وجعل السقط والجلد للديوان ودخل في سلك
 النظامات والروابط أنوال الحياكة والحصر والصابون والخيش والقصب والتلي ووكالة الجلابية وغسل النحل وأعطى
 الملاحة التزاما وجعل لهم هذا الامور ديوانا وكتابا وكذا جعل لما يتحصل للديوان من محصول المزروعات أشوانا بالبلاد
 فورد اليها الفلاحون ما يحصل عندهم بثمن مقدري فخصم منه ما عليهم من الاموال ويصرف لهم ما يبقى أو يعطى لهم
 به ربحهم طلب ثم يباع منها التجار الا فرج وغيرهم وجعل للارزدواثروا من بحفرا باربارض الوادي وأن يزرع حولها
 شجر التوت فحاشا كان غير قليل حتى نما الشجر وعظم فأخضر من الشام وغيرها أهل الخبرة بتربية دود القز وصنع
 معامل الحرير ففتح وصار من بخله محمولات مصر ثم تراءى للبasha أن يبعد عسكر الارنؤد عن القطار لما يعرف فيهم من
 شراسة الاخلاق ورأى ان أهل بلاد السودان يحصل منهم التعدي على من جاورهم في كثير من الاحيان فكان يريد
 اخضاعهم فمدس الى الارنؤد من أدخل في ذهنهم أن بلاد السودان هي معدن الذهب ليرغبوا فيها فيستريح منهم
 خاطره من جهة ويؤذب السودانيين من الجهة الاخرى ويحفظ حدود القطار من الجهة القبلية مع توسيعها بقدر ما
 يلزم وقد كان ذلك قائمه بمجرد ان تدبهم اليها بالوادعوتهم متمثلين بفعل ابنه اسمعيل باشا فانه تلك الحيوش وارفق معه محمد
 بك الدفتر دار فتوجه بالحيوش الى بلاد السودان واهتم بجمع تجريدة اخرى تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا لتلحق
 بالاولى ولم يغض غير قليل حتى استولى اسمعيل باشا على بلاد سنار التي هي بلاد الزنج واستحصل على تبرع عبيد ولكن
 وقع الهوى في العسكر المصري حتى أفنى بخله فاستأذن أباه في العودة الى مصر فاطله فتوجه الى شندي وطلب من
 أميرها الغر بعض المطالبين وأخذ بعض العسكر في العسف بتلك الجهة على عادتهم في تلك الاوقات فضجرت الاهالي
 ودبر النمر وقومه عليهم مكيده لئلا يهزم وذلك أنه أتى الى اسمعيل باشا أن أهل البلد يرغبون في اعمال زينة للامير
 فرحوا بحلوله بلدهم ودعاه الى الدخول اليها فرفض ودخلها أو أنزلوه منزلا كان قد أعد له وجعلوا حوالى المنزل تبنا كثيرا
 وقالوا انه للزوم المواشي والحيوانات فلما أخذ الناس مضاجعهم أوقدوا النار بالمنزل وما حوله فأحترق بمن فيه الباشا
 ومن معه ونجا محمد بك الدفتر دار وكان الاذن وصل الى اسمعيل باشا بالعود وهو بشندي فسبقه الاجل فتجرد الدفتر دار
 لاخذ ثأره فقتل منهم نحو من عشرة آلاف نفس ولم يزل الباشا يبعدهم من مصر بالقوادعسا كرح حتى دخل كافة
 السودان في حوزته وجعل مدينة الخرطوم محل كرسي حكومته تلك البلاد وعرفت من ذلك الوقت بحكمه دارية
 السودان ورأى الباشا أولا أن يرتب من العبيد عسكرا منتظما لأنه عدل عن ذلك فيما بعد وواجهت في تنظيم عسكر
 بعضهم من الاماليك وبعضهم من شبان الاهالي والبعض من العبيد فجمعهم وأمر عليهم ولده ابراهيم باشا وأرسلهم الى
 اسوان ليبيعدوا عن عين الناس وعين لهم اثنين من مهرة المعلمين الفرنسيين ليعلموهم التعليمات والحركات العسكرية
 الاوروباية أخذهم باسمي حري راثاني يسمي سيف ترقى بعد ذلك ودخل في الاسلام وعرف بسليمان باشا الفرنسي
 فأخذ في تدريب العسكر وتعليمهم حتى فجع مراد الباشا وكان الناس وخصوصا الارنؤد يظنون أن هذا المشروع لا
 ينجح لاسيما اذا أخذ الباشا من شبان مصر فحوفوه على ملسكة الحديد وهو لم يكثر بالهم ولم ينزعج بتخويفهم واستمر
 على عزيمته حتى تم له ما أراد ودخلت العساكر مصر بعد سنتين على هيئة لم تكن تتصور بقدرة منهم التريعات وهم في غاية
 الانتظام فكمدت نفوس عسكر الارنؤد لتحقيقهم أن القطار صار في غنى عنهم وكافوا يظنون أن وجودهم فيه من
 ضرورياته ثم توجهت هممة الباشا الى عمل الاساطيل البحرية فصنع منها عدة واستعان بجماعة من الاوروبايين
 جعلهم من من جلة خدمتها وأنشأ مدرسة لتعليم علوم البحر وأدخل فيها جلة من الشبان المصريين وجلب اليها مهرة
 المعلمين ثم أنشأ مدرسة الطب بجهة أبي زعبل وعين لها الماهر كوت بك فاشتهر صيته وعلا اسمه في كافة الانحاء لاسيما
 في بلاد الافرنج فلحظوه بعين الاعتبار وكذا الدولة فأنه اوجدت له مساعدا ومعينها الهاعند ما رفع اليونانيون لواء

العصيان وأرسلت لهم الدولة عساكر فكسروهم بمورة فراسلت محمد علي باشا في ان يساعدها على أن كل ما أدخله تحت طاعته كانت له ولايته فانتصب للمعاونة وارسل الاسطول المصري تحت امرته ابراهيم باشا فتقابل بالاسطول السلطاني بجياده اليونان وتتابعت العساكر وحصل العساكر مصر عند تلاقها بالعدو وعدة نصرات بجريد ومورة وطال أمد الحرب بين الفريقين فرأت كل من دولة انكلترا وفرنسا والروسيا ان هذه الحرب مضرّة بالمصالح العمومية فتعاقدوا سنة ٢٧ ميلادية على التكفل بنهوض هذه الحرب اما صلحا واما قهرا وقد موالدون السلطان بواسطة سفرائهم أن يسمح السلطان بحضور أساطيلهم الى مياه اليونان وعرضوا الصلح فامتنع من قبوله فاجتمع اساطيل المتحالفين وحصروا أساطيل الدولة بمرسى نوارين فلم يكن لها من طاقه فالتفوها وكذا ألتفوها أساطيل مصر ومع ذلك لم يذعن السلطان للصلح فاتفق الدول على انهاء هذه المسئلة بالقوة وتجهزوا لذلك فتكفل الاسطول الانكليزي بالبحر وعينت فرنسا جيشا للبر بحر كما من أربعة وعشرين ألفا ووجهته الى مورة فحين رأى ذلك الباشا أمر ابنه بالرجوع وانحلت الحرب بذلك وأخذ الباشا في تجميع ما كان شارعا فيه من بناء القناطر والترع والجسور وزراعة القطن وكان أشار عليه به أحد الفرنسيين المسمى جوميل فخلبه الى مصر وبعد قليل بيع من محصوله للأفرنج مائتا ألف قنطار وكذا جلب النيله والافنيون وقصب السكر وصنع له المهامل وبعده دورشا الغزل القطن ونج الشوارع وغرس الاشجار حول القاهرة وبينما هم مشغولون بذلك نشأت الحرب المهولة الشامية وسببها أن الباشا التمس من السلطان ضم ولاية الشام الى ولاية مصر بدلا مما استرد بحكم الحوادث من ولاية مورة حسب سابقة الاتفاق فلم تسمح الدولة بغير جزيرة كريد فرأى الباشا ان لا تكفي الا أنه سكت ولم يعرض غير قليل حتى عن له ان يطالب عبد الله باشا والى الشام بماله في ذمته من المبالغ التي كان اقترضه اياها من قبل عشرين سنين وذلك أن عبد الله باشا المذكور كان في تلك المدة قد أظهر العصيان للدولة فمزنته عن تلك الولاية حتى توسط محمد علي باشا في العنوف قبلت الدولة على أن يدفع ستين ألف كيس ورأى أن هذا المبلغ صعب تحمله ولكن حيث كان متحتم الاداء التزم بالتسليم واستعان بمحمد علي باشا فاعانه بخمس المبلغ ومضى على ذلك ماضى ولم يطالبه الباشا بالمبلغ تكريما ولم يخطر بباله هو أن يدفع ما اقترضه حتى كاتبه الباشا في طلب المبلغ فأجاب بجواب واه حجتبه فتغير خاطر الباشا ثم عقب ذلك بلغ الباشا ان عبد الله باشا يساعده القارين من مصر ويهرب بضائعها من الجمارك ويحسن لهم استيطان الشام فكاتبه الباشا في ذلك ولما لم تأت المكاتبة بنائدة جهز جيوشه المصرية لقتاله بعد أن كاتب الدولة وأمر على الجيوش ابنه ابراهيم باشا فسار بتلك الجيوش العظيمة الى الشام وتتابعت العساكر برا وبحرا فاستولى بلاممانع على يافا وحينئذ سار الى قلعة عكا وبها عبد الله باشا والى وكانت حصينة فحاصرها وضيق عليها الحصار ستة أشهر ثم والى عليها الهجمات حتى افتتحها عنوة وأخذ والى أسيرا وصبره الى الاسكندرية فقباله بها محمد علي باشا بالاحسان والاحسان ولما بلغ الخبر رجال الدولة أخذهم العجب لمعرفتهم ان هذه القلعة من أمنع القلاع ولما تمكن ابراهيم باشا من عكا قام الى غيرها فكلما ورد بلد أو نزل قيسله أذعن له أهلها ولما رأت الدولة العلية توغله في بلادها بعساكره أرادت صده بعساكر أخرى فحصلت بين الشريطين وقعات شديدة احدها بالقرب حص وأخرى بمضيق بيلان بالقرب من بعلبك فلما بلغ ذلك مسامع السلطان محمود خان عليه مناجائب الرضوان مال الى المسالمة فراسل محمد علي باشا في ذلك فرضى على شرط ان ما استولى عليه يكون تحت امرته فتوقف السلطان في قبوله هذا الشرط واستمعان بدولة أوروبا بعد امتناعه من قبول وساطتهم وبدأ بمكاتبة الروسيا فبادرت اليه برسالة فرقتين وأمرت قنصلها بجوارحة مصر وكانت غاية ما تتمناه التداخل في مصالح الشرق فتعرضت دولة فرنسا لما كسرتها فحصل الخلف فرجع السلطان لحل مشكلته بنفسه وجهز جيشا جارا تحت قيادة الصدر الاعظم محمد رشيد باشا فقام لمقاتلة جيوش مصر وكانوا وصلوا الى قونيا وتحصنوا هناك فلما انتفى الجمع انهم زعم جيش محمد رشيد باشا وأسره واستولى ابراهيم باشا على عشرين مدفعا وكثير من المهمات العسكرية والازواد وشاع خبر هذه الواقعة في الاقطار ففتحت البلاد الشامية أبوابها فرجع السلطان الى وساطة الدول فسمعت دولة فرنسا بينهم ما قصم الباشا على ما طلبه أولا وأن يكون الملك في عقبه وان ما صرفه في الحرب يحسب له مما هو مقرره عليه دفعه للسلطنة سنويا وصم السلطان

على عدم القبول فأصدر الباشا أمره لولده بأن يسير إلى كوتاهية فصار إليها وأرسلت دولة روسيا أسطولها إلى البحر الأسود وعشرين ألف مقاتل تكون تحت تصرف السلطان فبلغ سفير فرنسا بالاستانة وهو الاميرال روسيان الذي كان حاضرا اليها قريبا بلا عن السفير الاول محي الأسطول المستقبلي ورأى أن ذلك مضر بالمصالح العمومية أنهى إلى السلطان أن الأسطول الروسي أن يرحم مكانه الذي هو فيدو كان قد وصل إلى جنياق قلعة سافر هو في الحال وكان ذلك قطعاً لللائق بين دولته ودولة السلطان فاصدر أمره إلى الأسطول أن يكون مكانه وكان ذلك جل مرغوب السلطان لانه كان لا يحب تدخل الروسي او حينئذ سعت الدول في الصلح وكثرت المراسلات حتى تم في رابع عشر شهر مارث سنة ٣٣ ميلادية وكتبت المعاهدة المعروفة بمعاهدة كوتاهية متضمنة أن ولايتي مصر والشام تكون لمحمد علي وعدن والحرمين لابنه ابراهيم باشا فاجتمع لمحمد علي باشا في هذه السنة ولاية مصر والشام والسودان والحجاز وجزيرة كريد فتوجه بنفسه اليها ونظر في أحوالها ورتب فيها ما رتب بمصر وأخذ يكتب العسكرية على الطريقة المستجدة فلم يرض بذلك أهل تلك الجزيرة ورفعوا الواء العصيان فأرسل اليهم عثمان باشا رئيس العساكر المصرية البحرية بفرقة من الالايات ودبر في اخراج نار الفتنة حتى أطفأها وتعه - لرؤسائهم باعدام اسائهم فلم يسمع محمد علي باشا بذلك ورأى أن لابد من قتل بعضهم فاستعفى عثمان باشا وتوجه إلى الاستانة ومات بها فعدت الفتنة بكر يدولم بين الباشا عن عزيمه ما حصل في كريد من الهيجان بسبب الترتيبات فأخبر برب الشام كصر فوضع القوانين وأمر بإدخال الشبان في العسكرية فنشأ عن ذلك فتنة امتدت أغصانها في أنحاء هذه الاقطار واضطربت نيرانها وأخذ الباشا - دولده بالعساكر والاموال وتوجه هو بنفسه إلى الامير شبل العريان أمير جبل لبنان واتحد معه على المساعدة فقدر بذلك على اخراج الفتنة والقبض على رؤسائها وجرى الاها إلى من الأسلحة وهدأت الحال فظن الباشا أنه قد تمكن فها هو الا أن قام شبل العريان رئيس الدروز ونصب شبالك الحيل لتصيد عساكر مصر وتحمعن هو بجباله وصار يقاتلهم ويحنا تلهم حتى أفنى الكثير وأعيمتهم الحيلة معه وتشعبت فتنة فاضطر ابراهيم باشا لاسمالة طائفة المادونية كي تكون معه على الدروز فأجابه وقاموا بنصرته حتى تمكن بهم من قتل كثير من الدروز واطفاء نار حريتهم وازالة الارتباك وعود الطمأنينة وكان الباشا دائماً يكررا الطلب من الدولة بأن تجعل له ولاية مصر والشام والحجاز وراثته في عقبه فقال السلطان لان يحجبه في الاولين ويجعل له الشام مدة حياته فلما تم للباشا ما تتم من اطفاء الفتنة الشامية تناقت نفسه لارفع مما كان يطلبه فخاطب الدول رسمياً بواسطة القناصل المقيمين بمصر طالباً بالاستعانة لاراعيا تحديده بلادهم فعارضه القناصل في ذلك بطريقة ودادية فقبل على ان ينفذ ما كان طلبه أولاً من أمر التوارث وفي الحين قام إلى البلاد السودانية يشاهدهم معدن الذهب الذي لهج الافرنج بخبره وليرك الدول وحالهم في شأن ما بينه وبين الدولة وكان السلطان من بعد ابرام الصلح المتقدم مجتهد في الاستعداد مهمتها بتنظيم العساكر فنظم جيشاً تحت قيادة حافظ باشا رئيس العساكر السلطانية ووجهه إلى الشام فأخذ في بناء الاستحكامات تجاه معسكر الجنود المصرية فكتب ابراهيم باشا إلى والده يعلمه بذلك ويستشير فيه فيما يصنع وكان الباشا قد درج من السودان فكتب اليه أن لا يبارزهم بالحرب الا على الاراضي المصرية كي لا تكون المسؤولية عليه فامتثل ما رسم ولم يطال الامر على العساكر الشاهانية - تعادوا إلى نصيبين فقابلهم ابراهيم باشا بجنوده والتحمت الحرب بين الفريقين واشتد القتال وانجبت عن نصرته وفي عقب ذلك انتقل السلطان محمود خان عن دار الفناء إلى دار البقاء فجلس على تخت المملكة السلطان عبد المجيد والامور في غاية الارتباك والعساكر المصرية تحت قيادة ابراهيم باشا متجمعة للوثوب ولكن الباشا رأى ان حل هذه المشكلة بطريقة ودادية أولى فطلب من الدولة عزل محمد باشا خسرو من الصدارة لان هذه الفتنة هو أسسها لكونه العدو الا لا فعزل وجرى المراسلات بين الدول في هذه المسئلة حتى تم الاتفاق على ان دولة روسيا وبروسيا وانكلترا وفرنسا والنمسا يعنون النظر في - لها وأخبر والباب العالي انه لا يجري شيئاً الا باطلاعهم وتصديقههم وكانت فرنسا مساعداً لمحمد علي باشا والانساء كسرة له لحقدها عليه بعض أمور منها انها كانت اشترت جزيرة عدن من بعض مشايخ العرب مع قطعة أرض متصلة بها يبلغ ستة آلاف ليرة وأنشأت بها قلعة لعلمها بما يكون لها من الاهمية في مستقبل الزمان فلما امتدت شوكة الباشا إلى الخليج الفارسي خفت دولة الانكليز على مستعمراتها

المتسطة على مدخل البحر الأحمر فترجت الباشا ان يأمر جنود بحارجه ثلاث الجهة بناء على ما كتب اليها عاملها بتلك
القاعة لان وجود العساكر المصرية رعبا هيج قبائل العرب فرأى الباشا ان تركه موقعا استولى عليه بالقوة مجرد طلب
دولة أجنبية محل بشرفه ورأى أنه ان مكث هناك تكلف مصر وفاقا لدتمته فتنازل عن تلك الجهات للدولة وكذا
عن مكة والمدينة وكافة أرض الحجاز فهذا كان من الاسباب التي حقدت لها دولة انكلمته على الباشا وحيث كان لها
رياسة المؤتمرة سعت في معاكسته ولم يلبث ان وردت بعت بيك أحد رجال الدولة طاب لا الفerman الى الباشا بان له ولاية
مصر ووراثتها وولاية عكا مدة حياته فقط كما اتفق عليه المؤتمرون فغضب الباشا وجعل السفراء مكاتبه للخدمة العلية
باقس فيها الانعام بجعل الشام كلها له فعارضت دولة الانكليز في ذلك بدعوى ان أهالي الشام غير راضين عنه وانه ان
بقي واليا عليهم لا يخلصوا الشام من العبيان ووافقها الدول على ذلك وأوعز والى الباشا بواسطة قناصلهم ان يخلص
أرض الشام من جنوده فامتنع من ذلك فأرسلوا الى بيروت اسطولا غساويا وآخر انكليزيا وطلعت بعض عساكر الى
السواحل فلكوا عكا وغيرها من المدن الاصلية وتقهقرت امامهم عساكر مصر وأرسلوا اسطولا آخر انكليزيا تحت
امرة الاميرال نابيه الى الاسكندرية فأرسل الى الباشا بأنه ان لم يرسل بتخليه عساكره لبلاد الشامية والاخر بيت
الاسكندرية فأخذ الباشا يتفكر في هذا الامر ويستشير رجاله فرأى ان امتناعه ينشأ عنه متاعب كثيرة فيسلم
للاميرال الانكليزي على أن تكون مصر له ميراثا فقبل منه وتوقف الاميرال النمساوي وكذا عندما أخبروا الدولة
توقفت المسارآت من اعانة الدول لها فلم يجهد الباشا بدامن التسليم بلا شرط ووكّل أمره لسفراء الدول بالاستماتة في
تسوية هذه القضية على وجه مقبول فبصحت دولة الانكليز على أنه لا يكون له الوراثة على مصر وعارضها باقي الدول
بعدم سواحل النيل في أيامه والاصلاحات الكثيرة ولم يزل الكلام دائرا حتى أمضى السلطان العقد المؤرخ
باليوم الثاني عشر من يناير سنة ١٤١٠ ميلادية ومن نعمته أن يكون واليا على مصر مدة حياته ثم تكون ولايتها
من بعده لا كبرأولاده وحفده وأسابطه وان يورد الى الخزانة السلطانية في كل سنة ثمانين ألف كيس وان لا يزيد عدد
عساكر مصر على ثمانية عشر ألفا بشرط أن تكون ملابسهم كلابس عساكر السلطان وتم الامر على ذلك واستراح
خاطر الباشا واستتب الراحة وأخذت البلد في الرفاهية والعران واتسع بها نطاق الثروة الى أن حصل للمرحوم محمد
علي باشا المرض الشديد الذي اعتراه في آخر عمره حتى منعه من القيام بشؤون القطر والنظر في أحواله فجلس بعده على
تخت الحكومة المصرية ككبرأولاده المرحوم ابراهيم باشا سر عسكر فصار خديو يابعد وجاء الفرمان السلطاني
بذلك فنظر في أحوال القطر النظر المحكم وعزم على فعل أشياء متينة يعود نفعها على القطر فاخترته المنية ١٢٠٠ وولى
بعده ابن أخيه المرحوم الحاج عباس باشا حلمي بن طوسون باشا بن محمد علي بعد أن تنقل في ولايات الحكومة المصرية
وولى كثيرا من فروعها حتى تهذب وتخرج وترشح للخديوية فسار في شأن مصر بما فيه صلاح أهلها وانتظام أحوالها
ثم توفي المرحوم محمد علي باشا الى رحمة الله تعالى في مدة حفيده المرحوم عباس باشا ودفن بجوارحه الذي أنشأه بقاعة
الجبل وسار المرحوم عباس باشا في أدل مصر بسيرة حسنة وكان يسير بالليل مستخفيا في أزقة مصر يتعهد أحوال
أهلها وكان يحب الاولياء خصوصا أهل البيت ويعمل لهم اللبا الى الخيرية في مساجدهم الى أن توفي شهيدا في قصره
الذي أنشأه بينهما رحمه الله ١٢٠٠ ثم تولى بعده عمه محمد سعيد باشا بن المرحوم محمد علي وقد تولى قبل ذلك رياسة البحرية
بعد تعلمه فنها وكان محبا للجهادية مولعا بجمع العساكر المصرية مغدق عليهم لا يقر له قرار الامعهم وفي وسطهم وكان
ملازما لعساكره وورقي منهم الكثير في الرتب وكانت تعرض عليه القضايا والمهمات وهو بينهم لا ينفارقونه أين حل
أو ارتحل وكان كثيرا التنقل بهم من مصر الى الاسكندرية ثم الى مريوط والى قصر النيل بالقشلاق الذي أعده هناك
لعسكره ومن مهمات الاعمال التي حدثت في عهده اتصال البحرين الاحمر والابيض بالترعة الملاحية المارة في برزخ
السويس وأمرها من أهم المسائل السياسية الشاغلة لافكار جميع الدول وسار في شأن مصر سير منتظما الى
أن توفي بالاسكندرية ودفن في مسجد نبي الله دانيال على نيلنا وعليه أفضل الصلاة والسلام ١٢٠٠ ثم تولى بعده
الخديوي اسمعيل بن ابراهيم بن محمد علي وكان قبل ذلك متقلبا في مهمات ولايات الحكومة المصرية بخبرها بأحوالها
شاربا من جميع مناهلها حنكته تجاربها فسار في أمر الحكومة المصرية سالكا سبيل التمدن والحضارة ناهجا منهج

الترفع والنفوة والبهجة والنضارة فشرع في أمور جمة داخل القطر ومدنه توجب له زيادة القمن حتى انتظمت
القاهرة والاسكندرية في أسلوب جديد أزال عنها هيئتها الاولى فصارت تضاهي مدن أوروبا وتواردت عليها وعلى
جميع القطر الاغراب من كل جهة واتسع نطاق التجارة والاخذ والاعطاء غير أنه نشأ من اتساع دائرة الاعمال
والاشغال والمصاريف على الحكومة أن ثقل كاهلها من الديون والمطالب فحصل من ذلك شغب في آخر مدته وشي من
نعم الفتنه عكر جواهرها وجب بعض اسفار بديرها حتى انفصل عنها عام ست وتسعين بعد المائتين والالف هـ وخلفه
في ذلك العام جلس على تخت الحكومة المصرية ولي عهد شبه الليث الهمام والبدر المنير التمام الخديو المعظم
والداوري المفخم ذو المقام الرفيع والحصن المنيع والفخر الجلي أفندينا محمد توفيق ابن اسمعيل بن ابراهيم بن
محمد علي لازالت أندية السمور عامرة بالشناء عليه ولا برحت مجامع الخير قائمة بمجميل ذكره واسداء صالح الدعوات
اليه فقد تحلت مصر بولايته واستقام أمرها بعدائه وانفسح مجال الثروة في أيامه وتقلب الناس في مرحلته
واكرامه وصارت مصر في أرفع درجات الانتظام وأخصبت أرجاؤها وجللها النفع العام وسار في أمور القطر في
سنتين جديد مراعيام صالح البلد والمعاهدات المتفق عليها بين مصر والدول الاجنبية غير مستقلة برأيه بل مشاركا في ذلك
محاس نظاره فاستقامت أحوال القطر وسارت الاعمال على نهج يناسب أحوال البلاد وأهلها لكن هذا السير لم يوافق
أغراض المفسدين فوسوس لهم شيطانهم ونشأ عن تلك الوسوسة تحزب العسكرية وكفروا بالنعمة ورفضوا ما عليهم
من الحقوق لولي أمرهم ولوطنهم وفعولوا أفعالا فظيعة نشأ عنها اختلال حال القطر وأهله ومع ما حصل منهم من
الكبائر والامور الفظيعة لم ينحرف الخديو عن سيرة المعتدل وثبت عنده هذه الشدايد حتى زالت تلك الفتنة المشؤمة
على ما هو معلوم مسطور في هذا الشأن فاستقامت له الاحوال وانتظمت الامور نسأل الله تعالى أن يصلح به أحوال
عباده ويكثر به خير بلاده آمين بجاه سيدنا محمد سيد الاقوين والآخرين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه كلما
ذكره اذا كرون وغفل عن ذكره الغافلون * وحيث وصلنا الى هذا الحد من سرد الحوادث التي ألت بالقاهرة
من منذ أسسها الفاطميون الى هذا الزمان أعني سنة خمس وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية وبيان التقلبات
العجيبة في المدد المتتابعة على وجه الاجازة اردنا ان نبين ما كانت عليه القاهرة من هيئة المباني أولا لئتمكن المطالع
لكتابنا هذا من المقارنة بينها وبين ما حدث في القطر المصري في أيام العائلة المحمدية العلوية الى زمن الخديو المعظم
محمد توفيق أيده الله تعالى من الابنية والعمارات والاعمال التي بينها في مواضعها من هذا الكتاب ويعلم ان السعادة
كالسقاوة تلحق الامكنة والبلاد كما تلحق الازمنة والعباد

(بيان ما كانت عليه القاهرة عند تولي العائلة المحمدية)

من أمعن النظر فيما كتبناه وتأمل فيما سطرناه علم ان الفاطميين ما قصدوا بوضع القاهرة الا جعلها مقلا لعساكرهم
وقر الخلائق منهم فلما أسوروها بالسرور جعلوا لها الابواب المنيعه واشترطوا الامر وربها شروطا ولم يبيحوا سكنها لكل
أحد كما هو شأن الحصون ولم يحصل التهاون في ذلك الا آخر مدتهم فسكنها بعض الناس وبنوا في رحابها وكانت عاصمة
الحكومة مدينة الفسطاط ولما زالت دولة الفاطميين بالاكراذ الايوبيينية أباحوا سكنها لكل أحد واخذ رجال
الدولة يغرسون حولها البساتين ويبنيون بها القصور للترهة وتغيير الهواء كما هو الآن في مباني جهة شبرى وغيرها ثم
بتقادم الزمان وازدياد الثروة بنى الناس في الفضاء وفي أرض تلك البساتين وعلى ما تحاذى من النيل في الاراضى وحول
البرك المتخلفة عنه وتجددت الاسواق والدروب فانتسعت المدينة باتصال تلك المباني بها حتى كان زمن الناصر محمد بن
قلاوون فاخذت فيه العمارة غايتها وبلغت البلد في السعة نهايتها لكونه كان مشغوف بالابنية فخذا الناس حذوه
وجددوا المباني العظيمة لاسيما عند ما حفر الخليف الناصر فان الناس أكثر وامن المباني على حافته كما هو هناك فيما
تقدم وفيه في محله فكانت المدينة في زمانه يحدها من الشرق الجبل ذاهبا الى المطرية بمصر والى الارتمق بلا وكثرت
البساتين حولها وعلت الميادين بعنية الشبرج وشبرى كما أسلفناه ولم تزد المدينة من بعده وانما كانت تنتقل هيئتها فتعمر
هذه الجهة أكثر من غيرها مرة وبالعكس أخرى على حكم مقتضيات الحوادث ثم ألت بها النكوارث في زمن الغز

حتى تخربت أبنيتهم وأوانهم مشيت عمارتها كما بناها وقسمت القاهرة كالفسطاط الى أثمان وأخطاط وكل خط
يحتوى على شوارع والشوارع بهادروب وحارات وعطف وأغلب الحارات والعطف غير نافذ الا الى الدروب فكان
المتأمل يراها كعدة قري متلاصقة وكانت البلد الى زمن الفرنساوية عليها البوابات موضوعة على الدروب
والحارات والعطف منها العمومية ومنها الخصوصية وكل بوابة تغلق عند العشاء وينام خلفها بواب بأجرة من أهلها أى
من أهل تلك الحارة ولا يتأخر أحد بعد العشاء خارج الحارة الا اضرورة مع تنبيهه على البواب حتى يفتح له اذا حضر
وكان أهل البلد ككثرة الحوادث وانتشار اللصوص بين الغون في متانة الابواب والمحافظة على البيوت والحارات
فيصفحون الابواب بصفايح الحديد ويسمونها بالمسامير الكبيرة ويفرطعون رؤسها ويجعلون بكاف الباب السلاسل
المتينة ويجعلون للباب الضبة والضبتين في الخارج والداخل ويريدون من الداخل الترياس وهو خشبة طويلة يثقبون
لها بالخطاط نقرات بيت فيه فاذا جاء الليل أو خيف أمر سحبوها من مقرها بواسطة حلقة في طرفها فتأخذ في عرض
الباب أو آخره وربما يبيتونهم في نقر من جهة عقب الباب وكانوا يتفنون في الحيل لمنع الضبة من الفتح بعمل
الدواسيس وشق المفاتيح ووضع السواقي مما أدركه أكثره وبعضه موجود الآن ولم يكن اظاهر البيوت رونق بل
كانت الهمم مصروفة لرؤية الداخل منها خصوصا بيوت الحرم والحيشان والاصطبلات وكل انسان له في ذلك اعتناء
على قدر حاله وكانت العادة أن يكون البيت ذاتي السفلى تحتوى على الحواصل والاصطبلات والبئر أو
الساقية والطاحون غالباً والمنظرة والعليا تحتوى على المتعدون تابعه من التهاوم محل القهوة وتحتوى على القاعات
والفصحات والحمامات والمطابخ وربما كان المطبخ بالطبقة السفلى وله سلم يوصل اليها من الطبقة العليا غير المعتاد
أو هو المعتاد وكانوا يعتنون بتوسعة الفصحات والقاعات ويفرشونها بالرخام الملون على هياآت جميلة ويجعلون من
القطع الصغيرة من الرخام أشكالاً باهرة ويجعلون على الحوائط قطع القيشاني الباهرة على أشكال فائقة ويجعلون لها
المشربيات البديعة المصنوعة بصناعة الخراط على رسوم وكأبة وأشكال حيوانات بدون تسمير بالمسامير وفوق تلك
المشربيات الشبائيك المصنوعة من الجبس المفرغ على أشكال عجيبه موضوع في التنازيع الزجاج الملون فينشأ
من ذلك صور بديعة تأخذ بالابصار وتشرح الخواطر وبالتأمل في أوضاع البناء يرى ان همه الواضع لم تكن متجهة
نحو التناسب أو تصرف الهواء بل كانت الهمة في البناء حيثما اتفق فيجعل مكاناً أرفع ومكاناً أسفل وآخر منيراً
وآخر مظلم والبعض واسع جداً والبعض ضيق جداً وترى القاعة التي يعجز الواصف عن حصر رونقها منزوية داخل
دهاليز مظلم فيتبين ان البنائين في الازمنة المتأخرة لم يكن لهم علم في الاوضاع بل يقلدون من تقدمهم صادفوا الصواب
أو خالفوا ومع تأخر صناعة البناء بنى الامراء المنازل الواسعة والمساجد العجيبة والبيوت وكان كل أمير يبلغ في السعة
على قدر حشمه وأتباعه ويجعل في دائرة البيت الدكاكين والحياض وغالب لوازم المنزل مثل بيت الشرقاوى فانه كان
يبلغ أربعة أفدنة نحو من سبعة عشر ألف متر مربعة وكثيراً ما تجد مثله وأوسع بجهة سوق السلاح وسويقة العزة
وجهة عابدين مما صار الآن حيشاناً تسكنهم ارباع الناس وغالب الحيشان أصلها بيوت فاخرة دمرتها الحوادث وأما
الحارات فكانت كثيرة الانعطافات ضيقة المسالك ليست على هيئة انتظامية بل بعض البيوت بارز في الطريق
والبعض داخل عنه وهذا من أسفل وأما الأعلى فكانت بعض المشرى بلت متلاصقة من جوانبها وتلاقي مع
ما واجهها حتى تحدث سباباً طامراً على جميع الطريق فضلاً عن الاسيطة الحقيقية ومن حدثت عنده عمارة ورأى
أمام منزله فضاء أدخل منه في المنزل ما أحب بلا ممانع وكذا الشوارع لا تزيد عن الحارات في السعة الا قليلاً فكان
اذا تلاقي جلان تعسر المرور وسد الطريق اللهم الا في بعض أمان كن قليلة وكان للبلد بوابات تقفل بالليل ويقف عليها
الحرس ولم يكن للحكومة اعتناء بامر النظافة أو الصحة فكانت القاذورات تلتقي بجوانب الحارات وعلى أبواب الأزقة
وتحت الاسيطة وما نشأ من الهدم من الازمنة ان اعني به ألقى على باب المدينة فيصير تلاً فاذا نسفتها الرياح تكون
منها فوق البلد حباب تراب كربه الرائحة متعفن الشم فتتسع دائرة الامراض فأين توجهت في البلد ترى مجذوماً أو
أبرصاً أو مجذراً أو أعشى أو من اجتمع فيه كل هذه الامراض أو أغلبها وذلك لان البلدة كانت محاطة باللال ضيقة
المسالك مرتفعة البناء على غير انتظام قدرة الحارات فلا تمكن الشمس من تحليل الرطوبات ولا الريح من نسفها

فتصاعد على من بالمساكن فتحدث الامراض كالحمى والجرب وسائر الامراض الجلدية ولم يكن بالمدينة اطباء
يعانون المرضى بل كانوا يعولون في ذلك على ما تصفه العجائز وعلى اقوال الدجالين والمشعبذين فاذا مرض انسان
ذهب أهله فطرقوا له الودع والفول وحسبوا له النجم وقاسوا اثره فاسأخبرهم به الدجال اعتدوه وكتبوا له الاجابة
أو بخروه اللبن والجلد وعلقوا عليه الخرز وكانت لهم خرزات كل واحدة يزعمون انها تبرى داء فللعين خرزة حمراء
يسمونها البذلة وللرقبة خرزة بيضاء مصفرة تسمى خرزة الرقبة ولهم أحجار يحكون بها الخضة أي الفرعة وللحمى ويسمونها
حجر الشفاء ومن اسع حكوها الخريت أو وضعوا على السعة فصا يسمى فص العقرب وغير ذلك ومن الاهمال في أمر
الصحة اتخذ الناس مقابر وسط المدينة كقبرة السيدة زينب رضي الله عنها والقاصد بل دفن كثير من الناس موتاهم
في منازلهم وفي المساجد والمدارس وكذا كان الاهمال في أمور الضبط فلا نفوذ للمكلفين به الا اذا كان على وفق الامر
أو الكبير فكل له غرض لا يتقدسوا واحكام الخط أو الدرب تحت سلطة من يسكنه من الامراء ولا يد للحاكم البتة
واذا تعرض الحماكم أو الباشا للنقض ما أبرمه قام سوق الحرب وطما بجر الفتن فكان للرعاع نفوذ بواسطة الانتماء
الى بعض الامراء والناس تقاسى الاهوال والمحنت بسومهم سوء العذاب وكل تاجر له محام من الامراء ليبيع بانه
لانه ان لم يتخذ له محاميا ضاع رأس المال نهبا فكان أرباب الوقايف مستقامين التجار والتجارة لانهم أصحاب الوظائف
ولا بد للتاجر من وضع اشارة في خانوته تدل على انه من طائفة كذا وهذا عام في كل متجر وبكل جهة وبهذه الوساطة
كان التاجر يشتط في الثمن كما يحب كي يتسقى له دفع مقرر وكذا كانت حالة المراكب في البحر فكل مراكب عليها راية
تدل على محاميهما حتى لا يتعرض لها انسان وبسبب اتساع دائرة الخوف ضاقت حلقمة التجارة واقتصر فيها على
ما يتحصل من القطر ولم تجسر تجار الاجانب على الدخول في مضائق تلك الاحوال الا ما كان يرد من نحو جهات الشام
والجزائر ما تزم أربابه الاحتماء بزياد عمر وكعادة أهل البلد فكان التجار من أهل القطر خاصة الاقلية من نصاري
الشوام وبعض الحضارمة والنادر ان ترى افرنجيا وكان لكل جهة صنف من التجار فالجمالية أكثر ما يبيع به وورد
الشام والجزائر وحضر موت والجزاوى يباع فيه الخوخ والحرير وما يرد من الهند وبلاد الافرنج وخان الخليلي يباع
فيه ما يرد من البلاد التركية وأما الماكولات وأنواع العطاراة فليست مختصة بجهة وكان لأهل البلاد أسواق وقتية فمنها
ما يكون في يوم معين كسوق الجمعة والاثنين والخميس ومنها ما يكون كل يوم بعد العصر كسوق العصر وكانت تنتقل من
مكان الى آخر حسب ما يراه الحماكم وكذا كانت لهم أماكن لتجمع الحرف والمشعبذين كالحواة والقرادين وأكبر
مجمع لهم هو الرميلة وكذا كانت مقر مسايرة الخيل والحير ونحوها ومقر الحشاشين والمصارعين فلذا انغرت مبانيها
الفاخرة الى عيش وحيشان واخصاص واستحوذ كل انسان على ما قدر عليه من أرض تلك الجهة حتى المساجد
 والمدارس وبنوا حول المساجد التي بها البنية قدرة شوهت محاسنها وكذا ضيقوا واسع أرض الميدان وسوق السلاح
فكان المار بتلك الجهات يخطو على القاذورات ويمر في خليط من الاراذل الى أرذل منه حتى يتخلص بعد الجهد
الجهد وانعدمت الصنائع من القطر الا الدني وانحصرت صنائعه بعد السعة في قزاة الكتان والصوف وعمل الضرب
بعد ان كانت القزاة بمصر من أشهر الاعمال في الاقطار وكذا التجارة والسباكة فلم تزل تتقهقر ويرحل الصانع
لتسلطن الفقر وكثرة الهرج وموت البارع جوعا حتى انمعت آثارا وعمت الاهوال هذه جميع أنحاء القطر وانحطت
اثمان الاماكن وأجرها فكان البيت الذي تبلغ مساحته ألف ذراع يباع بخمسين ريبالا وتؤجر أكبره كان أوقهوة
بستين فضة وأعظم بيت بالف فضة وما ذلك الا لانشلال الروابط وكساد الوسائط وتخميم الفقير بين أظهرهم ومقاساة
الشدة وكثرة الفتن وما من رادع في شوارع القاهرة لا يرى الا فقيرا مرقعا أو قتيلا مصروعا أو جنديا
ينهب أو محتسبا يضرب واذا تأمل في المباني لا يرى الا خرابا واسوارا وأبوابا واذا انتهى الى اطراف البلد كالحسينية التي
كانت مخيما للنزهة ومقر الفرجة لا يرى الا التسلل والكيمان واطلالا تبكي على من كان وما بقى من آثار بيوت
الامراء والوزراء ومساجدهم ومدارسهم التي ذكرها المقريزي صارت مساكن للرعاع ومعاطن للدباع ومرعى
للاوساخ وما بقى للسباخ وكذا جهة باب النصر وباب الحديد والعدوى والازبكية وباب البحر وكان يقام بالازبكية أيام
النيل بعض قهاو يجلس عليها الناس لاستنشاق الهواء لوجود الماء وقتئذ في هذه الجهة وان الخراب اتصل منها الى

غابدين بل قد امتد الى الداودية والقربية والخليفة وبالجملة فقد عم كافة البلدة بل جميع القطر وأما جهة المداينغ وباب اللوق فلا تسلي عما احتوت عليه من التعففات والروائح الكريهة وأحاطت التلال بالمدنية حاطة الدائرة بالنقطة عوضا عما كان بالقرافة من مساجد وقصور وبالقسطاط من مدارس وديورا أصبحت حاوية على عروشها فلا ترى الا اعتد ابلا سور وجدار ابلا قائم وخرابا تمتد في جميع النواحي الا انه كان يوجد على حافة النيل الشرقية بعض مبان كقصر العيني وبيت محمد كاشف قبليه وبيت محمد بك بحريه محل القصر العالي وغيرها بنية قليلة تمتد الى جزيرة العبيط محل الاسماعيلية الآن وكان يتوصل اليها من بوابة زالت الآن تجاور غيط قاسم بك المعروف الآن بجنيانة وهي باشا وكانت تلك الجنيانة تنتهي الى تل مرتفع قد زال وبقي أثره من روعاقر يبا من ديوان المطالية الى عهد قريب ثم قسم للبناء فيه وكان بوسط تلك السكيمان مسالك للمارة الى ترب القاصد وبولاق ومصر العتيقة وكان ساحل النيل كما هو اليوم ولكن النيل كان منقسم الى قسمين قسم موضعه الآن والاخر يمر غرب الجزيرة لبولاق التكرور وهو الاكبر ويجمع مع فرع بولاق بحري الجزيرة عند انبابة وفي زمن فيضان النيل تغطي جزيرة بولاق التي بها الآن السراي الحديثه ويكون عرض النيل نحو امان ألف وأربعمائة متر وفي زمن التجار ينحرف فرع بولاق ولا تمر المراكب الا من جهة الجزيرة الى بولاق التكرور ويتعسر جلب الماء الى المدينة لبعده فيشرب الناس من الصهاريج ومن البرك الراكد من الغدير الذي كان بجهة بولاق مقابل الترسانة الى شبري وبالجملة فقد كان الخراب عم والدمار طم وكثير من التلال داخل وسط الاماكن سوى ما في الخارج من التلال الشاهقة في الهواء الممتدة الى أمديع دفأها هبت الريح فهي القيامة ولا ترى الا غبارا منبثا على البيوت متلفا للصحة وللعيون حتى قبض الله تعالى لها المرحوم محمد علي باشا فآخذ في مداواة امراضها شيئا فشيئا وحذا حذوه من تولى الملك من عائلته حتى اكنست حمل البها والنضارة المشاهدة الآن * وسأمر دعليك عما نراها وحاراتها وشوارعها كما وعدت وأقدم بين يدي ذلك فائدة جلية نافعة ان شاء الله تعالى تشتمل على مجمل ماسنق فصله في الاجزاء الاربعة التي بعده هذا المتعلقة بالقاهرة وهو وان كان في الحقيقة فذاك لما يتعلق بالقاهرة (أي اجمالا لم يسط من القول فيما يتعلق بها) **اب** كما أحببنا أن نقدمه على بسط الكلام عليها ليكون ذلك من باب اجمال القول قبل تفصيله فان اجمال قبل التفصيل أوقع في نفس السامع كما هو مشهور فاقول وعلى الله توكلت واعتمدت انه ولي التوفيق والهادي الى أقوم طريق

(فائدة)

* (في اجمال ماسنق فصله في خطط القاهرة وما يتعلق بها) *

اعلم أيديك الله أن القاهرة وهي تحت الاقاليم المصرية واقعة بين الاقاليم البحرية والاقاليم القبلية في عرض ثلاثين درجة ودقيقتين واحدى وعشرين ثانية شمال وفي طول ثمانية وعشرين درجة وثمانية وخمسين دقيقة وثلاثين ثانية شرقي مدينة باريس تحت مملكة فرانسوا وبعدها عن القناطر الخيرية خمسة فراسخ وارتفاع أرضها بارتفاع النيل بالنسبة لسطح مياه المالح تسعة عشر مترا ونصف وفي غربها على النيل ثغر بولاق وفي قبليها على النيل أيضا مصر العتيقة ومدينة القاهرة مبنية في سفح جبل المقطم وأرضها آخذة في الارتفاع الى قلعة الجبل ولوفرص ان مستوى مياه النيل لا عظم فيضان حصل لوقتنا هذا وهو عشرين مترا ونصف فوق سطح مياه المالح امتد الى الجبل والى شبري الواقعة بحري القاهرة لتنج ان جزء المدينة المحصور بين الشاطئ الغربي للخليج من ابتداء قنطرة السد عند فم الخليج الى ترعة الاسماعيلية وبولاق جميعها وما جاورها من الارض كل ذلك يكون تحت هذا المستوى ما عدا عزقان كبرى قصر النيل فانه يكون جميعه فوق المستوى بقدر ثلث متر في أوله وثلاثة أمتار في آخره عند القنطرة وتكون قنطرة فم الاسماعيلية عند قصر النيل فوق المستوى المذكور بقدر مترين وثلث وأما القنطرة الثانية الواقعة على طريق بولاق بقرب قصر النيل فيكون ارتفاعها فوق هذا المستوى بقدر متر وثلث ويكون ارتفاع القنطرة الواقعة على جسر أبي العلاء فوقه بقدر متر وثمانية أعشار مترو جسر أبي العلاء من ابتداء القنطرة الى البحرية تقابل مع المستوى المذكور بسبب انحداره عند جامع سيدي أبي العلاء فيكون جزؤه الواقع بين الاصطبلات والنيل تحت المستوى وأما جزؤه الواقع بين القنطرة والاصطبلات فيكون فوقه جميع شوارع خطة الاسماعيلية وحاراتها وبعضها مع المستوى

وبعضها فوقه بمقدار يختلف من عشرة متر إلى نصف متر وبعضها تحته بمقدار يسير يختلف كذلك من عشرة متر إلى نصف متر وأغلب حارات الاسماعيلية من عند النالية تكون تحت المستوى بقدر متر ونصف متر بمعنى انه لو حصل قطع في جسر النيل كان الماء فوق تلك الحارات بقدر متر ونصف وأما شارع باب الخرق المنحدر وأعلامه في عابدين فيقطعه المستوى ويكون ارتفاعه فوق المستوى المذكور بقدر ثمانية أعشار متر عند ميدان منصور باشا وتر ونصف في أوله بميدان عابدين وغيظ الغدة تحت المستوى بمتر ونصف وميدان عابدين المذكور بعضه تحت المستوى بقدر متر وبعضه بقدر ثلاثة أرباع متر وخط الحنفى بعضه منحنى بقدر مترين وبعضه بقدر متر وربع وشارع درب الجاميز منحنى بقدر متر وربع بقرب قنطرة الذي كفر ومن القنطرة المذكورة ترتفع أرض الشارع الى أن تتقابل بشارع محمد علي وجميع شارع محمد علي المعروف بشارع السلطان حسن يكون فوق المستوى بقدر عشر متر في أوله عند العتبة الخضراء وبقدر مترين وربع في تقاطعه بشارع قوصون ثم يرتفع بعد ذلك الى المنشأة (يعني الرميلة) وشارع الموسيقى والسكة الحديدية جميعه فوق المستوى بقدر ستة أعشار متر في ميدان العتبة الخضراء ثم يزيد أو يقل في الارتفاع فوق المستوى الى شارع النحاسين فيبلغ هذا الارتفاع مترا وثمانية أعشار متر في تقاطعه بشارع النحاسين و يبلغ الارتفاع فوق المستوى اثني عشر مترا في آخر هذا الشارع قبل الوصول الى تلؤل البرقية وجزء المدينة الواقع بحرى هذا الشارع وغربى الخليج الى الفجالة كل حارته وشوارعه منحنى بمقدار يختلف من عشرة متر الى ثلاثة أمتار في الارض الخارجة عن السور والمرتفع في هذا الجزء قليل بعضه نصف متر وبعضه أقل وانما هي مواضع ربما كانت تلؤل أو ما أشبه ذلك وأما جزء المدينة المنحصر بين شاطئ الخليج الشرقى والجبل من ابتداء العيون فينقسم الى أقسام الاول محدود بالعيون وسور القلعة الى الحطابة الى الدرب الاحمر الى باب زويلة الى قصبة رضوان والخيمية الى قوصون الى السيوفية الى الصليبية الى قلعة الكباش الى السيدة زينب الى الخليج كل ذلك مرتفع وجميعه فوق مستوى أعلى فيضان النيل ما عدا خط السيدة زينب رضى الله عنها المنحصر بين قلعة الكباش وتلال بركة البغالة والشارع الموصل من السيدة زينب والخليج فانه منحنى بمقدار يختلف من متر الى متر وثلث وارتفاع قلعة الكباش وجبل يشكر فوق أعلى فيضان النيل ستة عشر مترا ونصف وفوق أرض شارع الصليبية ستة عشر مترا والجزء الثانى من أول باب زويلة بالسير في شارع المتولى والغورية الى باب الفتوح من جهة الجبل جميعه مرتفع ويختلف ارتفاعه من متر الى أربعة أمتار وربع في الشارع وأما في حارات الجزء المجاور للسور فيختلف ويزيد الى سبعة عشر مترا من جهة تلؤل البرقية وأرض الاماكن الواقعة في جزء المدينة المحدود بشارع السيوفية والخليج وشارع الصليبية وشارع تحت الربع بعضه تحت المستوى تارة بقدر مترين وتارة بقدر مترين ونصف والمرتفع منها منحنى تحت المستوى بقدر متر وربع وميدان الخيمية مرتفع فوق المستوى بقدر متر ونصف وحوش الشرقاوى المنخفض منه بعضه مع المستوى وبعضه مرتفع فوقه بقدر نصف متر وجزء المرتفع فوق المستوى ارتفاعه تارة نصف متر وتارة ثلاثة أمتار وأرض جزء البلد المنحصر بين شارع تحت الربع والخليج والسور وشارع النحاسين جميعه مع المستوى والمقارب لشارع النحاسين مرتفع فوق المستوى تارة بقدر متر وتارة بقدر مترين بل يزيد عن ذلك كلما قرب من السور والارض التي حول جامع الظاهر منحنى عن المستوى بقدر متر وثلثة أرباع متر وشارع الحسينية بعضه تحت المستوى بمترين وبعضه بمتر واحد والقلعة والمنشأة (الرميلة) والسيدة نفيسة جميع ذلك فوق المستوى ويختلف ارتفاعه من اثني عشر مترا الى اثنين وسبعين مترا وارتفاع أعلى نقطة من قلعة الجبل ثلاثة وسبعون مترا فوق مستوى أعلى فيضان النيل وثلثة وتسعون مترا وستة أعشار متر فوق مستوى البحر المالح وارتفاعها فوق أرض قراميدان اثنان وخمسون مترا وعشر متر وستة وخمسون مترا وأربعة أعشار متر فوق الارض التي تجاه قراول المنشأة (الرميلة) واثنان وسبعون مترا وأربعة أعشار متر فوق أرض شارع السيوفية عند المضفر  وشكل مدينة القاهرة في زمن القائد جوهر كان مربعا تقريبا ضلعه ألف ومائتا متر ومساحة الارض المحصورة فيه ثلثمائة وأربعون فدانا منها نحو سبعين فدانا بنى فيها القصر الكبير وخمسة وثلاثون فدانا للبلدان الكافورى ومثله الاميادين فيكون الباقي مائتي فدان وهو الذى توزع على الفرق العسكرية

في نحو عشرين حارة تمت بجانب قصبة القاهرة وكان سور المدينة الغربي بعيدا عن الخليج بنحو ثلاثين مترا وفي سنة ست وثمانين وأربعمائة في زمن وزارة بدر الجمالي وخلافة المستنصر بالله عدم هذا السور وبنيت الابواب من حجر على ماهي عليه الآن وجعل عرض السور الجديد عشرة أذرع وبلغت مساحة البلد أربعة مائة فدان فكان ما زاده بدر الجمالي نحو ستين فدانا وفي سنة ست وستين وخمس مائة في زمن صلاح الدين الأيوبي شرع في عمل سور واحد يحيط بالقاهرة ومصر والقلعة وبنام من التجارة ومات قبل أن يكمل وجعل خلفه خندقا وطول ما بناه تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وذراعان بالذراع الهاشمي وهو قريب من اثنين وعشرين ألف مترو وفي الامر على ذلك الى سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة هجرة عند استيلاء الفرنسيين على الديار المصرية ففاسوا سور المدينة فوجدوه أربعة وعشرين ألف مترو به احد وسبعون بابا منها ما هو داخل البلد في السور القديم ومنها ما هو في السور المحيط بها ولم تتغير مساحة البلد عما كانت عليه في القرن التاسع من الهجرة وكان شكل السور غير منتظم وهو عبارة عن شكل كثير الاضلاع والآن زال أكثر الابواب والباقي منهم لم يستعمل وتغير شكل المدينة ومع ذلك فان أطول شوارعها باق على أصله وهو الموصل من بوابة الحسينية الى بوابة السيدة نيسة وطوله أربعة آلاف وست مائة وأربعة عشر مترا ومساحة المدينة القديمة بما في ذلك من ميادين وحارات وشوارع ومبان ألف وتسعمائة وثمانية وأربعون فدانا من ذلك ألف وسبعمائة وستة عشر فدانا مشغول بالمنازل والعمارة ومنها مائتان واثنان وثلاثون فدانا مشغولة بالشوارع والحارات والميادين بمعنى ان المشغول بالحارات والشوارع أكثر من الثمن وأقل من التسع ^١ وعدد الحارات والعطف والدروب والشوارع ألف ومائتان وتسعون منها الشوارع الكبيرة مائة وثلاثة وثلاثون شارعا والحارات النافذة وغير النافذة مائة واثنان وستون والعطف النافذة وغير النافذة سبعمائة وتسعة عشر والدروب النافذة وغير النافذة مائتان وثمانية والسكن أربعة وعشرون وفروع السكن ستة عشر والطرق تسعة عشر وطول ذلك جميعه أربعة وخمسون ألفا وخمس مائة وتسعة وخمسون مترا وبالنظر لما حدث من الشوارع المستجدة بخطة الاسماعيلية والفجالة وغيرها بما في ذلك من جسر شبري وجسر أبي العلا وطريق مصر العتيقة يبلغ طول الشوارع والحارات مائتين وثمانية آلاف متروا ثلثمائة وتسعة أمتار ومساحتها ثلثمائة واثنان وثلاثون فدانا تقرى بما معنى ان مساحة ما استجد من الشوارع والحارات تبلغ مائة فدان وهو يقرب من نصف مساحة الحارات القديمة وصارت شوارع القاهرة وحاراتها كما يأتي

متر	متر
٣٤٩ شوارع وطولها ٨٢١٧٦	٣٥٧ حارات وطولها ٤٣٦١٩
٨٧٢ عطف وطولها ٤٤٢١١	٢١٩ دروب وطولها ٢٨٣٣٦
١٦ ميادين وطولها ١٨٩١	ومساحتها أربع وثلاثون فدانا

ومساحة الاسماعيلية الجديدة ثلثمائة وتسعة وخمسون فدانا وبالنظر لذلك ولما استجد من المباني في أطراف القاهرة تبلغ مساحة المدينة الآن نحو ألفين وتسعمائة فدان بمعنى انها زادت في مدة العائلة المحمدية نحو ألف فدان وجميع ذلك الا القليل منه حدث في زمن الخديوي اسماعيل والامر الذي كمل به نظام القاهرة وضواحيها هو امر توزيع المياه والغاز فيما كان المرحوم محمد علي قصدا أن يحفر ترعة فها من شرق اطفح وتصب في الخليج المصري ليحرق صيفا وشتاء داخل القاهرة فلم يتم له ذلك ^٢ وفي سنة خمس وستين ومائتين وألف قصدا المرحوم عباس باشا امر بتوزيع المياه في القاهرة باستعمال ابورات رافعة للمياه وتوزيعها بمواسير داخل البلد وشرع المهندسون في الاعمال الهندسية اللازمة لذلك ثم عرض عليه مبالغ التكاليف وهو مائة وثلاثون ألف جنيه فاستكثر دوا عرض عن ذلك فلما آل الامر الى الخديوي اسماعيل كلف به شركة مساهمين على شروط صار الاتفاق معهم عليها فاخذوا في اجراء العمل وأتموه بمعرفة شركتي الماء والغاز وحصل توزيع الماء والغاز في المدينة وضواحيها والآن كمية المياه التي تصرف في مدينة القاهرة في السنة الواحدة عشرة ملايين وسبعمائة وأربعة وستون ألفا وخمس مائة وثمانون مترا مكعبا فيخص اليوم الواحد تسعة وعشرون ألفا وأربعمائة واثنان وتسعون مترا مكعبا من الماء والمتر المكعب

خمس عشرة قرية حار و طول المواسير الموضوعة في الشوارع والحارات داخل البلد وخارجها وهي من الحديد
الزهر مائة وخمسون ألف متروء - دد القوانيس الموزعة في داخل البلد وخارجها ألفان وثمانمائة قانوس وقانوس
واحد منها بالاسماعيلية والازبكية والفجالة وعابدين ثلثا ذلك والثالث داخل البلد وفي الزمن السابق على
العائلة المحمدية لم يكن بالقاهرة سوى ميدانين أحدهما ميدان الازبكية في غربي القاهرة والثاني ميدان
قرا ميدان في قبليها تحت القلعة وكانت قد اندمجت جميع الميادين والرجاب التي تكلم عليها المقرر في خططه
وكان عددها تسعة وأربعين ففي زمن الفاطميين كان القصر الكبير والقصر الصغير من نصيب عيادين كبيرة
وفي مواضع من القاهرة كانت رحاب واسعة تتجاء منازل الامراء ولما زالت الدولة الفاطمية كان عدد الميادين
داخل القاهرة عشرة وبقي ذلك في الدولة الايوبية الى زمن السلاطين الجرا كسة فكثرت البناء داخل القاهرة وخارجها
ومع ذلك فكان كل أمير يجعل أمام بيته رحبة متسعة حتى بلغت هذه الرحاب العدد المذكور ولما حصل البناء خارج
البلد فيما كان هناك من البساتين كان خارج القاهرة من جهاتها الثلاث القبليّة والغربية والبحرية عبارة عن قصور
وبساتين يتخللها ميادين كبيرة في الجهة القبليّة ميدان ابن طولون وميدان الملك العادل أمام الكباش على بركة الفيل
وميدان الناصر محمد بن قلاوون الماروف أحدهما ميدان المهارة والآخري بالميدان الناصري وكانا في الارض الواقعة
تجاء القصر العيني والقصر العالي وفي الجهة الغربية كان ميدان الصالح والميدان الظاهري في الارض الواقعة تجاء
قصر النيل وميدان العزيز تتجاء منظره للؤلؤة من أرض بركة الازبكية وفي الجهة البحرية كان ميدان قراقوش
الذي في بعض مساحته جامع الظاهر وكان جميع السلاطين يتأق في ما يبنيه من القصور في تلك الميادين وكانت أيام
خروجهم اليها أيام فرح وسرور فكانت الناس تجدد بعد فراغهم من الاعمال وفي المواسم والاعيان المحلات العديدة
للنزهة والرياضة ثم لما صارت مصر ولاية تابعة لدولة آل عثمان احتكرت الناس أرض البساتين والميادين
والرحاب وبنوا فيها ثلثا كثير الفتن وتوالت المحن تكرر الهدم والبناء حتى صارت المدينة على الحالة التي وصفناها
فيماسبق وانحصرت بين التلول من جهاتها الاربع ولما جلس العزيز محمد علي باشا على تخت الديار المصرية وفرغ
من الحروب التي عاناها شغلتها إصلاح الامور وحذا حذو خلفاءه وتنظمت الحارات والشوارع القديمة وفقت
شوارع وحارات جديدة وعملت عدة ميادين فصار في داخل القاهرة وخارجها ستة عشر ميادانا وقد تكلمنا على
جميع ذلك في هذا الكتاب وكان الخديوي اسمعيل يود تنظيم ما بقي من القاهرة على اسلوب تنظيم الاسماعيلية
وصدرت أوامره لاديار الاشغال بذلك وعملت رسومات طبق رغبته فكان من أغراضه جعل سراي عابدين مركزا
يتفرع منه عدة شوارع منها ما تم وامتد الى الاسماعيلية والى الازبكية ومنها ما لم يتم كشارع يمتد من عابدين ويمر
تجاء جامع الشيخ صالح ويمتد مستقيما الى ميدان السيدة زينب رضى الله عنها وآخر من قبلي عابدين خلف سراي
المرحوم راجب باشا ويمتد مستقيما الى أن يلتقي مع شارع محمد علي ثم يرغب في انشاء شوارع مركزها جامع السيدة
زينب ويمتد في جهاتها او تقطع حارات البلد القديمة مع عطفها وأزقتها التجديد الهواء وازالة العفونة وأحدها يكون
من ميدان السيدة الى بركة الفيل الى شارع محمد علي وكذلك كان يرغب في جعل سراية العتبة الخضراء مركز العدة
شوارع منها ما تم ومنها ما كان يرام امتداده من العتبة الخضراء الى باب الفتوح الى الخلاء وغير ذلك كثير وكان من
مشروعاته احداث ميادين متسعة أحدها عند باب الفتوح والثاني عند السلطان حسن والثالث عند بركة
الفيل وغير ذلك خارج البلد وكان من مشروعاته أيضا ازالة تلؤل البرقية وباب النصر ١٠ وأول من أدخل المباني
الرومية في الديار المصرية هو العزيز محمد علي فاحضر معلمين من الروم فبنوا السراية القلعة وسراية شبري وعمل
بينها وبين مصر طريقا مستقيما غرسه من جانبيه بالجيز واللج وعمل مثله بين القاهرة وبولاق وأنشأ بستان
الازبكية وأزال التلول التي كانت خارج باب الحديد وفي غربي القاهرة وبنوا البنته زينب هانم سراية الازبكية
ولبنته نازلي هانم سراية على ساحل النيل هدمها المرحوم سعيد باشا وبنى محلها قسلا وقصر النيل لافادة
العساكر به وحذا حذوه في انشاء العمائر على هذا الاسلوب بنوه وأمرؤه فبنى المرحوم سرعسكر ابراهيم باشا قصر
العتبة بعد العباسية في طريق الخانقاة حيث قبعة الغوري المشهورة وقد بناه في جزيرة الروضة والمقياس قصر

عرف بقصر المغارة لانه عمل فيه مغارة ورصع حيطانها بأنواع الودع الملون على أشكال بدعية وبني القصر العالي
وبني المرحوم عباس باشا سراية بجهة الخرافش وبني أحمد باشا بجن دارا عظيمة في عطفة عبد الله بك وجعلها
قصرين قصر للرجال وقصر للعريم وبني ابراهيم باشا بجن دارا في سويقة اللالامثل دار أخيه وبني أحمد باشا
طاهر في الازبكية سرايته المشهورة باسم ثلاثة ولبني خورشيد باشا السناري داره في عابدين وكذا محوي بك بني دارا
بجوار دار عثمان بك ابن المرحوم ابراهيم بك وبني المرحوم شريف باشا الكبير سرايته على بركة أبي الشوارب وبني
سامي باشا المرهلي سراية بدرب الجسامير التي فيها المدارس الميرية الآن وهذا الاصل في حذو الامراء فكثرت المباني
الرومية في داخل القاهرة وضواحيها وفي زمن المرحوم عباس باشا بنيت له سراية الخلية وسراية العباسية وبولغ
في تشييدهما وسعتهم ما وتحسينهما والمدارس والقشلاقات العسكرية وتنظمت الطرق التي بينها وبين القاهرة وبني له
أيضا قصر بنها وبركة السبع والدار البيضاء في الجبل بطريق السويس والعتبة الخضراء بالازبكية وزادت الرغبة
في البناء خارج البلاد وكثرت هذه الرغبة في مدة سعيد باشا بعد استكمال السكة الحديد بين الاسكندرية والسويس
والقاهرة وظهرت عدة قصور في جاني طريق شبري وفي جهة المهمشا وفي زمن الخديوي اسمعيل تنظمت خطة
الاسماعيلية والفجالة وفتح شارع محمد علي وعمل كبرى قصر النيل وتنظمت جهة الجزيرة والجزيرة بعد بناء
سرايتهما وهما من أعظم المباني الفخيمة التي لم يكن مثاها ويحتاج لوصف ما اشتملت عليه كالتاهما من المحلات والزينة
والزخرفة والمفروشات وما في بساطينهما من الاشجار والازهار والياحين والانهار والبرك والقناطر والجبليات
الى مجلد كبير ولكن يكفي في هذا الملخص أن نقول ان أرض سراية الجزيرة ستون فدانا وتحتوي على سراية للعريم
وأخرى برسم سلامك كبير خلاف سلامك صغير في غربي السلامك الكبير والسلامك من رسم فرانس باشا
النمساوي اجتمعت في تشييدهما بالمباني العربية القديمة في شكلهما وزينتهما ومفروشاتهما وجعل في خارج السلامك
الكبير برسم الزينة بلكونات وبواكي من الحديد جلبت من البلاد الافرنجية وأحاط البستان بسور وجعل فيه
محلات للحيوانات المتنوعة كالنيلة والسباع والفور والقردة والنسانيس ونحوها وأنواع الطيور الجالسة من بقاع
الأرض وفرش مما يشبه الرمل والزراطة وزرع فيه فوانيس الغاز فكان من أبدع ما يرى خصوصا في الليل بعد أن توقد
فوانيسه وما صرف على هذه السراية من النقود كثير لكنه بالنسبة لما صرف على سراية الجزيرة قليل وفي الأصل كانت
سراية الجزيرة قصر صغيرا وحماما بناهما المرحوم سعيد باشا وبعد موته اشتراها الخديوي اسمعيل باشا وما يتبعهما
من الأرض وهو نحو ثلاثين فدانا من ابنه المرحوم طوسون باشا وهدمهما وبناهما وفرشهما وبعد قليل أخذ في توسيع
السراية من جهة البحر وزاد في المباني وأحضر من الاستانة أحد القلائد المعروفة في عمل الرسوم اقتضت الحو
والاثبات فيما تم وأحضر من الاستانة أيضا أسطوانات فنظموا بستانها وفرشوا بمماشي وطرقه بالزلاط الملون المجلوب
من جزيرة رودس على رسوم أشكال مختلفة وجعلوا فيه جبليات وبرصا كامتسعة وأنهر او غدراناء عليها قناطر
وكشكات للجلوس وأقناصا واسعة للطيور وأوصل له مياه النيل المرفوعة بوابر مخصوص وزرع فيه فوانيس الغاز
ثم عني له أن يعمل سلامك كائنيته جميعه من الحجر النحيت وكلف برسم ذلك وعمله مهندسين وعمالا من الافرنج ووسع
البستان الأصلي ونقض ما عمل في المماشي من الزلاط والرغام وأعاده ثانيا وأنشأ بستانا ثالثا عرف بالارمان جلبت
أشجاره من جزائر الروم بعد ما ردمت أرضه بطمي النيل الى قريب من مترين وكذا ردم الأرض المجاورة لهذه السراية
وسراية الجزيرة الى ارتفاع مترين وبلغ ما ردم في الجهتين نحو ثلثمائة فدان بمعرفة مقاولين من الافرنج اشترط معهم
على أن تكاليف المتر المكعب افرنك ونصف خلاف السكك الحديد التي جعلت لهذه العملية فكانت على الحكومة
وكلف برسم البساتين المهندس بارييل بي المشهور في تنظيم البساتين وهو الذي نظم بستان الازبكية فنوع في رسومات
أرمان الجزيرة وجعل به مناظر مختلفة وجبالا عاليا قناطر ترفق وديان ونوع مستوى أرضه فجعل بعضه مستويا
وبعضه منحدرا وجعل به أبحرا وغدراناء وفي مواضع منه ضم الاشجار الى بعضها وفي غيرها فرقها واجتمعت في تشييدها
الأرض بأراضي الروم وغيرها واستعمل مبلعا جسمان الصين في عمل الصخور وزرع الغاز به في فوانيس من البلور
على أعلا من الحديد ورتب من الخدمة لثلاث البساتين نحو خمسة مائة نفرت تحت ادارة أسطوانات من الافرنج لخدمة
الاشجار وسقيها بالخرطوم وكس الطرق والمماشي ونحوها فصارت بساتين الجزيرة فريدة في نوعها وبلغت

مساحة الارض المشغولة بتلك الاعمال أربع مائة وخمسة وستين فدانا وكان الحديد يوصى اسمعيل باشا مشغولاً فاجب البناء فبنى غير هذه السرايات سرايات أخرى مثل سراية عابدين وسراية الاسماعيلية الصغيرة سميت بذلك لانه كان قد شرع في بناء سراية الاسماعيلية الكبيرة محل جزيرة العبيط بعد شرائها ما كان بها من المنازل والقصور ولكنه أوقف العمل فيها بعد أن صرف على جدرانها فقط ثمانية وثلاثين ألفاً وثمانمائة وعشرين جنيهًا مصرى أو صرف على مشترى أما كن الجزيرة وهى مائة بيت وواحد تسعة آلاف وثمانمائة واثنين وثمانين كيسه وهى عبارة عن ثمانية وأربعين ألفاً وأربعمائة جنيه وعشرة واستقر العمل في سراية الجزيرة وسراية بولاق التكرور وسراى فاطمة هانم والقصر العالى وسراية الزعفران بالعباسية للوالدة وسرايات أخرى بالاسكندرية والمنصورة والمنيا والروضة وغير ذلك من بيوت الاشراقات وغيرها وسراية كبيرة بالعباسية وهى التى احترقت وبها الآن عمل استتال بالمجازيب وكان جميع حيطان محلاتها من الداخل وسقوفها مكسوة بالاقشة المتنوعة الاجناس والقيم ووجدت قائمة فيها ما صرف على السرايات من أجر صناع ومفروشات ونقوش ونحوها من ضمن ذلك ما صرف على الجزيرة ألف ألف وثلثمائة وثلاثة وتسعون ألفاً وثلثمائة وأربعة وسبعون جنيهًا وعلى سراى عابدين ستمائة وخمسة وستون ألفاً وخمسمائة وسبعون جنيهًا وسراى الجزيرة ثمانمائة وثمانية وتسعون ألفاً وثمانمائة واحد وتسعون جنيهًا وسراى الاسماعيلية الصغيرة مائتا ألف وواحد مائتان وستة وثمانون جنيهًا وباقي العمارات ألفاً وثلثمائة واحد وثلاثون وستمائة وتسعة وسبعون جنيهًا منها على سراى الرمل أربع مائة واثنان وسبعون ألفاً وثلثمائة وتسعة وتسعون جنيهًا وفى مدته كثرت الرغبة فى المباني الرومية الفخيمة فبنى الاهراء وغيرهم من أصحاب الاموال فى خطة الاسماعيلية والفيحالة وشبرى القصور والسرايات المكلفة منها ما تبلغ نفقته ثلاثين ألف جنيه وكثرت حتى صارت عدة مئتين وللاّن فى مدة الحضرة الحديدية التوفيقية لم تنقطع الرغبة فى تلك المباني وفى كل يوم تظهر مبان مشيدة بأشكال ظريفة حتى امتدت العمارات الى طريق السبئية الواصل بين محطة السكة الحديدية وبولاق ونجى من تلك الاعمال زوال التلؤلؤ والبرك العفنة التى كانت بأرض الاسماعيلية وبجانبى طريق بولاق وطريق السبئية والفيحالة وصارت هذه المحلات من أحسن محلات المدينة وقبل العائلة المحمدية كانت حارات القاهرة وأزقتها كثيرة الانعطافات والاسبطة وأرضها غير مستوية فلما كثرت بها السكان والمتاجر صارت لا تناسب هذه الحالة فكان يحصل الازدحام وتعطيل الماشى والراكب فلما أخذ العزيز محمد على بزمام الاحكام واستتب الراحة صدرت أوامره لأقلام الهندسة بعمل لأشحة التنظيم فعملت وصار العمل بمقتضاها ونشأ عن ذلك اتساع الحارات وسهولة المرور والمتاجر وغيرها واستمر ذلك فى زمن خلفائه واتبع الناس فى بنائهم الاشكال الرومية وهجر الاسلوب القديم لما رأوا فى الاسلوب الحديد من بهجة المنظر وحسن الوضع وقلة المصاريف عن الاسلوب القديم فان المحلات فى الاسلوب الحديد شكلها اما مربع أو مستطيل ولا تختلف الا بالكبر والصغر بخلاف القديم فان القاعة الواحدة كانت تشغل أكثر أرض الدار ولوازمها يعسر معها الانتظام وكانت الطرقات والفتحات تأخذ مبلغاً عظيماً من احيضهم اقربىة من محلات النوم والجلوس وأكثر محلات الدار قليل النور والهواء الذين هم امن أساس الصحة وقل أن تحلوا من الرطوبات التى تولد عن الامراض وفى الاسلوب الحديد استعوضت المشربيات التى كانت تصنع من الخراط بشبابيك مستطيلة وعليها ضفوف الزجاج واستعمل فى الدور الارضى عوضاً عن الخراط شبابيك من الحديد بأشكال مختلفة واستعوضت خردة الرخام التى كانت تجعل فى درقات القيعان والحمامات وفى أسفل الحيطان بترايبع الرخام الابيض والاسود وهى أبهى منظر وأقل مصراً وتركت خردة الرخام وكانت عبارة عن قطع صغيرة مختلفة اللون توضع بهيئات مختلفة فى بعض منافذ القيعان بالجبس وهى مع كثرة مصاريفها الفائدة فيها وتركت السقوف البلدية الملبسة ذوات الكرادى والمقرنصات التى كانت تجعل تحت الازار فى دوائر بعض المحلات وفى الزوايا الاربع وكانت الصناع تقيم فى صناعة ذلك الاشهر العديدة بل السنين حتى كان السقف يتكافئ ما يتكافئ به باقى المنزل فعمل بدل ذلك السقوف الرومية المستوية أو المفرغة ويكون السقف فى الغالب منتهى بازار من بين بعض الاعمال وفى وسطه صرة مفرغة تفاريج متنوعة فاذا تم طلى بطلاء الزيت الملون بالصباغ ونقش بنقوش متنوعة وكثيرا ما ينتهى

السقف ببراويزو كرايش يتفنن الصانع في اتقانها بقدر استعداده ورغبة صاحب الشغل وثروته وتارة تعمل
السقوف بالبغدادى وتسكى بالجبس وتدهن بأنواع الاصباغ وتنقش هي والحيطان باللون الذى يرغبه صاحب
المنزل أو تسكى بالورق المنقوش وقد تكون النقوش فى الورق أو غيره محلاة بماء الذهب وتغزرت وجهات البيوت
التي كانت تعمل فى الأزمان القديمة بحسب ما يتفق على غير قانون هندسى بحيث تكون لافرق بينها وبين وجهات
حيثان الاموات فجعلت على قانون هندسى منتظم وهيئات مألوفة حسنة وقسمت الوجهة فى اتساعها وارتفاعها
بـ **كرايش** بارزة يحدث عنها بعض الظلال فى عرضها وارتفاعها وتزيد فى رونق البناء وبهائه وفى السابق كانوا
يجعلون أرض محلات المنازل غير مستوية بل بعضها مرتفع وبعضها منخفض فترى أهل المنزل فى قلوبهم فى المحلات
يصعدون ويهبطون وذلك فضلا عن مضراته مذهب للرونق فجعلت فى الحديد محلات كل دور من المنزل فى مستو
واحد بهيئة ينشرح لها الصدر وكذلك السلام جعلت مناسبة لتوزيع المحلات باتساع مناسب للمنزل كبر أو صغرا
وارتفاعا وجعلت درجاتها بهيئة لا تعب الصاعد وأعطيت النور الكافى على خلاف ما كانت عليه قديما وتركت
الابواب المفرغة الدقية التي كانت تعمل من قطع الخشب المتعشقة فى بعضها على أشكال مختلفة وتارة كانت تلبس
بالضدف وغيره ويجعل لها ضب من الخشب ويتفنن فى جنس خشبها وهيئتها وارتفاعها القمت بالعاج والابنوس ومواد
معدنية على هيئات كثيرة فاستعوضت بالابواب الخشوية استعوضت الضب بالكواين وبطلت الرفوف والدواليب
التي كانت تعمل فى سلك الحائط ويتفنن فى عملها وارتفاعها وعلمت بالخرقة ونحوها ويضعون عليها أنواع الصبغ للزينة
والمباهاة ولما كثر دخول الأفرنج فى هذه الديار بعد أحداث السكك الحديدية فيها أخذت صور المباني تتغير فبنى كل
منهم ما يشبه ببناء بلده فتشوقت صور المباني وزينتها وزخرفتها وكذا تغيرت المقروشات الثمينة والسجادات الهندية
والعجمية والتركية بالمقروشات الافرنجية والتركية وتغيرت كذلك الملابس وأواني الأكل والشرب وغيرها
ولرغبة الناس فى البضائع الافرنجية لخصها قل ورود الهندية والعجمية وكثير البضائع الافرنجية واستبدلت أواني
النحاس بالصينى ومسارج الصفيح والشمع الكريه الرائحة بشمع المن الأبيض وبالفوانيس الزجاج وشمع دانات البلور
والمعدن الحسنة الشكل البهيجة المنظر وبالجملة فمن يدخل القاهرة الآن وكان قد دخلها من قبل أو قرأ وصفها
فى كتب من وصفوها فى الأزمان السالفة فلا يرى أثر المائت فى علمه ويرى أن التغير كما حصل فى الأوضاع والمباني
وهيأتهم حصل فى أصناف المتاجر وفى المعاملات والعوائد وغيرها من أحوال الناس **❦** ولسهولة الضبط والربط
انقسمت القاهرة الى ثمانية أثمان وكل ثمن ينقسم الى شياخات أكثر وتقل بالنسبة لكبر الثمن وصغره ولكل ثمن شيخ
يعرف بشيخ الثمن مرتبه شهر ريامن المحافظة مائة قرش صاغ ولكل شياخة شيخ يعرف بشيخ الحارة ليس له مرتبة من
المحافظة وانما تكسبه يكون من النقود انى يأخذها برسم الخوان من سكان الاملاك التي فى شياخته لان العادة ان
من أراد أن يؤجر بيتا فى حارة من الحارات يكون ذلك بمعرفة شيخ الحارة وبعد تأجير البيت يدفع له أجرة شهر برسم
الخوان والحكومة تستعين بهم فى توزيع الفردة والطلبات ويظهر مما كتبه الجبرتي ان هذا الترتيب لم يحصل الا فى
زمن الفرنسيين ففهم الذين وضعوه وبقي مستعملا من بعدهم الى الآن ولم أر ذلك فى خطط المقرري فانه لم يتكلم
على تقسيم القاهرة ولا الفسطاط الى أثمان والآن أثمان مدينة القاهرة هي ثمن الموسيقى وثمان الازبكية وثمان باب
الشعرية وثمان الجالية وثمان الدرب الاحمر وثمان الخليفة وثمان عابدين وثمان السيدة زينب وثمان مصر العتيقة وثمان
بولاق وثمان أودان أبين حدود كل ثمن لكن لكثرة التغيرات اكتفيت بذكر أسمائها وهي مبينة فى المحافظة فمن
أراد الوقوف عليها فليتنظرها هناك **❦** وكان فى الأثمان المذكورة ثمانية وأربعون قره قولا موزعة داخل البلد
وخارجها لاقامة العسكر المحافظين بها والآن بطل أكثرها ولم يبق منها الا القليل وفى كل ثمن بيت للصحة به
حكيم وحكيمة وكاتب وقريشى للكشف على من يموت وتطعيم الجسد ومعالجة بعض المرضى واعطاهم بعض
الادوية وقيد من يولد ومن يموت فى دفاتر مخصوصة ترسل لديوان الصحة واخبار بيت المال عن يموت وهو تابع لمجلس
الصحة العمومية يتلقى منه المخاطبات ويخبره عن جميع الحوادث الصحية وفى كل ثمن أيضا معاون وكاتب وبعض
عساكر وهم تابعون لديوان المحافظة ووظيفته النظر فى المناسبات والخصومات فإي كنهه صرفه وصرفه والارسله الى

جهة الاختصاص والعمارات المشتملة عليها بمدينة القاهرة هي أولا محلات العبادة وتشمل الجوامع والمدارس
 والزوايا والمساجد والرباطات والخوانق ولندكر هنا بطريق الاجمال عدد كل منها مع تقلباته فنقول أما الجوامع
 الآن فهي مائتان وأربعة وستون جامعاً ودخل في ضمن الجوامع المدارس التي تكلم عليها المقرري وهي سبعون
 مدرسة سوى ما ذكره من الجوامع وهي ثمانية وثمانون جامعاً مجموعها مع المدارس مائة وثمانية وخمسون فيكون
 ما استجد في القاهرة من بعد المقرري الى وقتنا هذا مائة جامع وستة ويظهر مما ورد في الخطط ان الجوامع والمدارس
 لم تكن الا في زمن السلاطين من الجراكسة والى سنة ستين وخمس مائة من الهجرة كانت لا تقام الجمعة في القاهرة
 ومصر الا في ثمانية جوامع وهي جامع عمرو وجامع العسكر وجامع ابن طولون بالقطائع والجامع الازهر بالقاهرة
 والجامع الحساكي بالقاهرة وجامع المقس بالقاهرة أيضاً وجامع القرافة وجامع رأسه ثم في زمن السلاطين من
 الجراكسة كثرت الرغبة في بناء الجوامع حتى بلغت في آخر مدتهم مائة وثلاثين جامعاً تقام فيها الجمعة كان منها بمصر
 العتيقة عشرة وبالقرافة احدى عشر وبجزيرة الروضة خمسة وبالحسينية اثنا عشر وعلى النيل خارج القاهرة أربعون
 وبين القاهرة ومصر ثلاثة وعشرون وبالقلعة أربعة وخارج القاهرة بالترب سبعة ودخل القاهرة سبعة عشر
 وكان كل من بنى جامعاً وقفه لله ووقف عليه الاوقاف الدارة ورتب له الخدمة والمؤذنين والائمة وغير ذلك والآن
 قد اندثر جميع المدارس وصارت جوامع ولم يبق مالا يختص بالتدريس وللمدرسين فيه رواتب من جهة الحكومة
 والاوقاف الاجامع الازهر فقط وتقام الجمعة فيه وفي جميع الجوامع المذكورة بل وفي بعض الزوايا وفي المقرري
 ان المدارس مما حدث في الاسلام لم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدثت بعد سنة أربع مائة من
 الهجرة وأول مدرسة بنيت ببغداد سنة سبع وخمسين وأربع مائة ومصر كانت حينئذ في يد الانساطميين وهم شيعة
 اسماعيلية وأول ما علم إقامة درس من قبل السلطان بعلوم جارل طائفة من الناس كان في خلافة العزيز بالله نزار بن
 المعز لدين الله في الجامع الازهر والوزير يعقوب بن كلس كان يقرأ درساً في داره كان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم
 وعمل مجلساً بجامع عمرو أيضاً ولما صارت مصر الى الايوبيين وجلس على تختها يوسف صلاح الدين أبطل مذهب
 الشيعة من جميع الديار المصرية وأقام به المذهب الامام مالك والامام الشافعي وأول مدرسة حدثت بديار مصر
 كانت بجوار الجامع العتيق بناها صلاح الدين سنة ست وستين وخمس مائة وعرفت بالمدرسة الناصرية وكانت
 للشافعية وبنى في السنة المذكورة المدرسة القمعية بقرب الناصرية للمالكية وبنى أيضاً المدرسة السيوفية
 للشافعية وحذا حذو صلاح الدين خلفاؤه من الايوبيين حتى كانت عدة المدارس بعد زوال ملكهم خمساً وعشرين
 مدرسة منهم الخاصة الشافعية سبعة وللمالكية ستة وأربعة للحنفية واحدة للحنابلة وتارة كان يدرس بالمدرسة
 مذهباً فكان للشافعية والمالكية معاً أربعة مدارس ومشاها للشافعية والحنفية ولما تولى الملك من بعدهم
 مما يليكهم ساروا سير ساداتهم وحذا حذوهم أمرؤهم وأصحاب الاموال من الرجال والنساء حتى كمل عدد المدارس
 الى آخر حياة المقرري خمساً وأربعين مدرسة في نحو مائة وثمانين سنة وصار في القاهرة سبعون مدرسة يدرس بها
 المذاهب الاربعة وبعضها كان مختصاً بالصوفية وكان يتألق في بناء تلك المدارس وزينتها وزخرفتها وترخيمها وتعمل
 لها الشبايل من النحاس المكفت بالذهب والفضة وتصفح أبوابها بالنحاس البديع الصنعة المكفت ويجعل
 فيها خزائن كتب بها عدة من المصاحف والكتب في الحديث والفقه وغيرهما من أنواع العلوم وكان يتألق في عظم
 المصاحف وكتابتها ما كان طوله أربعة أشبار الى خمسة وعرضه قريب من ذلك ولها جلود في غاية الحسن معمول في
 أكياس الحرير الاطلس وكانت العادة عند انتهاء عمارة المدرسة أن يدعو صاحبها القضاة والاعيان وغيرهم من الامراء
 وعداهم سماً طاجيلاً وتتلأ البركة التي توسط المدرسة ماء قد أذيب فيه سكر من جعاء اللبون ويسقى منه الحاضرون
 وفي الجلسة يقرر المدرسين في المذهب أو المذاهب وفي الحديث والتفسير ويخضع عليهم الملابس الفاخرة ويقرر لكل
 من المدرسين طائفة من الطابة ويجري عليهم الرواتب من الخبز في كل يوم ومن الدراهم في كل شهر ويرتب الامام
 والقومة والمؤذنين والقراشين والمباشرين ويوقف عليهم الاوقاف الدارة وقد بينا أوقاف بعض تلك المدارس وما
 لحقها من التغيرات والا - وال في هذا الكتاب ومن ابتداء القرن التاسع الى القرن الثاني عشر يعني مدة ثلاثة قرون

قد أهمل أمر المدارس وامتدت أيدي الاطماع الى أوقافها وتصرف فيها النظار على خلاف شروط وقفها وامتنع
 الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة فاخذوا في منارقتها وصار ذلك يزيد في كل سنة عما قبلها الكثرة الاضطرابات
 الحاصلة بالبلد حتى انقطع التدريس فيها بالكلية ويبحث كتبها وانتهت ثم أخذت تتشعث وتخرّب من عدم
 الالتفات الى عمارتها ومرمتها فامتدت أيدي الناس والظلمة الى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها حتى آل به ضلوك
 المدارس الفخيمة والمباني الجليلة الى زاوية صغيرة تراها مغلقة في أغلب الايام وبعضها زال بالكلية وصار زريبة أو
 حوشاً أو غير ذلك كما ينه في هذا الكتاب ولله عاقبة الامور ❦ ومن ابتداء جلوس العزيز محمد علي على تخت الديار
 المصرية أخذت الحكومة في التشديد على حفظ ما بقي من تلك المباني ومن فيض مراحها أنشأت عدة مساجد في
 القاهرة وغربها وعمرت القديم واعدته للعبادة وحذا حذو خلفائه في هذا الامر الجليل ورتب ديوان الاوقاف
 لحفظ تلك المباني وأوقافها والصرف عليها ووجهت جل عنايتها الى أمر التربية فساعدت طلبة الأزهر والمدرسين به
 فانتظم سير التعليم فيه وكثرت طلبة العلم في المذاهب الاربعية في مدته ومدة خلفائه حتى بلغ عددهم في سنة تسعين
 ومائتين وألف هجرية تسعة آلاف وأربعمائة واحد وأربعين طالباً منهم شافعية أربعة آلاف وخمس مائة
 وسبعون ومالكية ثلاثة آلاف وسبع مائة وعشرة وخمسة آلاف ومائة واحد وثلاثون وحنابلة ثلاثون طالباً
 وأما عدد المدرسين في المذاهب الاربعية فبلغ ثلثمائة وأربعمائة وعشر والجاري صرفه الآن من ديوان الاوقاف على
 الجامع الأزهر ومن به من العلماء والطلبة ألفان وخمسمائة وتسعة عشر جنهما واثنان وستون قرشاً ونصف نقدية
 وخبر وذلك خلاف الجاري صرفه للمدرسين من الروزنامة والجاري صرفه من الاوقاف لباقي الجوامع والزوايا
 والاضرحة في مرتبات وزيت وشموع وحصر واحياء لئلا ثلاثون ألفاً وأربعمائة وتسعة وأربعون جنهما وثمانية
 وثلاثون قرشاً والجاري صرفه على المكاتب التابعة للديوان المذكور أربعة عشر ألفاً وستة وستة وعشرون جنهما
 واحد وأربعون قرشاً يعني ان مجموع الجاري صرفه في السنة الواحدة على اقامة الشعائر الدينية وعمارات محلاتها
 سبعة وأربعون ألفاً وخمسمائة وخمسة وتسعون جنهما واثنان وأربعون قرشاً ❦ ثم ان الحكومة وجهت أنظارها
 الى انشاء مدارس لتربية الشبان ونشر العلوم والفنون والصنائع ففي زمن المرحوم محمد علي أنشئت مدرسة الطب في
 سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف وجلب لها مائة تلميذ من طلبة الأزهر ورتب لهم معلمين جلبهم لها من بلاد الافرنج
 ثم رتب المهندسخانة لتعليم العلوم الرياضية ومدرسة البحرية ومدرسة الزراعة وأخرى لتعليم اللسان الاجنبية
 ومدرسة لتعليم الصنائع والحرف ومدرسة للموسيقى هذا فضلا عن المدارس العسكرية وهي مدرسة للطوبجية
 ومدرسة للخيالة ومدرسة للبيادة هذا فضلا عن المكاتب التي انظمها بالقاهرة والاسكندرية ومدن الاقاليم المصرية
 وقد بلغ عدد الشبان الذين كانوا يتلقون العلوم والصنائع في وقته تسعة آلاف ولم يكتف بذلك بل جعل يرسل الى
 البلاد الاجنبية الارسلات المتوالية من أذكى الشبان للتبحر في المعارف وجعل لكل فن من العلوم طائفة منهم
 وبلغ عدد المرسلين الى فرنسا أربعة وأربعين تلميذاً لحقهم غيرهم وفي سنة ثمانية وأربعين بلغ عددهم ستين تلميذاً والى
 سنة ألف ومائتين وثمان وخسين كانت جملة المرسلين مائة وأربعة عشر تلميذاً وقد نجح منهم الكثير وحصل النفع
 بهم في مصالح البلاد وفي سنة ستين ومائتين وألف أرسل أنجاله من ارسالية كبيرة قدرها سبعون تلميذاً وفتح لها
 مدرسة مسجلة في مدينة باريس لتعليم الفنون العسكرية ولم تزل الارسلات تتعاقب وتحتضر الى مصر ويوظفون
 في المصالح كتعليم الفنون الحربية والتعليمات العسكرية وأشغال الهندسة كعمل المباني والترع والقنطرة وعمل
 الآلات وادارة الورش والمعامل واستخراج الزيوت وعمل الصابون والشمع والعطريات وتكرير السكر وعمل
 الاسلحة النارية والسيوف والسكاكين والمطاوي والساعات وطقومة الخيل وسبك المعادن وتركيب الاحجار
 الثمينة والحياكة والتجليد وصناعة الورق وعمل الاستحكامات وغير ذلك مما يطول شرحه وقد ظهرت ثمراته في البلاد
 المصرية واستمرت الى الآن وكان كلما علم عزيمة في جهة أرسل اليها من يعهد فيه الاستعداد للحصول عليها فأرسل الى
 بلاد الانجليز وبلاد ايطاليا وبلاد النمسا والمانييا فانتشرت المعارف المعاشية في البلاد المصرية بعد خفائها وقد
 حذا حذو خلفائه وساروا على منهجه وان كان في زمن المرحوم سعيد باشا حصل فتور في سير التعليم لكن لما آل

الامر الى الخديوي اسمعيل باشا اخذ التعليم في سيرة القديم ومن اهتم به بأمر التربية زاد في النفقة عليه فانتسح
 نطاق التربية وزادت رغبة الناس في تربية أولادهم ولم يكتب الخديوي المذكور بالمدارس السابق ذكرها بل أنشأ
 مدرسة للقوانين والشرائع وهي المعروفة بمدرسة الادارة ومدرسة لتربية الخوجات عرفت بدار العلوم أخذت
 تلاميذها من طلبة الجامع الأزهر وهو أول من فتح مدرسة للبنات وأخرى للخرس والعميان من الذكور والاناث
 وأنشأ مدارس في مدن الاقاليم جعل فيها التعليم على النسق الجاري في المدارس الميرية وأنشأ مجلة مكاتب أهلية في
 القاهرة والاسكندرية جرى التعليم فيها على هذا النسق وجعل للنفقة عليها ايراد شغل الوادي وما يتحصل من
 الاوقاف الخيرية بناء على لأئحة عملت لذلك وما يدفع من أهالي الاولاد على حسب اقتدارهم ومن رغبة الناس في
 تربية أولادهم ظهرت مكاتب متعددة قبل فيها الراغبون للتعليم من كافة طوائف الخلق وتسابق المسلمون والنصارى
 في هذا الامر فكثر المدارس الاسلامية والافرنجية وزادت تلك الرغبة بعمار أو من اعطاء الاعانات من طرف
 الحكومة للمساعدة على التعليم والتعلم والى سنة تسعين ومائتين وألف بلغ عدد المدارس الميرية احدى عشرة مدرسة
 وعدد تلاميذها ألفا وتسعمائة وثمانية عشر تلميذا منها أربع مائة وخمسة وأربعون بمدرسة البنات وفيها من الخوجات
 مائة وتسعة وستون خوجة وفي مدارس المديرية ثمانمائة وأربعة وستون تلميذا وفيها من الخوجات خمسة
 وأربعون وفي المكاتب الاهلية المنتظمة ألف وتسعمائة واحد وسبعون تلميذا وفيها من الخوجات اثنان وتسعون
 فيكون مجموع الجاري النفقة عليه من طرف الحكومة ووقف الوادي أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة وخمسين
 تلميذا وثمانمائة خوجة وستة خوجات وهذا خلاف المدارس العسكرية وكان المخصص لديوان المدارس الملكية من
 المالية في كل سنة نحو ثمانية وأربعين ألفا وخمسة عشر جنيتها وكانت المدارس تحصل على نحو عشرين ألف جنيه
 من ايراد الوادي خلاف سبعة آلاف جنيه من ديوان الاوقاف فيكون المجموع نحو خمسة وسبعين ألف جنيه وفي
 القاهرة وضواحيها سبع وثلاثون مدرسة للاقباط واليهود والارمن والافرنج بها من التلامذة ثلاثة آلاف وستمائة
 وثمانون تلميذا منها اثنا ألف ومائة وأربعة وسبعون وفيها من الخوجات مائتان واحد وعشرون وأعطى لاكثر
 هذه المدارس اعانات بعضها نقدية وبعضها أرض أحسن بها عليها الا صرف من ريعها ولم تغير الحوادث التي طرأت
 على القطر وغيرت محاسن رغبة الناس في التعلم واكتساب أولادهم حسن التربية ومن ذلك وعدم امكان قبول كل
 الراغبين في المدارس الميرية على سننها القديم قد جعلت في قانونها الجديد التلامذة داخلية وخارجية وفرضت عليهم
 مبالغ في مقابل التعليم فوق طاقة الفقراء منهم وان قدر عليهم أهل الثروة فالرغبة في دخول المدارس الميرية قليلة
 لانقطاع الامل من الانتفاع بثمرات التعليم فعدم رجا اجتناء الثري صدم المرء عن غرس الشجر  والموجود
 الآن بالقاهرة من الاضرحة مائتان وأربعة وتسعون ضريحاً بعضها داخل دوائر وله خدمة والبعض داخل بيوت
 وفي زوايا الحارات والعطف وهي اما قبور أمراء أو صالحين وقد تترجنا بعض من وقفنا على ترجمته منهم ويوجد
 بالقاهرة أيضا غير هذه الاضرحة مائتان وخمس وعشرون زاوية والمقريري لم يترجم سوى ست وعشرين زاوية
 وترجم اثنين وخمسين مسجداً منها بالقرافة الكبرى التي كان بها جامع الاولياء وذكروا أن محله الآن الحوش
 المعروف بحوش أبي علي ثلاثة وثلاثون مسجداً والباقي داخل البلد وترجم خمسة عشر مسجداً بالقرافة الصغرى
 التي بها قبر الامام الشافعي رضي الله عنه فيكون مجموع المساجد والزوايا ثلاثة وتسعين (أقول) ولا يبعد أنه مع
 تقلب الزمان اندثر اسم المساجد واستبدل باسم الزوايا أو صار من بعض الزوايا الموجودة الآن ومن ابتداء
 القرن التاسع الى وقتنا هذا كثير بناء الزوايا حتى بلغت العدد السابق ولا أدري ان كانت السبعة عشر رباطا التي
 تكلم عليها المقريري هي من ضمن ذلك أم لا منها خمسة بالقرافة والباقي في البلد وضواحيها وفي الزمان السابقة
 كانت الزوايا لاقامة بعض الصالحين للتعباد وفيها لم تكن تقام فيها الجمعة والا أن تغير الحال وصارت تقام الجمعة
 في أكثرها وأما الرباطات فكانت من المحلات الخيرية وبعضها كان لاقامة الصوفية وبعضها كان للنساء المنقطعات
 أو المهجورات أو المطلقات أو العجائز الارامل العابدات وكان لها الجرايات والمقامات المشهورة من مجالس الوعظ
 وقد انقطع ذلك من زمن مديد  وبالقاهرة الآن ثمان عشرة تكية موزعة في أخطاطها وهي محلات تقيم فيها

الدرأويش وجميعهم أعاجم وفي القديم كان يطلق على هذه الدور اسم خانقاه وقال المقرئ في انه احدثت في الاسلام في حدود الاربع مائة من سني الهجرة وجعلت اتخلى الصوفية فيها العبادة لله تعالى ونقل عن الشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد السمروردي رحمه الله أن الصوفي من يضع الاشياء في مواضعها ويدير الاوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ويستمر ما ينبغي أن يستمر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتي بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص اه أقول فمن كانت هذه صفاته يستحق أن يقتدى بقوله وفعله ونحن جميعاً نود أن تكون هذه الصفات صفات لصوفية عصرنا المنغمسين في نعم خير بلادنا نسأل الله الهداية والتوفيق وهو الهادي الى الصواب واليه المرجع والمآب ﴿١﴾ وأول خانقاه بديار مصر حدثت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة تسع وخمسين وستمائة برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم م م ووقف عدة املاك يصرف من ريعها عليهم اورتب للصوفية كل يوم طعاما لخمسة وخمسين لهم حماما بجوارها ثم لما انقرضت دولة الايوبية هذا حذوهم السلاطين الجراكسة وبعض الامراء فصارت في مصر الى أول القرن التاسع اثنيتين وعشرين خانقاه ثم انزال ملك السلاطين الجراكسة حصل ما حصل لامدارس من الاهمال وعدم الصرف وضياع الاوقاف التي عليهم افاندرأ عليها وتجرب كثير منها وبقي الامر على ذلك الى أيامنا هذه فاستبدلت بالتكايا كما تقدم وتوسى اسم الخانقاه بالكلية وهي كلمة فارسية معناها بيت العبادة ﴿٢﴾ وفي بعض تلك الزوايا والجوامع أنشروا لبعض الصالحين ترجمانهم ما أمكن الوقوف على ترجمته في هذا الكتاب ول بعضهم في كل سنة في أشهر ربيع - خمسة موالد لبعضهم يقيم الاسبوع وبعضها أكثر وبعضها أقل ولتمام الفائدة نورد هاهنا بأسماء أصحابها فنقول ان الموالد التي تعمل في السنة في مدينة القاهرة وضواحيها ثمانون مولدا موزعة على أشهر السنة هكذا * سبعة موالد في شهر شوال وهي مولد سيدى عبدالوهاب العفيفي ومعه مولد سيدى عبد الله المنوفي بقرافة المجاورين من ابتداء شوال لغاية ٢ منه ولكل منهم محاضرة في كل ليلة جمعة مولد سيدى أبي سليمان الخجاشي في بولاق بخط الواجهة من ابتداء شوال لغاية ١٦ منه مولد سيدى عمر البلقيني بحارة بين السيارج من ابتداء ١٤ شوال لغاية الشهر مولد سيدى عمر الاشقر بخط الواجهة من بولاق من ابتداء ٢٤ شوال لغايته مولد الشيخ علي الجبل بالقبالة من ٢٠ شوال لغاية ٢٥ منه مولد الشيخ داود أبي سيف بوكالة المقشات من بولاق من ١٠ شوال لغاية ١٨ منه مولد سيدى نصر ببولاق من ٨ شوال لغاية ١٥ منه * وخمسة موالد في شهر القعدة وهي مولد سيدى علي البيومي بخط الحسينية من ١٤ القعدة لغاية ١٢ وله محاضرة في كل يوم جمعة وقراءة في ليلة الاربعاء مولد الشيخ محمد العراقي بخط الواجهة من بولاق من ابتداء ٢ الشهر لغاية ١٠ منه مولد الشيخ القاسي بقنطرة الدكة بالازبكية من ٢٢ الشهر لغاية ٢٧ منه مولد الشيخ محمد الاخرس بالسبتية من بولاق من ابتداء ٢٥ الشهر لغايته مولد الشيخ أبي الفضل بخط الواجهة من بولاق من ١٨ الشهر لغاية ٢٥ منه * وعشرة موالد في شهر ربيع الاول وهي مولد النبي صلى الله عليه وسلم بجهة العباسية من غرة ربيع لغاية ١٢ منه مولد السيدة فاطمة النبوية بشارع زرع النوى بالدرب الاحمر من ابتداء ١٤ الشهر لغاية ٢٥ منه ولها محاضرة في كل ليلة ثلاثاء مولد السلطان أبي العلاء الحسيني ببولاق بشارع السكة الجديدة من ١٣ الشهر لغايته وله محضرتان في ليلة السبت وايلة الاربعاء مولد سيدى سعد الله الحسيني بالدرب الاحمر من ٢٢ الشهر لغايته مولد سيدى عبدالعزيز الديري في بحيرة المنيل من ١٨ الشهر لغاية ٢٦ منه مولد الشيخ سلامة أبي سرحان بكوم الشيخ سلامة بخط الموسيقى من ١٨ الشهر لغاية ٢٦ منه وله محاضرة في ليلة السبت مولد الشيخ محمد أبي الدلائل بحارة المذبح من بولاق من ابتداء ٢٨ الشهر لغايته مولد الشيخ هلال بحارة زعتره بجوار السلطان أبي العلاء من ابتداء ٢٨ الشهر لغايته مولد الشيخ سليمان الغنام ببولاق من ابتداء ٤ الشهر لغاية ٩ منه مولد الشيخ درويش العشماوى بخط العشماوى من ابتداء الشهر لغاية ١١ منه * ومولدا واحد في شهر ربيع الثاني وهو مولد سيدنا ومولانا الامام الحسين بن علي رضى الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتداء ١١ الشهر لغايته وله محاضرة في ليلة الثلاثاء وأخرى في يوم السبت * واحد عشر مولدا في شهر جمادى الاولى وهي مولد السيدة سكينه ومولد الشيخ ابراهيم النازر بخط الخليفة من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٣ منه ومحضرته ليلة

الخديس مولد السيدة رقية بنت الخليفة من ابتداء ١٨ الشهر لغاية وحضرته في كل ليلة سبت مولد سيدي
 محمد الانور بخط الخليفة من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٣ منه مولد سيدي ابراهيم المناوي بخط الخليفة بدرب
 الحصر من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٣ منه وحضرته في كل ليلة اربعاء مولد سيدي ابراهيم المتبولي بجوار كبرى
 بوابة الحديد من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٣ منه وحضرته في يوم الثلاثاء مع ليلة الاربعاء مولد سيدي علي
 الخواص بخط الحسينية من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٦ وحضرته في كل ليلة سبت مولد الشيخ يونس السعدي
 بباب النصر من ابتداء ١٤ الشهر لغاية ٢٢ منه وحضرته في كل ليلة جمعة مولد سيدي علي الكعكي بشارع وكالة
 الفسيخ من بولاق من ابتداء الشهر لغاية ٢٢ منه مولد سيدي علي زين العابدين خارج بوابة السيدة زينب من
 ١٧ الشهر لغاية ٢٣ منه وحضرته يوم السبت مع ليلة الاحد مولد سيدي حسن الانور بضم الخليج من ابتداء
 ٢٥ الشهر لغاية مولد سيدي محمد شمس الدين الرملي بميدان القطن من ابتداء ٢٨ لغاية وحضرته في كل ليلة
 جمعة وسبعة موالد في جادى الثانية وهى مولد سيدي علي الرفاعي بجهة العباسية من ابتداء ٥ الشهر لغاية ١٣
 منه وحضرته في كل ليلة جمعة مولد سيدي اسمعيل الانبائي بقرية ابابيه من ابتداء ٨ الشهر لغاية ١٦ منه
 وحضرته في كل ليلة سبت مولد سيدي محمد الطيبي بقم الخليج من ١٢ الشهر لغاية ٢٠ منه مولد السيدة نفيسة
 رضى الله عنها بخط الخليفة ببوابة الخلاء من ٥ الشهر لغاية ٢٦ منه وحضرته في يوم الاحد مع ليلة الاثنين مولد
 الشيخ المنظر بشارع الخليفة من ١٣ الشهر لغاية ٢٦ منه مولد السيدة زينب رضى الله عنها من ٢٥ الشهر
 لغاية ١٧ رجب ولها حضرتان الاولى في يوم الاحد والثانية ليلة الاربعاء مولد الاحدين بخط الشبراوي من
 بولاق من ٢ الشهر لغاية ٨ منه وعشرة موالد في رجب وهى مولد الشيخ الدشوطي بخط العدوى من ٢٠
 الشهر لغاية ٢٧ منه وحضرته في كل يوم جمعة مولد سيدي عبد الوهاب الشعراوى بشارع الشعراوى من ١٧
 الشهر لغاية وحضرته في كل يوم سبت مولد سيدي عيسى العدوى بخط العدوى من ٢٧ الشهر لغاية ٢ شعبان
 مولد الشيخ عبد الله بالاسماء بشارع الشيخ زيجان من ابتداء ٦ الشهر لغاية ١٣ منه مولد اولاد عنان
 ببوابة الحديد من ٢ الشهر لغاية ١٠ منه وحضرته في كل يوم سبت مولد القلى ببوابة الحديد من ٧ الشهر
 لغاية ١٥ منه مولد الشيخ سعيد بن مالك بالسبتية من بولاق من ٣ الشهر لغاية ١٠ منه مولد سيدي محمد
 شمس الدين الواسطي بسوق العصر من بولاق من ١٨ الشهر لغاية ٢٣ منه مولد سيدي علي المحجوب بدرب
 محجوب بخط الجلادين من بولاق من ٢٠ الشهر لغاية ٢٣ منه مولد سيدي محمد العلمي والشيخ سالم ببولاق بقرب
 السلطان ابي العلاء من غرة الشهر لغاية ٨ منه وعشرون مولد في شهر شعبان وشي مولد الامام
 الشافعي رضى الله عنه بالقرافة الصغرى يوم الثلاثاء من غرة الشهر أو قبله لغاية ٩ منه أو قبله وحضرته في كل يوم
 جمعة مع ليلة السبت مولد الامام الليث بن سعد رضى الله عنه بالقرافة الصغرى من ١٠ الشهر لغاية ١٥ منه
 وحضرته في كل ليلة سبت مولد السيدة عائشة النبوية ببوابة حجاج من غرة الشهر لغاية ٨ منه وحضرته في كل
 ليلة اربعاء مع الشيخ محمد السمان بالقرافة الصغرى من ٢ الشهر لغاية ١٠ منه مولد الشيخ اسمعيل ضيف بالقرافة
 الصغرى من ٢ الشهر لغاية ١٠ منه مولد الشيخ علي القادري بالقرافة الصغرى من ٢ الشهر لغاية ١٠ منه
 مولد الشيخ أحمد الدنف بالقرافة الصغرى من ٣ الشهر لغاية ١٠ منه مولد السادات البكرية بالقرافة الصغرى
 من ١٠ الشهر لغاية ١٥ منه مولد سيدي عتبة بالقرافة الصغرى من ١٠ الشهر لغاية ١٨ منه مولد
 السادات الوفائية بن اوية الوفائية بسفح الجبل من القرافة الصغرى من ١٨ الشهر لغاية ٢٣ منه مولد سيدي
 عمر بن الفارض بسفح الجبل من القرافة الصغرى من ٢٠ الشهر لغاية ٢٣ منه مولد سيدي محمد الجيوشي بالجبل
 من ٢٠ الشهر لغاية ٢٣ منه مولد سيدي يحيى بن عقب بالكعكيين من ٨ الشهر لغاية ١٥ منه وحضرته في
 كل ليلة خميس مولد سيدي محمد البحر بباب البحر من ٨ الشهر لغاية ١٥ منه وحضرته في كل ليلة خميس مولد
 سيدي أبي عبد الرحيم الدمرداش بالعباسية من ٨ الشهر لغاية ١٥ منه وحضرته كل ليلة جمعة مولد سيدي
 محمد الصوابي بالحسينية من ١٤ الشهر لغاية ٢٢ منه وحضرته في كل يوم جمعة وتحضرها النساء المرضى مولد

الشيخ علي البنهاوي بدرب محبور من خط الحسينية من ابتداء ١٦ الشهر لغاية ٢٢ منه مولد الشيخ معاذ بالدراسة
 بخط الازهر من ١٢ لغاية ٢٠ منه مولد الشيخ الخضيرى بحذرة الحناء من شارع الصليبية من ٥ الشهر لغاية ٢٠
 وحضرته في كل ليلة اثنين مولد الاستاذ العدوي بباب الشعرية من ٢١ الشهر لغاية ٢٥ منه وحضرته في كل
 ليلة سبت مولد الشيخ عبد الله الزهار بقنطرة الليون بالا ز بكية من ٧ الشهر لغاية ٩ منه مولد الشيخ خليل
 الكردي بخط الجلادين من بولاق من ١٨ الشهر لغاية ٢١ منه مولد الشيخ علي الفصيح بالخطابة من بولاق من ٣
 الشهر لغاية ١٠ منه مولد الشيخ الغري بطولون من ٢٢ الشهر لغايته مولد الشيخ عبد الكريم بالجمالية من
 ١٩ الشهر لغايته مولد السلطان الحنفى والشيخ صالح أبى حديد بخط الحنفى من غرة الشهر لغاية ٢٧ منه وحضرته
 السلطان الحنفى في كل يوم سبت وليلة تخيس مولد الشيخ محمد العتريس بجوار السيدة زينب من ٢٧ الشهر لغايته
 ثم ان بعض هذه الموالد يلزم زمنه وشهره العربي الذي يعمل فيه ولا يتحول عنه شتاء ولا صيفا فتارة تراه في الصيف
 وتارة في الشتاء على حسب دوران الزمان كمولد النبي صلى الله عليه وسلم وسيدنا الحسين والامام الشافعي
 والسيدة زينب والسيدات الطاهرات أهل البيت رضى الله عنهم أجمعين وبعضها يتحول من شهر الى شهر وهو الملازم
 للشهر القبطية كمولد سيدى على البيومى وغيره من الاولياء رضى الله عنهم جميعا (أقول) وفي زمن الموالد المذكورة
 تكثر حركة الناس خصوصا أهل الخط الذي به المولد وتروج البضائع سيما الحلوى والحصى والفول والترمس والنسحق
 وأصناف المأكولات وينتفع بعض الفقراء وطوائف الشعوذة كالخوذة وخيال الظل والمراجمية ونحو ذلك وتنال
 خدمة الاضحية في تلك الايام من النذور والصدقات أضعاف ما تناله في غيرها ويكثر ذلك ويقل تبعا لاتساع شهرة
 المولد وكثرة الواردين وقلته من الزوار من أهالى المدينة وضواحيها والعادة في تلك الايام أن أكثر السكان
 المجاورين لمحل المولد يعملون وقفات وخفقات وأذكارا ولا يذهبون في أماكن أخرى من أحياءهم وأحبابهم وفي
 الموالد الكبيرة مثل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد سيدنا الحسين والسيدات والامام الشافعي تمكث الحركة
 في جميع البلد وتنسج دائرة كدساب الخدمة وغيرهم مما ذكرناه من الباعة ونحوهم وتكثر الولائم والوقفات أمام
 البيوت والدكاكين ولربما عم ذلك بعض الشوارع الكبيرة حتى يتخيل الناظر أن المدينة مهيمنة وينشأ عن ذلك
 التفريح العام والسرور التام والاعجام القاطنون بالقاهرة ينضلون السككى بقرب المشهد الحسينى عن غيرها
 ويتظاهرون في موالد مبالغة الفاخرة والولائم العظيمة ويحزنون عليه حزنهم المشهور وهو من ابتداء المحرم من كل
 سنة يجتمعون في منزل يتخذونه لذلك ويسكنون من الداخل بالكشامير والاقمشة المفخرة ويفرشونه بالبط
 والسجاد جيد ويوقدون وقفات فائقة ويدعون من أرادوا من أصحابهم وأحبابهم وبعد الكل يقوم منهم خطيب
 يصعد فوق منبر صغير ويخطب خطبة بالفارسية تتضمن رثاء أهل البيت وبترنم فيها بالنوح والتعديد واطهارا لحزن
 والاسف والسكابة ويبكى ويبكى الحاضرين وبعد فراغه يشربون الشاي وينصرفون وهكذا يفعل في الليلة الثانية
 والثالثة الى ليلة عاشوراء فيتوسعون في الوليمة ويكثر من دعوة الامراء والاعيان ثم بعد الساعة الثانية من الليل
 يتهيئون في صورة موكب يحضره كبيرهم وصغيرهم ويصطفون صفوفًا وبأيديهم السيوف وبين صفوفهم
 شاب على حصان ملبسه كلبسهم البياض فتنتظم وانشوا نوح المشهد الحسينى وهم يصيحون ويقولون حسين
 حسين ويبكون يحزنون ويضربون جباههم وصدورهم بما فى أيديهم من السلاح والدم يسيل على ملابسهم
 ومتى كانوا عند المشهد وقفوا برهة ثم يعودون الى المنزل من طريق أخرى على الصورة التى ذكرناها وعند الشيعة
 في بلاد الفرس يعتنى ليلة عاشوراء ويعمل فيها مثل ذلك بل أكثر والمقرىزى تكلم بالاطناب على ما كان يعمل
 في يوم عاشوراء قبل وجود المشهد الحسينى بالقاهرة فما قاله ان خلقا كثيرا من الشيعة وأشياءهم كانوا انصرفوا
 الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالنيابة والبكاء على الحسين عليه
 السلام وكسروا أواني السقائين في الاسواق وشققوا الرواياوسبوا من يتفق في هذا اليوم وتغلق الناس
 الدكاكين وأبواب الدور وتتعلل الاسواق وقال ان مصر كانت لا تحلو منهم في أيام الاخشيديين والكافورية في يوم
 عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة وكان السودان وكافورية يصوبون على الشيعة وفي كل سنة في هذا اليوم تتعلل

الاسواق وتخرج المنشدون الى جامع القاهرة وينزلون مجتمعين بالنوح والنشيد وكانوا يلقون على الحوانيت لاخذ
شيء من أربابها حتى ان قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان جمع المنشدين وأمرهم أن لا يتكسبوا بالنوح والنشيد
ومن أراد ذلك فعليه بالعصاة ثم لما استجد المشهد الحسيني بالقاهرة زاد الاعتناء بيوم عاشوراء وقد وصف المقرري
السماط المختص بيوم عاشوراء في أيام الفضل فقال وفي أيام الفضل ابن أمير الجيوش عبي السماط المختص بعاشوراء
وهو سفرة كبيرة من ادم والسماط بعلمها وجميع الزبادي اجبان وسلاط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج
الفضل وجلس على بساط من صوف من غير مشورة واستفتح المقرؤون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السماط
لهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الفضل الى آخر السماط عدس اسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السماط
ثم رفع وقدمت صحون جميعها غسل فحل ثم قال في جلوس الخليفة الامير بأحكام الله انه يجلس على كرسي جريد بغير
مخدة ملثما هو وجميع حاشيته فيسلم عليه الوزير والامراء والقاضي والداعي والاشراف وهم بغير مناديل ملتون
حقاة وعبي السماط وجميع ما عليه خبز الشعير وقد اطلب المقرري في ذلك فليراجع والبيوت التي يتعبد فيها فرق
النصارى واليهود يطلق عليها في زمانها هذا اسم كنيسة فيقال كنيسة النصارى وكنيسة اليهود وكنيسة الارمن ونحو
ذلك وأطلق أهل العلم والمفسرون اسم الصوامع على بيوت عبادة الصابئين والبيعة للنصارى والصلوات كنائس اليهود
والمساجد للمسلمين والكنيسة كلمة عبرانية معناها بالعربية الموضع الذي يجتمع فيه للصلاة قال الزجاج والصلوات هي
بالعبرانية صلواتنا والموجود الآن بالقاهرة وضواحيها ثلاثون كنيسة منها لليهود احدى عشرة كنيسة واحدة منها
بدير الشمع وهي أقدمها وعشرة بحارة اليهود بالقاهرة وجميعها حداث والسنة عشرة فرق النصارى من أقباط وأروام
وشوام وأرمن وافرنج وقد تكلمنا على جميع ذلك في حارات القاهرة من هذا الكتاب والمقرري أطال القول فيما
يتعلق باليهود وتاريخهم وكنائسهم وأعيادهم وفرقهم الاربع وهم الربانيون قيل لهم ذلك لانهم يعتبرون أمر البيت
الذي بنى ثانيا بعد عودهم من الجلاية والقراء مما بذلك لانهم بنو مقرا ومعنى مقرا الدعوة وهم لا يعولون على البيت
الثاني جملة ودعوتهم انما هي لما كان عليه العمل مدة البيت الاول والعانية ينسبون الى عانان رأس الجالوت من
أكبر أخبار اليهود والسمة يقال انهم من بنى سامرك وهو شعب من شعوب الفرس ويقال لهم السامرة وكانوا
بمدينة شمرون أو سمرون بالسين المهملة وهي مدينة نابلس وذكر لهم خمسة أعياد عيد الفطير وهو الخامس عشر
من نيس يقيمون سبعة أيام لا يأكلون سوى الفطير وهي الايام التي تخلصوا فيها من فرعون وأغرقه الله وعيد الاسابيع
بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع وهو اليوم الذي كام الله تعالى فيه بنى اسرائيل من طور سيناء وعيد رأس الشهر وهو
أول تشرى وهو اليوم الذي فدى فيه اسحق عليه السلام من الذبح وعيد صوماريا يعني الصوم العظيم وعيد المظلة
يستظلون سبعة أيام بتضبان الآس والخلاف وتكلم المقرري أيضا على معتقداتهم وصلواتهم وتزوجهم وغير ذلك
فليراجع من شاء وكذا تكلم على قبط مصر فقال ان النصارى فرق كثيرة وهي الملاكية والنسطورية واليعقوبية
والبوزعانية والمرقولية وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحي حران وقال لما دخل المسلمون مصر كانت مشحونة
بالنصارى وكانوا قسعين متباينين في أجناسهم وعقائدهم احدثهم أهل الدولة وكلهم روم من جنس صاحب
القسطنطينية ملك الروم ورأيهم وديانهم الملكية وكانت عدتهم تزيد على ثلثمائة ألف رومي والقسم الثاني عامة أهل
مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يميز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الاسرائيلي الاصل من
غيرهم وكلهم يعاقبة فمنهم كتاب المملوك ومنهم التجار والباعة ومنهم الاساقفة والقسوس ونحوهم ومنهم أهل الفلاحة
والزرع ومنهم أهل الخدمة والمهنة وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العدوان ما يمنع من انكسارهم ويوجب قتل بعضهم
بعضا فلما قدم عمرو بن العاص قاتله الروم وغلبهم وطالب منه القبط المصالحة فصالحهم على الجزية وأقرهم على ما
بأيديهم من الارض وغيرها وصاروا عونا للمسلمين على الروم وكتب عمرو لابن مينا بطرق اليعاقبة أمانا في سنة عشرين
من الهجرة فسر ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسي البطركية بعد ما غاب عنها ثلاث عشرة سنة فغلبت اليعاقبة
على كنائس مصر ودياراتها وانفردوا بها دون الملكية وبقي الامر على ذلك الى سنة مائة وسبعة هجرية أقام ملك الروم
لاون اقسما بطرق الملكية في الاسكندرية فغضى بهدية الى الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب له برد كنائس الملكية

اليوم وكان الملكية أقاموا أسبوعا وسبعين سنة بغير بطرق وفي أثناء ذلك طلب بلاد النوبة أساقفة فعيّنوا لهم من أساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة وأطال المقريري القول في ذلك فقال ان النصراري سبع صلوات وصيامهم خمسون يوما الثاني ربيعون منه عيد الشعانين وهو اليوم الذي نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس وبعده بأربعة أيام عيد الفصح وهو اليوم الذي خرج فيه موسى وقومه من مصر وبعده بثلاثة أيام عيد القيامة وهو اليوم الذي خرج فيه المسيح من القبر بزمعهم وبعده بثمانية أيام عيد الجدي وهو اليوم الذي ظهر فيه المسيح لتلاميذه بعد خروجه من القبر وبعده بثمانية وثلاثين يوما عيد السلاقي وهو اليوم الذي صعد فيه المسيح إلى السماء ولهم عيد الصليب وهو اليوم الذي وجدت فيه خشبة الصليب ولهم أيضا عيد الميلاد وعيد الذبح ودرجات رجال ديارهم أدناها شمس وفوقه قيس وفوقه أسقف وفوقه مطران وفوقه بطريرق وقد تكلم المقريري على ديارهم القديمة وكنائسهم ودياراتهم وما تقابلوا فيه من الحوادث قبل الاسلام وبعده من يريد الوقوف على ذلك فليراجع الخطط ومحلات السكن والتجارة بالقاهرة ومصر وضواحيها وبولاق على حسب الوارد بدفاتر الدائرة البلدية سنة أربع وتسعين ومائتين وألف هلالية هي كالآتي أشخاص

٢٦٥٦٣	منازل مملوكة لأربابها	٢١٤٦١	وكائل موزعة في أخطاط البلد في ملك	٢٥٥
١٢٣٩٠	دكاكين مملوكة لأربابها	٣٤٧٨	قيعان لتسج الحرير في ملك	٤٨
٥٢٨	رباع مملوكة لأربابها	٣٣٠	قيعان أرضي	١٢٩
٤٤١	مصايف نيحة وبلونات مملوكة	٢٨٩	عشش	٣٨٧٨
٩٥٥	حواصل مملوكة لأربابها	٥٠٧	زريبة بها تم حلايقة في ملك	٨٤
٣٨٤	طواحين خيالي مملوكة لأربابها	٤٥٨	مغالق خشب	١٠٢
٦٦٣	حيشان سكن شغالة مملوكة لأربابها	٥١٧	لو كاندات لاقامة الفرج المسافرين	١٦
١٥٩	أفران خبز في ملك أربابها	١٥٥	وابورات طجين في ملك	٤٤

وغيره هذه المباني بوجه دميان أخرى واردة دفتر الجرد لم يذكرها خوف الاطالة وهي معامل فول وتجاشب حطب ومقال حص وجارات وورش عربات ومسالك زهر ومناحات جمال ومدقات بن ومدقات قماش وحوانيت أموات واصطبلات خيول ومجموع المربوط عليه العوائد من منازل ودكاكين وغير ذلك هو ٥٠٤٥٣ ومبلغ العوائد المتحصلة في سنة ألف ومائتين وتسع وثمانين هو ١٨٩٩٠٦٣ غرش وهو قريب من تسعة عشر ألف جنيه مصري والمتحصل من كل غن هو كالآتي

١٥	٦٧٢٩٢٧	تمن الازبكية	٣	٠٩٠٣٣٩	تمن الدرب الآخر
٢١	٣٥٢٦٩١	تمن باب الشعريّة	٦	٠٧٠٥٣٦	تمن الخليفة
١٧	٢٥٥٣٩٩	تمن الجمالية	٧	٠٦٤٤٣٠	تمن قوصون
٣٢	١٠٦٠٢٧	تمن عابدين	٥	١٨٨٤٦٤	تمن بولاق
٢٤	١٠٠٢٤٧	تمن درب الجمالين			

فلوفرز ان تمن الازبكية وهو أعظم الاثمان ايرادا أربعة وعشرون قيراطا ونسبت اليه الاثمان الآخر بحسب ايرادها فيكون

٢٤	قيراطا تمن الازبكية	٤	قيراطا ورابع قيراطا تمن درب الجمالين
٢٣	قيراطا تمن باب الشعريّة	٣	قيراطا ورثلث قيراطا تمن الدرب الآخر
٩	قيراطا تمن الجمالية		قيراطا ونصف تمن الخليفة
٧	قيراطا تمن بولاق		قيراطا ونصف تمن قوصون
٤	قيراطا ورثلث قيراطا تمن عابدين		قيراطا ونصف تمن مصر القديمة

ولوزنتب الاثمان بالنسبة المدة المباني والمحلات الموجودة به المكان الاخر هكذا

عدد	عدد
٨٣٧٨ ثمن الازبكية	٤٥٧٢ ثمن مصر العتيقة
٧٧٧٣ ثمن بولاق	٣٩٥٧ ثمن عابدين
٦٦٥٥ ثمن الجمالية	٣٣٩٩ ثمن الدرب الاحمر
٥٨٩٠ ثمن باب الشعريه	٢٦٧٨ ثمن درب الحماميز
٥٠١٧ ثمن الخليفة	٢١٣٤ ثمن قوصون

وهالك جدول يشتمل على بيان القهاوى والخانات والبوزود كاسين العطاره والعلافين ومحلات القزازين والقماشين والزياتين في كل ثمن

بيان الاثمان	قهاوى	خانات	بوز	عطارين	قزازين	زياتين	قاشين	علافين	اجالى
ثمن الازبكية	٢٥٢	٢٢٨	١٥	٩٥	٨٣	٩٥	١٧	٤٨	٨٣٣
ثمن بولاق	١٦٠	٥٠	١٦	٨٦	٢١	٨٠	٣٨	٣٤	٤٨٥
ثمن عابدين	١٠٢	٣٧	١	٦٤	٧	٤٥	١٤	٢٥	٢٩٥
ثمن السيدة زينب	٧١	٣١	٢	٥٨	٢٨	٤٢	١٦	٢٦	٢٧٤
ثمن الخليفة	٧٥	١٩	١	٤٥	١٨	٤٣	٢٣	٣٣	٢٥٧
ثمن مصر العتيقة	٥٤	١٩	١	٢٨	٥	٣٧	٢٩	١٣	١٨٦
ثمن باب الشعريه	٦٦	٥٦	٣	١١٢	١٣٨	٧٨	٢٤	٤٤	٥٢١
ثمن قوصون	٨٥	٢٢	٥	٣٨	١٠	٢٧	٧	١٦	٢١٠
ثمن الجمالية	١٤٢	١٣	٢	٧٦	٣٤	٧٢	١٨٨	٣٦	٥٦٣
ثمن الدرب الاحمر	٦٠	١١	٠	١٥٦	٨	٣٦	٣٦	٢٦	٣٣٣
الجملة	١٠٦٧	٤٨٦	٤٦	٧٥٨	٣٥٢	٥٥٥	٣٩٢	٣٠١	٣٩٥٧

ويظهر مما كتبته الفرنسيه في خططهم ان عدد الحمامات التي تكلموا عليها وكانت موجودة لوقتهم تزيد على المائة والآلاف لم يكن بالقاهرة سوى خمسة وخمسين حماما فيكون ما نقص منها نحو ستة وأربعين حماما وبالنسبة لما بلغته المدينة من الاتساع وزيادة السكان فهو قليل جدا والصحة العمومية تطلب زيادتها فانا لو نسبنا عدد الحمامات الى جملة السكان لكان كل حمام يخص ألفين وستمئة نفس في مبدأ القرن الثاني عشر وفي وقتنا هذا ما يخص كل حمام سبعة آلاف نفس من تعداد البلد وهذا كثير جدا عما كان في مبدأ هذا القرن وإذا اعتبرت النسبة التي كانت حين ذلك بين عدد الحمامات والاهالي يكون اللازم نحو مائة وخمسين حماما وقد ذكر المسيحي في تاريخه ان العزيز بالله نزار المعز لدين الله هو أول من بنى الحمامات بالقاهرة وقال الشريف أسعد نقلا عن القاضي القاضي انه كان في مصر يعني القسطنطينية ألف ومائة وسبعون حماما (أقول) ولا يخفى ذلك من المبالغة وذكر ابن عبد الظاهر ان عدد الحمامات الى آخر سنة خمس وسبعين وستمئة يقرب من ثمانين حماما وفي كتاب قطف الازهار ان عدد الحمامات كان في سنة أربع وثلاثين ومائة وألف من الهجرة دون ذلك والحمامات التي تكلم عليها المقرئ في خمسة وأربعين حماما منها اثنا عشر حدثت في زمن الفاطميين وستة انشئت في زمن الايوبيين وفي زمن السلاطين الجراكسة انشئ اثنان وعشرون حماما فيكون مجموع ذلك أربعين حماما وينتج انه من ابتداء القرن التاسع الى مبدأ القرن الثاني عشر استجد بمصر نحو ستين حماما وأغلب هذه الحمامات موقوف وبأهلها ماتت وتصرف فيها الملاسة واستعوضت بمبان أخر حتى آلت الى

العدد الذي قدمنا ذكره **❦** ويوجد الآن بالقاهرة لمعالجة المرضى خمس استشفيات اثنتان للأوروبايين إحداهما بالعباسية وتعرف بالاستتاليا الأوروبايية والأخرى بالاسماعيلية وتعرف بالاستتاليا البرنسائية واثنتان للحكومة المصرية الأولى استتالية قصر العيني المحقة بمدرسة الطب أحدثها العزيز محمد علي وهي قسمان قسم للمرضى من الرجال وقسم للمرضى من النساء وبهما من الأسيرة نحو ألف ومائة وخمسين سريرا ومرتب بها الحكماء والأجراخانه والمأكل والمشرب والملبس وفي المدد السابقة كانت معالجة المرضى من فيض المراحم الخديوية والآن ترتب على المرضى ما عدا المثلث فقره منهم مبلغ يدفعه عن كل يوم أقامه بالاستتاليا حتى يشفي والثانية استتالية المجاذيب بالعباسية وهي مستجدة حدثت من فيض مراحم الحضرة الخديوية التوفيقية وهي قسمان أيضا قسم للرجال وقسم للنساء وبهما من الأسيرة نحو ثلثمائة سريرو وبها الحكماء والأجراخانه والخدمة اللازمة وقبل ذلك كانت المجاذيب في جزء من ورشة الجوخيل ولا يقبل بها هذا المحل الاستعداد اللازم وكان غير معتنى بأمر المجاذيب فانشئت هذه الاستتالية في بعض السراية الحمراء التي أنشأها الخديوي اسمعيل ثم أحرقت وعرفت باستتالية المجاذيب والخامسة استتالية اليهود وهي بجارة اليهود وكان يطلق في الأزمان السالفة على هذه المحلات الخيرية اسم المارستان وقد تكلم المقرري على ذلك في خططه فقال إن أول من بنى المارستان بمصر أحمد بن طولون سنة مائتين وأحدى وستين وجعله في القطائع وصرف عليه ستين ألف دينار وحبس عليه عدة دوريقوم ريعها بنفقة وعمل له حمامين واحد للرجال وآخر للنساء وشرط أنه إذا جى بالعليل ينزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالادوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ فإذا **ك**ل فروجا ورغينا أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه وكان يركب بنفسه كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر إلى المرضى وسائر الأهل والمحبوسين من المجانين فلما كانت الدولة الاخشيديية بنى كافور الاخشيدي في مدينة مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة مارستانا ولما استولى الفاطميون بنوا بالقاهرة مارستانا وفي سنة سبع وسبعين وخمسائة في زمن صلاح الدين يوسف ابن أيوب أمر بفتح مارستان المرضى والاضعفاء وأفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار واستخدم له أطباء وطبائعين وجراحين ومشارقا وعاملا وخداما وأمر بفتح المارستان القديم الذي كان به أورتب له من ديوان الاحباش عشرين دينارا واستخدم له طبيبيا وعاملا ومشارفا وفي سنة ثمانين وستمائة في زمن السلاطين الجراكسة بنى المارستان المنصوري وأوقف عليه من الاملاك بديار مصر وغيرها ما يقارب ريعه في كل سنة ألف ألف درهم والدرهم في هذا التاريخ يعادل ثمانية وأربعين سنتيما وهذا القدر يعادل أربعة وعشرين ألف بنتوذهبا وجعله وقفاً على كافة طبقات الناس ورتب فيه العاقيروا والأطباء وسائر ما يحتاج اليه من به مرض من الأمراض وجعل فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى وقرر لهم المعاليم ونصب الأسيرة للمرضى وفرشها بجميع الفرش المحتاج اليها في المرض وأفرد لكل طائفة من المرضى موضعا جعل مواضع للمرضى بالحليات ونحوها وأفرد قاعة للرمدي وقاعة للجرحى وقاعة لمن به اسهال وأخرى للمبرودين وأفرد للنساء قسما مخصوصا وجعل الماء يجري في جميع هذه الاماكن وأفرد مكانا لطبخ الاطعمة والادوية والاشربة وغير ذلك وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة عمل المؤيد شيخ مارستانا تحت القلعة محل مدرسة الاشرف شعبان ثم من ابتداء القرن التاسع اهل محل أمر المارستانات وفي زمن الفرنسيين تخرّب المارستان المنصوري وتغيرت معالمه وكان الموجود به من المرضى نحو ستين مريضاً وكان قسمين قسم للرجال وقسم للنساء وكل قسم له حوش مخصوص وكانت المرضى تقيم في محلات من الدور الارضية من غير فروشات والمجانين في جهة مخصوصة الرجال في قسم منها والنساء في قسم آخر وكان عددهم عشرة وفي رقابهم الحديد وكانت النساء تكاد أن تكون عرايا وصدرأمر رئيس الجيوش الى رئيس الحكماء بأن يتوجه ويعرض عليه ما يلزم فتوجه ومعه الشيخ عبد الله الشرقاوي وبعد أن عاين المارستان قرر أنه يكفي لمائة مريض وكان الموجود فيه سبعة عشر مريضاً وأربعة عشر مجنوناً سبعة من النساء وسبعة من الرجال ولم يعطوا شيئا غير الماء كل وهو عبارة عن خبز وأرز وعدس وعدد محلات المجانين من الرجال ثمانية عشر خلوة ومثلها للنساء وفي خطط

الفرنساوية ان عبد الرحمن كتحدا أنشأ استبالي النساء وكانت تحت الربع وكان به حين ذلك ستة وعشرون من
المرضى وكان يطلق عليها اسم تكيية (أقول) والظاهر انها هي تكيية المشائية الموجودة الآن وفي خطط فرنساوية
أيضاً ان بعض المرضى كان بتكيية الجبانة وبتكيية الاعجام ويعلم مما سبق انه من ابتداء القرن التاسع لم يكن بأمر
المرضى مع ان السلاطين من آل عثمان اعتمدوا به هذا الامر اعتناء كبيراً فقد وجد في دفاتر الروزنامة ان مقدار
الحبوب المتحصلة من أوقاف المساجد والمارستانات والتكايا مائة وأربعة وخمسون ألف اردب وثلاثمائة وتسعة
وثلاثون اردباً وغير ذلك خمسة مائة اردب وسبعة من وقف ابراهيم باشا على أثر النبي ومائتان وخمسة وعشرون اردباً
للعلماء الاربعة الموظفين بالافتاء في المذاهب وأربعة وستون ألف اردب لشريف الحرمين الشريفين هذا فضلاً عن
النقود التي كانت تحصل من ربيع الاوقاف وتحفظ تحت يد الروزنامي وكان مبالغها خمسة عشر ألفاً وخمسمائة
وسبعة وتسعين فرنكاً وترتبت معاشات متنوعة لأئمة المساجد والارامل واليتام وغيرهم من طرف سلاطين آل
عثمان واقتردى بهم من هذا خذوهم من أهل الخير من الامراء والذوات فبلغ مبلغ هذه المعاشات في وقت
الفرنساوية وحصره في دفاترهم مائتين وسبعة وتسعين ألفاً وستمائة وأحد وسبعين فرنكاً وترتب ائمة بعض
الروايا والاضحية والمولدات تكفين الاموات وغير ذلك أربع مائة وتسعون ألف فرنك فكان مجموع ما ترتب من الخيرات
المازدة كرهاة مائة وثلاثين ألفاً وثلاثمائة وثلاثة وعشرين بنتاً وذهباً منها نحو ألف بنتاً ومرتبات مدرسي الازهر وثمان
شموع تقاد في ليالي القرات وثمان أرزوعسل يفرق على الطلبة فلوصرفت هذه المبالغ في أبواب صرفها كارتها أصحابها
لما حصل للمباني الخيرية وأهلها ما حصل ولكن لما تطاولت يد الاطماع من أصحاب الكلمة عليهم واستحوذوا عليها
لانفسهم تعطلت جهاتهم واندرأغابها ولمأ أخذت العائلة العلوية المحمدية بزمام الاحكام حصل الالتفات للمباني
الخيرية والاهتمام بشأن رجال العلم حفظت المباني وتحسنت أحوالها وانتشرت المعارف وكثرت رجالها كما قدمنا
ذلك ومن شدة الاعتماد بأمر الصحة العمومية تنظمت قوانين ومجالس للصحة وكثر عدد الحكماء في مدن القطر وجهاته
وتعددت بيوت الادوية المعروفة بالاجزاخانات حتى بلغ عددها أربعين أجزاخانة موزعة في مدينة القاهرة
خلاف الاجزاخانات الميزية وهي موزعة هكذا

ستة بشارع كوت بيك ثمانية بشارع الموسكي ثلاثة بشارع عابدين خمسة بدائر البوستان بالازبكية اثنتان
بشارع الشعيرية واحدة بالخرنفس ثلاثة بقرب سيدنا الحسين ثلاثة بشارع محمد علي واحدة بالدرب الأحمر ثلاثة
بشارع الصليبية ثلاثة بشارع السيدة زينب واحدة بشارع النصرية واحدة بشارع عبد العزيز اثنتان بشارع
بولاق اثنتان بشارع الفجالة (أقول) ولم تظهر الاجزاخانات على الصورة الحالية الا في زمن العائلة المحمدية وقبل ذلك
كانت العقاقير تباع في دكاكين العطارين بحالتها الطبيعية فتشترى وتزجج على حسب ما توصف ويتعاطى منها
وذلك لا يخلو من الضرر بخلاف ما هو جار الآن فان العقاقير التي يأمر بها الحكيم للمريض تستحضر في بيوت
الادوية بمعرفة اناس درسوا علومها ووقفوا على حقائقها وتدريبوا على تحضيرها وأذنهم مجالس الصحة بمباشرة تحضيرها
في محلاته بعد ان امتحنهم في ذلك ويوجد الآن بمدينة القاهرة مائتان سبيل والسبيل عادة يتركب من ثلاث طبقات
الاولى تحت الارض وهي الصهريج وهو اما كبير أو صغير وتحمل عقوده على أعمة واحدة ولكل صهريج خرزة من
الرخام أو الحجر مثل خرزة البئر والطبقة الثانية مع مستوى الارض أو فوقه بقليل وفيها المزملة لتفريق الماء بكيزان
من النحاس مربوطة بسلاسل وللمزملة شهاب من النحاس والثالثة مكتب لتعليم الاطفال وكان المنشؤون يعتنون
ببنائهم وزيارتهم وخرقتهما ووقوفون عليهم الاوقاف الدارة وقد تكلما على بعضها في كتابنا هذا وفي زمن فرنساوية
كان الموجود منها مائتين وخمسة وأربعين سبيلاً منها نحو ستين سبيلاً من أعظم المباني المتقنة الفخيمة وبالنسبة للباقي
منها الآن يكون عددها اندثر منها في ظرف تسعين سنة خمسة وأربعين سبيلاً بسبب الاهمال والتلف وقبل احداث
تقسيم مياه القاهرة كان لملك المباني أهمية عظيمة خصوصاً في زمن تحاريق النيل والآن قلت هذه الأهمية ومع
ذلك فلم يزل أكثرها مستعملاً وقد ثبت بوجه التقريب ما يمكن خزنه فيها من الماء فوجدته قريباً من ستمائة ألف قربة كل
خمسة عشر شهراً مكملاً وبالباقى من المكاتب التي فوق الاسبله المذكورة هو ستة وسبعون مكتباً ويوجد بالقاهرة

أيضا حيضان لسقي الدواب وكانت في الأزمان السابقة يعتنى بها وكان أغلبها بقرب الأسبلة وهي عبارة عن حيضان من الحجر تعمل في الجفوة معة ودة مزينة بأعمدة وقياب اعتنى بزخرفتها وكانت مجعولة لسقي الدواب على اختلاف اجناسها وكان لها أوقاف يصرف عليها من ريعها لبقائها والآن لم يبق منها الا النادر وهو غير مستعمل واعدد أهالي القاهرة على حسب التعداد الذي صار في ١٥ جمادى الثانية سنة ألف ومائتين وتسع وتسعين هجرية الموافق ٣ مايو سنة ألف وثمانمائة واثنين وثمانين ميلادية هو عدد ٣٧٤٨٣٨ منهم أهالي ٣٥٢٤١٦ وأغراب ٢٢٤٢٢ والآخرهم

٧٠٠٠ أروام

٥٠٠٠ فرنساوي

١٠٠٠ انجليز

١٨٠٠ نساوية

٤٥٠ المان

٤٠٠ أعجم

٣٣٦٧ تليانية

٢٢٠ أوروباوية من أجناس مختلفة

١٩٢٤٧

٣١٧٥ عرب ومغاربة وغير ذلك

٢٢٤٢٢

وفي التعداد الذي صار في المحرم سنة ألف ومائتين وتسع وثمانين هجرية الموافق ١١ مارث سنة ألف وثمانمائة واثنين وسبعين ميلادية كان عدد سكان القاهرة ٣٤٩٨٨٣ ومن هنا يظهر ان أهالي القاهرة زادت في ظرف عشر سنين من ابتداء ألف ومائتين وتسع وثمانين الى ألف ومائتين وتسع وتسعين ٢٤٩٥٥ شخصا وبالتقريب خمس وعشرون ألف نفس فيخص السنة ألفان وخمسمائة نفس وفي خطط فرنساوية كان تعداد أهالي القاهرة في سنة ألف ومائتين وثلاثة عشر هلالية مائتين وستين ألف نفس فتكون الزيادة التي حصلت في ظرف ست وثمانين سنة مائة وخمسة عشر ألف نفس فيخص السنة ألف وثلثمائة وسبع وثلاثون ويعلم من ذلك ان الرغبة في سكنى القاهرة كثرت في أيام خفاه العزيز محمد علي عما كانت في مدته خصوصا رغبة الافرنج في سكناها بعد انشاء السكك الحديدية واتمام خابج البرزخ وظهور خطة الاسماعلية وتوزيع الغاز والماء فيها وفي زمن فرنساوية كان مقدار من يموت في السنة من النفوس نصفه من الاطفال بسبب داء الجدري والربع من الرجل والربع من النساء وكان مجموع من يموت جرأ من ثلاثين جرأ من تعداد المدينة بمعنى ان مقدار من يموت في السنة الواحدة في مدتهم اثنا عشر ألف نفس فيخص اليوم الواحد نحو ثلاثة وثلاثين نفسا في المتوسط ومن الاحصاءات التي أجريت من ابتداء سنة ألف ومائتين وتسع وستين الى سنة ألف ومائتين وثمانية وسبعين هلالية وهي مدة عشر سنين علم ان عدد المولودين بالنسبة لعشرة آلاف نفس هو مائتان واثنان وتسعون وعدد المتوفين بالنسبة للعشرة آلاف أيضا هو مائتان واثنان وعشرون فيكون الباقي من المولودين بعد المتوفين سبعين نفسا وهي الزيادة التي زادت بها العشرة آلاف في ظرف عشر سنين وفي احصاءات العشر سنين التالية للعشر سنين السابقة بلغ تعداد المولودين بالنسبة لعشرة آلاف من الالهالي ثلثمائة وخمسة وأربعين ومقدار المتوفين منهم مائتان وخمسة وخمسون فيكون الباقي من المولودين في هذه المدة تسعين نفسا في كل عشرة آلاف من الالهالي ويكون متوسط الزيادتين ثمانين نفسا وعليه فزيادة مصر القاهرة في كل عشر سنين تقرب من ثلاثة آلاف نفس وقدر من يموت من أهالي القاهرة في المتوسط في مدة السنة الشمسية ستة عشر ألفا وثلثمائة نفس من صغير وكبير نساء ورجالا بمعنى ان من يموت في السنة جرأ من اثنين وعشرين جرأ

عدد	عدد
٠٣٢٦	جبارة
٠٢٣٠	نحاتين حجر
٠٥٨٩	بنائين
٠٥٩٤	قراية
٠٧٩٢	مرخين شوام
٠٥٨٩	أروام
٠٢٤٧	صناع كراسي
٠٤٤٥	اقباط و يهود
٠٠٠٧	شباكشية
٠٠٣٦	مسلكانية
٠٠٠٦	غرابلية
٠٠٧٢	نجارين طواحين
٠٠٥٣	نجارين سواقى
٠١٣٥	نشارين
٠٠١٧	قصاصين
٠١٧٤	سبوفية
٠٠٩٨	صرماتية
٠١٤٠	حصارية
٠١٢٧	مدابغية
٠٠٢٧	نجارين مراكب
٠٠٢٥	حرايرية
٠٠٨٦	نقاشين
٠٠٧٨	سروجية
٠٢٦٨	جرجمية
٠٠٣٩	قلاطية
٠١٥١	ترشجية
٠٠١٥	خبازين
٠٠٨٦	صباغين
٠٠٩٨	آلاتية
٠٠٣٨	نجارين دق
٠٠٢٢	جوهرجية أرمن
	جوهرجية مسلين

والبرابرة نحو ألف وخمسمائة شخص والخدمون نحو ألفين وخمسمائة وباقي الطوائف عبارة عن تجار وصيارف وكتبة وباعة ودلايين ومداحين وغسالين ونحو ذلك وطائفة الفعلة تبلغ نحو ثلاثة آلاف شخص ولكل طائفة شيخ ومختار ونقباء وأسماءهم مقيمة في المحافظة والدائرة البلدية وطائفة المزيين تزيد على ذلك وقيد أسمائهم في مجلس الصحة وعددهم يزيد وينقص بالنسبة لكبر تعداد الطائفة وصغره والمشايعهم الذين يرجع اليهم في طلبات

الحكومة وتوزيع القرض وتقديرها وبصير تقويم الاشياء الجارية أخذ الدخاوية عليهم باعرفة لجنة من بعض المعتمدين منهم وفي الايام السابقة كان كل من أراد أن يصير معلما في صنعته لا يتمكن من ذلك الا بعد مهارته فيها وعمل شيء دقيق في صنعته يشهد له بأنه يستحق أن يكون معلما أو الاسطاوية فحينئذ يشهد له معلمه وباقي المعلمين من صنعته ويخبرون شيخ الطائفة بذلك فيحضره ويختبره فان وجدته أهلا لان يكون معلما قلده اياها وذلك بعد دعوة حافلة بهم بها لهم بحسب اقتداره ويدعو فيها شيخ الطائفة والرؤساء والنقباء والمخاترة وغيرهم من باقي الطوائف والآن بقيت هذه العادة في ثلاث طوائف وهي طائفة الصرمانية والمزنيين والحامية وتسمى عندهم بالشد والحزام وهو عبارة عن شدي يحزم به في وسطه ويعقده النقيب عدة عقد أقلها ثلاث وغايتها ست بالنسبة لعدد المعلمين الكبار الموجودين في المجلس مع شيخ الطائفة وأهم في ذلك اصطلاح فالعقدة الاولى تسمى الاسطاوية والذي يحياها معلمه الذي رباه وعلمه الصنعة والثانية تسمى الرتبة يحياها شيخ الطائفة والثالثة يحياها أحد الاسطاوات الموجودين بالمجلس وفي أثناء الحل والعقد يقرأ النقيب خطبا وقصائد ومجلس الصحة الآن لا يمكن احدا من فتح دكان من غير الا بعد امتحانه بحضور شيخ الطائفة فان أجاز رخص له باذن من طرفه معين فيه الصنعة المأذون به من أنواع الجراحة الصغيرة ويدفع رسم عشرة قروش صاغ وليس للمشايخ والمخاترة وغيرهم مرتبات وتعيشهم من صناعتهم وكل طائفة منهم اصطلاح فطائفة المعمار يستولى المعلم من صاحب العمارة معلوما يوميا يعرف بالغدا ومن البنائين والفعلة ما يقال له التبع وله الغدا أيضا على جميع من يورد أشياء للعمارة ومثل ذلك جار عند باقي الطوائف من نجارين ونحاتين ونقاشين وممر ختية وقراتية وسباكين وغيرهم وفي أغلب الطوائف يدفع للشيخ والمختار دما من طرف من يروم فتح دكان مبالغ يعرف بالقانون يختلف بحسب الاقتدار ويريد على ذلك عند المزنيين والحامية دفع مبلغ لشيخ الطائفة عند طلب صناعة من طرفه وكذلك من أراد من الناس ان يخدم طبيا أو فريشا أو خادما يدفع مبالغ يقال له الجمالة ويختلف بحسب ما عية المستخدم وذلك غير ما يؤخذ من المستخدم نفسه وكل ذلك على غير رابطة معلومة فيما يت الحكومة تعمل لذلك قانونا تحفظ به حقوق الخادم والمخدوم والدخولية حدثت في زمن الخديوي اسمعيل باشا وتقلبت في صور وكان في ذلك الوقت جميع ما يدخل القاهرة يدفع عليه بمعطات دخولية الدائرة البلدية مبلغ في كل مائة من قيمته والاصناف التي دخلت مدينة القاهرة في سنة ١٨٨٣ افرنجية الموافقة لسنة ١٣٠٠ هجرية بلغ عددها أربع مائة وأحد وأثنى صنفا وهي كافة الحبوب والادهان والخبز والعسل بأنواعه والخضراوات والفواكه بأجناسها وأنواع أخرى مثل السكك والتميل والمشاق وافلاق النخل والجريد والسكر والليف والبوص والخطب والغرايل والتبن والطيور والحمام والفراخ والاوز والعصافير والبيض والغنم والبقر والحماموس وباقي حيوانات الذبح بأنواعها وأحجار طواحين والسكر والقطن والجلود وأنواع الفصم والنظرون والافيون والبرسيم والصمغ والزيتون والنخل والسمار والدريس والشعر والنبيلة واللبن وماء الورد والزهر والنعناع والعترو وغير ذلك وبلغ متحصل الدخولية في تلك السنة مائة وثمانية وستين ألفا وسبعة وأربعين جنيها وهنالك كبر بعض المهتم من تلك الاصناف فنقول من ذلك ما ورد من حب الذرة في مدة السنة على المدينة ثلاث عشرة ألفا وأربعمائة وخمسة أرباب ومن الشعير ثمانية وستون ألفا ومائة وستة وأربعون أردبا ومن القمح خمسة مائة وأربع وثلاثون ألفا وثمانمائة واثنان وأربعون أردبا ومن الفول مائة ألف وثلاثة آلاف ومائتان واثنان وثلاثون أردبا ومن العدس ستة وعشرون ألفا ومائتان وستة وعشرون أردبا ومن الفريك ألف وتسعة أرباب ومن الترمس ألف أردب ومائة وأحد وثمانون أردبا ومن الحنظل أربعة آلاف وأربعمائة وحدث وثمانون أردبا ومن الدقيق ستة آلاف ومائة أردب ومن السمندر والزبد وارد مصر والبلاد الاجنبية أربع ملايين وثلثمائة وأربعمائة ألفا ومائتان وثمانون رطلا ومن أنواع الجبن مليونان وسبعمائة وثلاثون ألفا وثلثمائة وسبعمائة رطلا ومن أنواع العسل أربع ملايين ومائتان وأحد وأربعون ألفا وخمسمائة وثلاثة وتسعون رطلا ومن الارز اثنان عشر ألفا وتسعمائة واثنان وسبعمائة أردبا ومن الخضراوات أربعة وستون نوعا مثل الباذنجان باجناسه والبامية والموخي والبطاطس والبسلة والبخار والجزر والحميض والرجلة والخس البلادي والرومي تسعة عشر مليوناً ومائتان وأحد وأربعون ألفا وخمسمائة وستة وتسعون رطلا

ومن الثوم البلدي مائة واثناعشر ألفا وأربعمائة وتسعة وأربعون أقة ومن البصل الاحمر الناشف سبعة ملايين
ومائتان وخمسون ألفا وسبعمائة وأربعة وخمسون رطلا ومن الخرشوف تسعمائة وثلاثة وتسعون ألفا وسبع
وثلاثون خرشوفة ومن الكشكش البحري والصعيدى مائة وخمسة وسبعون ألفا وثمانمائة وسبعة وتسعون رطلا
ومن الليمون المالح والاضالية ثمانية عشر مليونا وستمائة وسبعون ألفا وسبعمائة وخمسة وثمانون ليمونة ومن
البرتقان ستة عشر مليونا وثلثمائة وثلاثة وثلاثون ألفا وتسعمائة واثناعشرة برتقانة ومن يوسف افندى
اثناعشر مليونا ومائتان وثمانية وسبعون ألفا وثلثمائة وأربع وسبعون واحدة ومن الليمون الحلو والكمكباد
والنفاس ونحو ذلك خمسة مائة وثلاثة وثلاثون ألفا ومائتان وست وثلاثون واحدة ومن القصب مائتان واثنان
وعشرون ألفا ومائتان وخمسة وثمانون لبشة ومن الفواكه عنب بأنواعه وخوخ ومشمش وقشطة وشليك
وسفرجل وموز ومنجه وتين وغير ذلك ستة ملايين وثمانمائة وثمانون رطلا ومن الشام والمهناوى والسنتاوى
والقاوون والعجور والفقوس والقناء والخيار احدى وعشرون مليونا وتسعمائة واحد وسبعون ألفا وخمسمائة
وسبعة وستون رطلا ومن البطيخ بجميع اجناسه خمسة وعشرون مليونا وسبعمائة وستة وخمسون ألفا وثلثمائة
وتسعة وتسعون رطلا ومن البلخ بجميع اجناسه سبعة ملايين وثمانمائة وتسعة وستون ألفا وتسعمائة وسبعون
رطلا ومن البلخ المخلل والككيس مليونان وأربعمائة وثلاثة وأربعون ألفا واثنان وتسعون رطلا
ومن العجوة السلطاني والسيوى والشرقاوى والمقشور وغير المقشور والبيضاء مليون وخمسمائة وأربعة
وأربعون رطلا ومن حطب الذرة والقطن والبوص والاثل والابج والتوت والجيز وغير ذلك أربعة ملايين
ومائة وتسعة وستون ألفا ومائة وأربعون جلا ومن الكتان العود احدى وعشرون ألفا وسبعمائة وثمانية
عشر رطلا ومن الكتان الغير مشغول اربعمائة وتسعة وسبعون ألفا وثمانمائة وتسعة وثلاثون رطلا ومن
المشاق مائة وأربعون ألف رطل ومن الحمام مائة وستة عشر ألفا وثمانمائة وأربعة وسبعون جوزا ومن
السمان عشرة آلاف وستمائة وأربعة وخمسون جوزا ومن الفراخ الرومى تسعة وأربعون ألفا وتسعمائة واثنان
وخمسون جوزا ومن الفراخ البلدى ثمانمائة وتسع وخمسون ألفا وأربعمائة واحد وسبعون جوزا ومن
الككايت ستمائة واحد وخمسون ألفا وسبعمائة وسبعون جوزا ومن الاوز والبط ونحو ثمانية وثلاثون ألفا
ومائتان وخمسة وخمسون واحدة ومن اجناس الطيور مثل العصافير والشرشير والحمام البرى والمام والفاط
والخضارى ثلاثة عشر ألفا ومائة وثمانية وعشرون جوزا ومن بيض الدجاج ثلاثة وثلاثون مليوناً وسبعمائة
 وخمسة وأربعون ألفا وخمسمائة وثلاثة وخمسون بيضة ومن الاغنام مائتان وسبعة عشر ألفا وتسعمائة وتسعة
 وخمسون رأسا ومن البقر ألفان وأربعمائة وستة وعشرون رأسا ومن الحماموس ثلاثة آلاف وثلثمائة
 وثلاثة رؤس ومن عجول الحماموس والبقر ثلاثة عشر ألفا وتسعة وثلاثون رأسا ومن الماعز البلدى والشاحى
 ثلاثة آلاف وتسعمائة وسبعة وتسعون رأسا ومن الجمال ثلثمائة وأربعة وستون جلا ومن الخيول ثلثمائة
 وأربعة وتسعون وبغلتيان ومن السكر بأنواعه مليونان وأربعمائة واحد وتسعون ألفا وخمسمائة وثمانية
 وعشرون رطلا ومن القطن الشعير تسعة وأربعون ألفا وتسعمائة وتسعون رطلا ومن القطن الاسكارى مليون
 ومائة وتسعة وخمسون ألف رطل ومن الفحم السبال والبلدى بجميع انواعه مليونان وخمسمائة وتسعة وخمسون
 ألفا ومائة وثمانون أقة ومن النترون البلدى ثمانية وثلاثون ألفا وتسعمائة واحد وعشرون رطلا ومن
 النترون السودانى مائة وخمسة عشر ألفا وتسعمائة وأربعة وخمسون رطلا ومن البرسيم ثلثمائة ألف جبل ثلثها بالجل
 والثلثان بالحمار ومن الانفاخ والابرش الحنفاء مائة وخمسة عشر ألفا ومن الدريس بالشبكة تسعة آلاف ومائتان
 وأربعة عشر شبكة ومن السمار السريسي ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة وعشرون قنطارا ومن السمار
 الصعيدى والحلوانى والشرقاوى أربعة آلاف جبل بالجل ومن التمر هندي ألف وأربعمائة وأربع وأربعون
 رطلا ومن الشمع الاسكندراني ثمانية آلاف وستمائة وأربعون رطلا ومن الخمال بجميع اجناسه عشرة آلاف
 ومائتان وأربع وستون أقة ومن الحناء البلدى مائة وثمانية وعشرون ألفا وثلثمائة وثلاثة وستون رطلا ومن

زهر النارخ احد وعشرون ألفا وأربعمائة وثلاثون رطلا ومن ماء الورد ألف وثمانية وثلاثون رطلا
 ومن ماء الزهر ألفان وسبعمائة وتسعة وثمانون رطلا ومن ماء النعناع ألف وتسعمائة رطل ومن ماء العتران فان
 وخمس مائة رطل وجميع هذه الاصناف من محاصيل القطر وورودها الى القاهرة من الاقاليم القبلية والبحرية تارة
 يكون من طريق البحر فتقف عند بولاق أو مصر العتيقة أو من طريق البر في السكة الحديدية وقبل أن تدخل المدينة
 يجري أخذ العوائد الخولية عليها في مرا كز الدخولية المترتبة في دائرة البلد على رؤس الطرق وفي كل مركز مأمور
 و كاتب وبعض عسكري وقباني لوزن ما يلزم وزنه والمرا كز المذ كورة تابعة لدائرة البلدية وهي التي تتولى جميع ايراد
 تلك المرا كز وتوريد به الى المسامية ومن وظائفها أيضا التفقيش على المرا كز المذ كورة واجرا آتها وملاحظة أعمالها
 والحبوب الواردة للتجارة تشتمل عليها التجار حلة وتضعها في أشوان ساحل النيل في ثلاثة مواضع الاول ساحل القمح
 الكبير بولاق بجوار كبرى فم التربة الاسماعيلية بشارع الساحل الموصل اشرار قصر النيل والثاني ساحل القمح
 الصغير بولاق شرق الانتكخانة المصرية والثالث ساحل القمح بمصر العتيقة على نهر النيل أمام جزيرة الروضة
 والمقنايس بالشارع العمومي الموصل الى أثر النبي وهذه السواحل لا يباع فيها الا بالاردب وفي داخل القاهرة
 وضواحيها عدة محلات تباع فيها الحبوب أيضا وتجارها أقل من تجار السواحل فيشترون كميات قليلة ويبيعونها على
 الاهالى مجزأة من ربع الى اردب فأكثر وهذه المحلات تعرف برقع القمح والمشهور منها ست الاولى رقعة القمح
 بولاق بالسبتية بجوار سيدى سعيد بالشارع الموصل لكبرى باب الحديد يباع فيها القمح والفول والشعير والذرة
 والعدس فقط الثانية رقعة القمح ببوابة حجاج بشارع السيدة عائشة النبوية من ثمن الخليفة يباع فيها كافة أنواع
 الحبوب الثالثة رقعة القمح بشارع باب الخرق الموصل الى عابدين يباع فيها كافة الحبوب الرابعة رقعة القمح
 بشارع الازهر يباع فيها القمح والفول والشعير الخامسة رقعة القمح ببركة الرطل من شارع الحسينية يباع فيها
 القمح والفول والشعير السادسة رقعة القمح بجهة العدوى بشارع الزعفرانى بثن باب الشعريه يباع فيها القمح
 والشعير والفول والذرة وتباع الحبوب أيضا في بعض دكاكين من البلد غير تلك المحلات والحيوانات المستعملة
 في القاهرة للنقل والركوب هي الخيل والبغال والحمير والجمال والموجود منها على حسب تعداد سنة ألف وثمانمائة
 وسبع وثمانين ميلادية بمدينة القاهرة والجارى أخذ عوائدها عليه خلاف ما هو معموله للاوربا وبين ألفان وثمانية
 وثمانون حمرا مملوكة لاربابها وألفان وثمانمائة وثلاثة وخمسون حمرا ركوبة واياها كافا ومن الخيول مائة وعشرون
 حصانا ركوبة ومائة وسبعة وتسعون حصانا للشغل ومن الجمال خمسة وخمسون جبلا ومن البقر والجاموس
 ستمائة وثمانية وتسعون رأسا وبمدينة القاهرة أيضا من أنواع العربات مائة وأربعة وسبعون عربية لجلب المياه
 وألف وست مائة وخمسة وسبعون عربية من العربات الكروا والصندوق وأربعمائة عربية من عربات الركوب المملوكة
 لأصحابها وأربعمائة وستة وثمانون عربية من عربات الركوب المعدة للاجرة وعشر عربات بقارى والأسواق التي
 يباع فيها المواش هي سوق السبتية بولاق ينصب في كل يوم سبت من ابتداء شروق الشمس الى الساعة ٧ نهارا
 تباع فيه مواش وأغنام وطيور ومابوسات وغيرها وسوق الجمعة بجهة الامام الشافعى وبجهة الحسينية وسوق
 بوابة حجاج بشارع السيدة عائشة يباع فيه الخيول والبغال والحمير وسوق مذبج الحسينية ينصب عصر كل يوم الى
 الغروب يباع فيه البقر والجاموس والغنم والجمال وسوق مذبج العيون بالقرب من المذبج ينصب كل يوم
 من شروق الشمس الى الساعة ٣ نهارا تباع فيه حيوانات الذبح والآن بسبب حصر الذبح في المذبج المستجد
 زادت أهمية هذا السوق عن الاسواق السابقة عليه والحيوانات الجارى ذبحها لما كل البلد منها ما يشتري من
 هذه الاسواق ومنها ما يشتري من المديريات ويؤتى به الى مذبج القاهرة وقبل العائلة المحمدية كان الذبح في داخل
 البلد في محلات متعددة ولما استولت العائلة المحمدية ورثت ديوان الصحة وجعلت له قانونا بطل الذبح داخل البلد
 وبني في خارجها مذبجان أحدهما بجهة الحسينية والآخر في قبلى البلد بالقرب العيون وذلك في سنة ألف ومائتين
 وثلاث وثلثين هلاية وكان كل منهما عبارة عن حوش كبير يحيط به سور من البناء وبه بعض سقائف تظل قطعة من
 الارض مبلطة بالحجر ولم يكن بها حجار لتصفية الدم وغيره ولا مياه لغسل ذلك فكانت على غير قانون صحي وكانت

عفونتها تتشرف في الجوال إلى مسافات بعيدة وتضرر بالناس فكثرت الشكاوى من الأهالي وطلب مجلس الصحة بناء
 مذبح مستوف لشروط الصحة مثل الموجود من ذلك في المدن الكبيرة فلم يلتفت لذلك إلا في زمن الحضرة الحسينية
 التوفيقية وبأمرها بطأت المذابح القديمة وتخلصت الناس من عفوناتها وبنى المذبح الجديد بين العيون وزين
 المعابد على مقتضى رسم عمل معرفة ديوان الأشغال العمومية مدة نظارتي عليه وصدق على الرسم مجلس الصحة بعد
 امتحانه والآن جاريه الذبح لكافة البلاد ومربله حكيم ومأمور وكاتبان وملا - طان وسقاء وخفير وخدمة وبه
 وابور لنزح المياه المتركة في المجارى والمذبح في سنة سبع وثمانين في كل شهر من أشهر السنة هو كالاتي * في شهر
 فبراير خمسة آلاف ومائتان وسبع وتسعون رأسا من الغنم ومن الجواموس الكبيرة ستون رأسا ومن الأثوار الكبيرة
 مائة وأربعة وسبعون ثورا ومن عجول البقر اثنان وثمانون عجلا ومن عجول الجواموس ثلثمائة وسبعة وثلاثون
 عجلا ومن المعز أربعة رؤس ومن الجمال اثنان ومن الخنازير احدى وستون خنزيرا وذلك في اثني عشر يوما من الشهر
 * وفي شهر مارس من الغنم خمسة عشر ألفا وسبع مائة وستة وثمانون رأسا ومن الجواموس الكبيرة مائة وثمانية وستون
 رأسا ومن الأثوار الكبيرة مائة وأربعة وسبعون ثورا ومن عجول البقر تسعون عجلا ومن عجول الجواموس ألف
 وثمانمائة وثمانية وثمانون عجلا * وفي شهر أبريل من الغنم ستة عشر ألفا وأربعمائة وخمسة رؤس ومن الجواموس
 الكبيرة مائتان وستة رؤس ومن الأثوار الكبيرة مائة وستة وثلاثون ثورا ومن عجول البقر مائة وثلاثة عشر عجلا ومن
 عجول الجواموس ألف وخمسمائة وأربع وسبعون عجلا ومن الجمال أربعة عشر رجلا * وفي شهر مايو من الغنم
 تسعة عشر ألفا ومائة وخمسة وعشرون رأسا ومن الجواموس الكبيرة مائتان وأربع وسبعون رأسا ومن الأثوار
 الكبيرة مائة وستة وأربعون ثورا ومن عجول البقر مائة وعشرة رؤس ومن عجول الجواموس ألف وسبع مائة وثلاثة
 وأربعون عجلا ومن الجمال عشرون * وفي شهر يونيو من الغنم سبعة عشر ألفا ومائتان وأربع وثلاثون رأسا
 ومن الجواموس الكبيرة مائة وتسعون رأسا ومن الأثوار الكبيرة ثلاثة وتسعون ثورا ومن عجول البقر اثنان وثمانون
 عجلا ومن عجول الجواموس ألف وخمسمائة وأحد وأربعون عجلا ومن الجمال أحد عشر رجلا * وفي شهر يوليو
 من الغنم ستة عشر ألفا ومائتان وأحد عشر رأسا ومن الجواموس الكبيرة مائة وخمسة وخمسون رأسا ومن الأثوار
 الكبيرة مائة وثمانية وأربعون ثورا ومن عجول البقر مائة وثمانية وعشرون عجلا ومن عجول الجواموس ألف ومائتان
 وأحد وخمسون عجلا ومن الجمال أربعة عشر رجلا * وفي شهر أغسطس من الغنم ستة عشر ألفا وأربعمائة
 وستون رأسا ومن الجواموس الكبيرة مائتان وأحد وأربعون رأسا ومن الأثوار الكبيرة أربعمائة وثمانون ثورا ومن
 عجول البقر مائتان وخمسة وثلاثون عجلا ومن عجول الجواموس تسعمائة وأربعة وستون عجلا ومن الجمال عشرون رجلا
 * وفي شهر سبتمبر من الغنم أربعة عشر ألفا وتسعمائة وعشرة رؤس ومن الجواموس الكبيرة مائة وتسعة وسبعون
 رأسا ومن الأثوار الكبيرة خمسمائة وأربعة رؤس ومن عجول البقر مائة وثمانية وثمانون عجلا ومن عجول الجواموس
 ثمانمائة وثلاثة وثلاثون عجلا ومن الجمال عشرة * وفي شهر أكتوبر من الغنم خمسة عشر ألفا وثمانمائة وثمانية
 وخمسون رأسا ومن الجواموس الكبيرة مائتان وثمانية وثمانون رأسا ومن الأثوار الكبيرة مائتان وخمسة وخمسون
 ثورا ومن عجول البقر ثلثمائة وخمسة وتسعون عجلا ومن عجول الجواموس تسعمائة وستة وسبعون عجلا ومن الجمال
 خمسة عشر رجلا * وفي شهر نوفمبر من الغنم ثلاثة عشر ألفا وسبع مائة وتسعة وعشرون رأسا ومن الجواموس الكبيرة
 مائة وأربعة وسبعون رأسا ومن الأثوار الكبيرة مائة وثلاثة وثمانون ثورا ومن عجول البقر تسعمائة وسبعة وسبعون
 عجلا ومن عجول الجواموس سبعمائة وثمانية وتسعون عجلا ومن الجمال تسعة عشر رجلا ومن الخنازير مائة واثنان
 * وفي شهر ديسمبر من الغنم ثلاثة عشر ألفا ومائتان وثمانية عشر رأسا ومن الجواموس الكبيرة مائتان وسبعة وعشرون
 رأسا ومن الأثوار الكبيرة مائتان وخمسة وعشرون ثورا ومن عجول البقر ثمانمائة وتسعة وسبعون عجلا ومن عجول
 الجواموس سبعمائة وتسعة وعشرون عجلا ومن الجمال سبعة عشر رجلا ومن الخنازير مائة وسبعة وخنازير * وفي
 شهر يناير من الغنم أربعة عشر ألفا وتسعمائة وتسعة رؤس ومن الجواموس الكبيرة مائتان وتسعة وعشرون رأسا ومن
 الأثوار الكبيرة ثلثمائة واحد وعشرون ثورا ومن عجول البقر تسعمائة وتسعة وخمسون عجلا ومن عجول الجواموس

سبع مائة وثمانية وثلاثون عجلا ومن الجمال خمسة ومن الخنازير مائة وستون خنزيرا وقد علم من دفاتر القبا في ان وزن
الجل في المتوسط مائة وستة وستون رطلا والجاموسة خمسة مائة وستون رطلا والثور مائتان وتسعون رطلا وعجل
البقر مائة وستة وستون رطلا وعجل الجاموس مائتان وستة وستون رطلا في بناء على ذلك يكون الماء كولي في السنة من
لحم الجل تسعة وتسعين ألفا ومائتين وأربعة وثلاثين رطلا ومن لحم الجاموس مليوناً وثلثمائة وخمسة وخمسين ألف
رطل وسبع مائة وستين ألفاً وثلثمائة وعشرين رطلا ومن لحم الثور ثمانمائة واثنين وستين ألفاً ومائة وسبعين رطلا ومن لحم عجول البقر ستمائة
وسبعة وستين ألفاً وثلثمائة وعشرين رطلا ومن لحم عجول الجاموس ثلاثة ملايين وخمسمائة وثلاثة عشر ألفاً
وخمسمائة وأربعة وتسعين رطلا ومن لحم الغنم أربعة عشر مليوناً وثمانمائة وسبعة عشر ألفاً وثلثمائة وأربعة وستين
رطلا ومجموع ما تأكله البلاد واحد وعشرون مليوناً وثلثمائة وخمسة عشر ألفاً وأربع مائة واثنان وأربعون رطلا ولو
قسمنا ذلك على أيام السنة وتعداد الأهالي لوجدنا ان ما يخص الشخص الواحد نحو وفتين وهو قليل بالنسبة لما تأكله
أهالي المدن في البلاد الأجنبية

* (حوادث جوية) *

(المطر)

يرى بعض الافرنج انه بالنسبة لكثرة ما زرع من الاشجار في الديار المصرية وفتح خليج البرزخ حصل تغير في طقس
القطر المصري ولم يكن هذا الزعم منه مبنياً على شيء يثبت به بل الامور المشاهدة تدل على ان الحال الآن هو كما كان في
أول هذا القرن مثلاً رصدت الفرنساوية مدة استيلائهم على هذه الديار عدد أيام المطر فوجدوا انه دائري بين خمسة عشر
يوماً وستة عشر يوماً في السنة وبعد ابحاثهم صار رصد ذلك أيضاً من سنة ألف وثمانمائة وخمس وثلاثين الى سنة
ألف وثمانمائة وتسع وثلاثين فوجد ان عدد أيام المطر في الخمس سنين المذكورة دائري بين اثني عشر يوماً وثلاثة عشر
يوماً وكيفية المطر كانت في سنة ألف وثمانمائة وخمس وثلاثين سبعة عشر ملليمتر ونصف وفي سنة ألف وثمانمائة وست
وثلاثين احدى وعشرين ملليمتر وفي سنة ألف وثمانمائة وسبع وثلاثين خمسة عشر ملليمتر ونصف وفي سنة ألف
وثمانمائة وثمان وثلاثين احدى عشر ملليمتر وفي سنة تسع وثلاثين ثلاثة ملليمتر فقط وفي سنة ألف وثمانمائة وأحد
وسبعين كان عدد أيام المطر في مدينة القاهرة تسعة أيام ومدته في تسع ساعات وعشر ساعات وهو أقل مما كان أول هذا
القرن وبلغت كمية المطر في سواحل البحر في أغرا الاسكندرية سنة ألف وثمانمائة وسبع وستين مائتين وستة وعشرين
ملليمتر وسبعة أعشار وفي سنة ألف وثمانمائة وثمان وستين بلغت ثمانمائة وأربعاً وثلاثين ملليمتر وسبعة أعشار
وفي سنة ألف وثمانمائة وتسع وستين بلغت مائة وثمانيا وخمسين ملليمتر وفي سنة ألف وثمانمائة وسبعين بلغت اثنين
وسبعين ملليمتر وسبعة أعشار وفي سنة ألف وثمانمائة واحد وسبعين بلغت مائة وثمانيا وستين ملليمتر وفي سنة ألف
وثمانمائة واثنين وسبعين بلغت مائتين وثلاثاً وثمانين ملليمتر وعدد أيام المطر في هذه السنين كان دائرياً بين أربع
وأربعين يوماً واثنين وعشرين يوماً وبالنسبة لاشهر السنة يكون نزول المطر في مدينة القاهرة هكذا في ١٧ من
شهر يناير نزل مطر خفيف استمر عشر دقائق في وسط النهار ثم أعقبه مطر دقيق في المساء استمر أربعين دقيقة وفي
١٨ منه نزل مطر خفيف استمر دقيقتين وفي ٥ من شهر فبراير نزل مطر خفيف استمر ساعة وسبع عشرة دقيقة وفي
١٩ منه نزل مطر استمر ثلاثين دقيقة وفي ٢٨ منه نزل مطر خفيف استمر ست عشرة دقيقة وفي ١٤ شهر مارس نزل
مطر خفيف استمر ست دقائق وفي ٤ من شهر ابريل نزل مطر خفيف استمر ساعتين وخمسين دقيقة وفي ١٣
منه نزل مطر خفيف استمر عشر دقائق ثم في نفس اليوم أسطرت مطراً خفيفاً عقب المطر الاول استمر ساعتين وأربعين
دقيقة وفي شهر مايو ويونيه ويوليه وأغسطس وسبتمبر وكتوبر لم تطرأ أصلاً وفي ٢٢ من شهر نوفمبر أمطرت مطراً
خفيفاً استمر خمس عشرة دقيقة ثم أعقبه في يومها مطر خفيف أيضاً استمر خمس دقائق وفي شهر ديسمبر لم تطرأ أصلاً

* (حرارة الجو وضغطه) *

ومن الارصاد التي علمت في أشهر السنة بالنسبة لدرجة الحرارة وضغط الجو نتج ما سيأتي بالنسبة للدرجة المتوسطة

الشهور	ارتفاع الترمومتر المئتي	ارتفاع البرومتر	الشهور	ارتفاع الترمومتر المئتي	ارتفاع البرومتر
شهر يناير	١٢,٨٥	٧٦١,٤٠	شهر يوليو	٢٩,٨٨	٧٥٣,٥٩
شهر فبراير	١٢,٧٨	٧٦١,٥٧	شهر أغسطس	٢٩,٤٣	٧٥٤,٠٩
شهر مارس	١٦,٩٦	٧٥٧,٥٧	شهر سبتمبر	٢٥,٨٤	٧٥٧,١٩
شهر أبريل	٢٠,٠١	٧٥٨,١٨	شهر أكتوبر	٢٣,٠١	٧٥٨,٥٣
شهر مايو	٢٦,٣٠	٧٥٦,٨٣	شهر نوفمبر	١٨,٥١	٧٦٠,٩٠
شهر يونيه	٢٨,٩٩	٧٥٥,٦٠	شهر ديسمبر	١٥,١١	٧٦١,٧٦

ومتوسط الحرارة في السنة ٢١,٦٦ ومتوسط ارتفاع البارومتر في السنة ٧٥٨,١٠ وبالنظر لما ورد في هذا الجدول يختلف درجة الحرارة بحسب الفصول وبالنسبة لجهات القطر في وجه بحري في ثلاثة شهور فصل الشتاء ينحط ارتفاع الترمومتر وهو ميزان الحرارة الى اثنتي عشرة درجة وتارة الى أربع عشرة درجة فوق السفر وفي ثلاثة شهور فصل الربيع ترتفع درجة الحرارة الى أربع وعشرين درجة وفي ثلاثة شهور فصل الصيف ترتفع الى تسع وعشرين درجة وفي ثلاثة شهور فصل الخريف تنحط درجة الحرارة الى ثمانية عشرة درجة وفي الاقاليم الوسطى تزيد درجة الحرارة في كل فصل عما هي في الاقاليم البحرية بدرجتين وفي الصعيد الاعلى ترتفع درجة الحرارة الى أربع وثلاثين درجة وفي حدود النوبة تبلغ ثمانية وثلاثين درجة وعادة يوجد فرق جسيم في جميع البلاد المصرية بين حرارة النهار والليل وهذا الفرق حاصل عن هبوب نسيم هب من الجهة البحرية عند غروب الشمس ويشاهد ان حرارة الليل تنقص عن حرارة النهار ثمان درجات وتارة اثنتي عشرة درجة

* (الرياح) *

شهر يناير تهب الرياح من بحري أو من بحري غربي أو بحري شرقي وكذلك في شهر فبراير وفيما يكثر الضباب ويسقط المطر وفي أواخر شهر فبراير وفي شهر مارس يكثر هبوب الرياح الجنوبية وفي شهر أبريل يتسلطن الريح الجنوبي والجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي وفي شهر مايو يتبادل الالهوية الشرقية مع الالهوية البحرية وعند الاعتدال تقوم رياح الخماسين وتهب الرياح الجنوبية وعند هبوبها يتغير لون السماء ويكتسي حمرة ويعلأ الجو بالتراب وتشتد الحرارة حتى تبلغ في بعض الاوقات أربعين درجة فيحصل للانسان قبض ومضايقة وعسر تنفس وكثيرا ما يحصل في هذه الايام رمد وإسهال وفي شهر يونيه يكون هبوب الرياح من الشمال والشمال الغربي ويستمر في شهر يوليو هبوب الرياح البحرية وتتغير من الشمال الغربي الى الشمال الشرقي وفي آخر شهر يوليو الى نصف شهر سبتمبر تنفرد الرياح البحرية بالهبوب ويكون هبوبها بالنهار أقوى من الليل وفي آخر شهر سبتمبر تهب الرياح من الشرق أكثر من غيره من باقي الجهات وهكذا الى شهر ديسمبر فيكون هبوب الرياح من بحري ومن بحري غربي أو بحري شرقي

(تم الجزء الاول و يليه الجزء الثاني اوله ذكر ما بالقاهرة وظواهرها من الشوارع والحدارات الخ)